

تراياد

تراياد

رواية

عامر فارس

عندما تَقْتُلْ بأوامر قلبية

رواية : تراياڊ عندما تقتل بأوامر قلبية

الكاتب : عامر فارس

إخراج فني : أحمد سيف الإسلام

تصميم الغلاف : محمد مجاهد

تدقيق لغوي : صفاء سعود

رقم الإيداع : 5024

الترقيم الدولي : 978-977-6689-10-7

سنة النشر : 2019

الطبعة : الأولى

عدد الصفحات : 376



٩ شارع مسجد المغفرة المتفرع من شارع العشرين

بجوار مدارس حسام الدين الخاصة . فيصل . الجيزة

موبايل: ٠١٠٦١٨١٣٣٤٥ / ٠١١٢٦٠٢٦٦٩١ / ٠١٠٠٩٨٢٣٩٨٤



إهداء إلى.....



- قرة عيني وأمانتي.. القاطن بقلبي أبي.
- إلى مصدر ضحكتي وسعادتي أُمي.
- إهداء إلى أشقائي وأصدقائي.
- إهداء إلى.. أعز الناس وأقربهم إلى قلبي أخي محمد.
- إهداء خاص إلى محمد منصور.
- وإلى من عاهدت نفسي أن أكتب لها.. فقط هي يا قلبي.

في اليوم الذي ستكون فيه حبيبتي
سأقطع لك من جسدي ثوباً تستترين
به، وستكون لك عيني نوراً تهتدين
به، وسأجعل لك من جسدي بيتاً
تأوين إليه.

فقط قولها..

الجزء الأول

الفصل الأول

بين طيات الليل وظلامه الدامس، تنسال دموع العاشقين، وتعالى آهات
المرضى وأنين المظلومين، لكن..

تنحى الظلام جانباً، وتفتت ظلماته عندما اعتلت الشمس السماء
لتتسلل أشعتها من بين ثنايا الشباك الأمامي لغرفة أحمد، لتبعث ضوءاً
خافتاً على إثره نهض في تلك الغرفة المليئة باللوحات والرسومات التي
تزخر فجدرانها، والأقلام المبعثرة على أرضيتها. تأفف أحمد ملتقطاً
هاتفه الذي كانت ساعته تدق السادسة وخمس دقائق، ثم ارتد إلى سريره؛
ليكمل نومه. لكن قبيل أن يضع رأسه على الوسادة أزعجه صوتاً قادمًا
من الخارج، نهض متهجّجاً ناحية الباب ليجد والدته جالسة على المائدة
تقلب كوباً من الشاي.

رفعت سلوى وجهها، ثم زوت ما بين حاجبيها قائلة:

- إيه اللي مصحيك بدري كدا؟

حاول أحمد إغماض عينه، ثم مط شفتيه قائلاً:

- أنا منمتش أصلاً من امبارح..

زادت تعابير سلوى تعجباً:

- ليه؟ فيه حاجة ولا إيه؟

سكت أحمد قليلاً، ثم شب على قدميه إلى الأمام وهو يضع يده
محازيةً لصدره:

- نتيجة المشروع قلقاني أوي يا ماما..

نظرت سلوى بعينٍ تعلم ما يخفيه ابنها، ثم ابتسمت متساخرة:

- آاه، النتيجة قولتلي، متخفشي يا حبيبي، خير إن شاء الله، خش
كمل نومك، اليوم لسه طويل.

فرك أحمد فروة رأسه ثم قال :

- لا، ما أنا صحيت خلاص بقى، هروح أغسل وشي كدا وأفطر
وأنزل على الكلية.

خرجت من الغرفة المجاورة لغرفة أحمد فتاة مرتدية فستاناً وردياً طويلاً مكشوف الأكمام ويتوسط صدرها صليباً ذهبياً، ذات الشعر الأسود المائل إلى الأصفر مع عينين عسلتين تمسك بيدها إنجياً، وتحمل باليد الأخرى حقيبة بنية اللون. شعر أحمد بعدم الارتياح نوعاً ما، لكنه لم يتظاهر بالضيق، بدورها نظرت الفتاة إلى سلوى مع ابتسامة رقيقة أفرجت عن أسنانها البيضاء.

- صباح الخير يا طنط..

بادلتها سلوى نفس الابتسامة ثم قالت :

- صباح الخير يا حبيبي.

نظرت الفتاة إلى أحمد بعد أن بادلتها السلام:

- مالك يا أحمد تحت عينك أسود كدا ليه؟

رد أحمد بتهكم :

- أضلي مش نايم كويس.

نظرت سلوى إلى أحمد، وقاطعت الحديث قبل أن يخوض بكلامٍ

ساذجٍ كالعادة:

- كريستين كانت بايئة عندنا امبارح؛ عشان عمك جورج كان
بيعمل صيانة للعربية بتاعتنا عنده في المصنع، فلما لقي نفسه
هيتأخر قال لكريستين تبات عندنا؛ عشان بتخاف تنام لوحدها.
زفر أحمد ثم أوما برأسه مبيّنًا عدم اكترائه وانطلق منصرفاً.

جلست كريستين على المائدة بجوار سلوى، ثم أمسكت سلوى
بيديها محاولةً محو علامات الضجر من ردة فعل ابنها:

- متزعزعيش من أحمد، هو متوتر شوية عشان نتيجة المشروع ده،
وإنهم ما قبلوش ناس كثير، وهو شغال من أول الأجازة عليه.

ضمت كريستين الكتاب إلى صدرها، ثم ابتسمت قائلة:

- لا يا طنط، مفيش حاجة أحمد زي أخويا..

احتضنتها سلوى وأخذت تربت على ظهرها، ثم نظرت

إلى الشريطة الصفراء المربوطة بشعرها:

- يااااه الشريط ده لسه عندك!

ابتسمت وهي تقول:

- أنا بحب أي حاجة أنتي جاييها يا ماما.

انضم إلى المجلس خالد (والد أحمد):

- يا سيدي يا سيدي، يا ريت ينوبنا من الحب جانب.
- ابتسمت كريستين وتوردت وجنتيها، ثم جلس خالد على يد المقعد
مجاورًا سلوى:
- إزيك يا كريستين، أخبار دنيتك إيه؟
- تمام.
- رد خالد متسائلًا:
- إيه رايحة فين بدري كدا؟
- وضعت الكتاب في حقيبتها وهي تقول:
- هعدي على المكتبة أجب شوية كتب أصل الي عندي خلصوا،
والدراسة داخله فكمان هجيب حبة فساتين وكدا.
- حلوة أوي دراسة الآثار دي يا كريستين وممتعة، أنا كنت بعشق
التاريخ بتاعنا برضه.
- ياللا.. ماشي يا ستي، ربنا يوفقك. اقعدي افطري معانا،
بابا كلمني، وقالي حضر لنا الفطار على ما أجي.
- نهضت كريستين ثم حاولت التهرب:
- معلشي يا عم خالد، أصلي لسه هعدي على الشقة، وبعدين أروح الكنيسة.

أوماً خالد برأسه مبتسماً :

- ماشي يا حبيبتي، خلي بالك من نفسك.



هب الهواء بعنفوانٍ ليحرك ستائر غرفتها، حاملاً معه رائحة الورد
العطر الذي يغطي حديقة فيلتها الجميلة. يبدو أن التفكير أرق نومها
وغلبيها السهاد، ولم يجعل الكرى أن يُران بعينيهما، ولم ترخ جفونها أيضاً،
يبدو أنها أمضت ليلها بدون نوم.

داعب الهواء شعرها المتطاير على وجهها، عدلته بيدها، ثم نظرت
سارة في المرأة لترى أن بياض عينها الزرقاوتين قد مُلئ باللون الأحمر،
وآثار الأرق بادية على سحتتها البيضاء، مزاجها ليس بالجيد والقلق
يسيطر عليها نوعاً ما، قاطع هدنتها وسلامها النفسي قرع باب غرفتها،
تنهدت سارة قائلة:

- خش.

فتح يحيى (والد سارة) الباب، ودلف إلى الداخل بابتسامة صباحية
تبعث الفرحة :

- القمر عامل إيه؟

ابتسمت سارة وهي تضع بعض خصلات شعرها خلف أذنيها:

- مفيش شوية قلق و OVER THINKING ونوم متقطع.

وضع يحبى يده على كتف سارة:

- قلق ليه بس؟ أنا مش جبيلك نتيجة المشروع، وبعدين أنتي مقبولة من قبل ما تقدمي.

ابتسمت سارة واستكانت لوهلات تملؤها التفكير، وهي تراقب عين والدها بنظرات مرتعشة.

وما لبثت أن تتكلم حتى قاطعها رنين هاتف والدها.

أشار يحبى إلى سارة.

- سوري يا حبيبتي.. ألو، أيوه يا شرف.

اتسعت حدقة عينيه وتلاأت بالسعادة، وكأنه قد حدث شيئاً قد اشتاق إليه طويلاً، كعابد أُحدب ظهره من العبادة وأتاه البشير يخبره أنه بالجنة، تنحج قائلاً:

- طب تمام. ابقى قابلني في الشركة..

ضمت سارة يديها إلى صدرها قائلة:

- خير يا دادى بتلعب بديلك ولا إيه؟

علا صوت يحى بالضحك:

- أنا أفدر برضه، وبعدين حد يشوف القمر أو العيون الزورق دول
ويبص بره.

هز يحى رأسه، ثم قال متسائلاً :

- أنتي كنت عايزة حاجة يا حبيبتى؟

قالت سارة:

- لا مفيش حاجة.

ربت يحى علي ظهر سارة ثم قال :

- يالا عشان نفطر مع بعض..



دلفت سلوى إلى غرفتها بعدما افترق الكل، سلوى هادئة الملامح
بلونها الخمرى الناعم والتجاعيد التي تجتمع حول عينيها، سيدة تخطت
الأربعين بتسع سنوات، لكن إشراقتها الصباحية وضحكتها الجميلة
تجعلها عذراء عشرينية، وإسداها الأبيض الذي ترتديه يعطى بريقاً
لامعاً لحياة تريدها أن تستمر. كلما تنفرد بالغرفة، تقلب بصورها هي
وخالد ومراحل تطور عمر أحمد، تفتش في ملابسها عن ذكريات ضائعة
كعادة تفعلها. قامت سلوى واقتربت من الصور الموضوعة على الدرج

الجانبي للسريير التي تحمل ذكرياتها الجميلة وآلامها المبرحة ولحظات
الفرح وكبوات الحزن، أمسكت بيدها صورة زفافها التي تجمعها بخالد
ذي الحلة السوداء والشعر الخشن، ثم ابتسمت عندما بدأت الذكريات
تتسرب إلى حاضرها.

- ألف مبروك يا حبيبي.

ابتسمت خاجلة ثم أردف خالد:

- يا اياه أخيراً اتجاوزنا بعد صبر المدة دي كلها.

أمسكت سلوى بيد خالد:

- الحمد لله إن ربنا جمعنا. أنت مش متخيل قد إيه أنا كنت مستنية
اللحظة دي بفارغ الصبر..

اقترب علي (شقيق خالد) ومريم (خطيبة علي) نحو الأريكة الجالس
عليها العروسين ثم بادلهما التهنئة، قال علي بالقرب من أذن خالد:
- كله تمام..

هناك حيث يقف بعيداً متألماً من الأحداث، يتمنى لو تنشق بهم الأرض،
أو تنطبق عليهم السماء، بحور من الدموع تملأ عينيه وتسيل على خده، تنهد
تنهيدة حارة، ثم عقد حاجبيه بشدة، كأنه المتضرر الوحيد من الحفل.



التفت النساء حولها، منهن من يحملن الماء الساخن، ومنهن من يساعدها في إخراج مولودها، والباقيات يحاولن المساعدة، وضعت إحدى النسوة قماشة بيضاء في فمها، وطلبت من سلوى الضغط عليها بقوة لتساعدها في تحمل الألم، شعرت الأخيرة بقشعريرة شديدة، ولم يتبق حولها إلا الظلام وما هي إلا لحظات وتفارقها:

- بسم الله الرحمن الرحيم.. رأسه بقت في أيدي.

قامت مريم بتنشيف العرق المتساقط على وجه سلوى، وأحكمت القبض على يدها:

- خلاص يا سلوى هانت.. استحملي شوية.

يتزايد أنينها الذي لم يهدأ منذ أن حملته، معاناة وألم شديدين خصوصاً بالحمل الأول، استجمعت قواها وضغطت هذه المرة بشدة:

- يارب يارب يارب.

سحبت الداية الطفل، ثم هدأ الألم وتلاشى عندما سمعت صوت بكاء الطفل.

- الحمد لله، بسم الله، ما شاء الله.

نظرت مريم إلى سلوى والسعادة تعترىها:

- ولد يا سلوى ولد..

وضعت الداية الطفل بمنشفة، ثم أعطته لمريم؛ لتقربه من أمه..

هرولت إحدى النسوة؛ لتبعث الطمأنينة في قلوب الذين يقفون على الجانب الآخر خلف الباب منتظرين أن يأتي الحدث السعيد، يدعو خالد ربه أن يلطف بسلوى وتحمل الدقائق البشري إليه.

تلعثمت وهي تقول:

- مبروك يا سيدي جالك ولد.

احتضن علي خالد بحرارة شديدة:

- مبروك يا أخويا.. هتسميه إيه؟

ابتسم خالد وهو يقول:

- ودي عايزة كلام برضه هنسميه أحمد..

لمحت عينا خالد رجلاً يتكئ على عصا خشبية يتساند بها على السور الخشبي للدور العلوي، تحرك خالد بخطوات سريعة نحوه، وانحنى على يديه وقبلهما، ثم تبعه علي، قال خالد وعيناه تنضج بالسعادة:

- جالك أحمد صغير يا حاج.

ربت أبوه على كتفيه، وقال وهو يحرك عينيه بين ولديه:

- يتربى في عزك يا ابني، ويكون راجل من ضهر راجل زي أبوه
وجدوده وجدود جدوده، ويحافظ على اسم العيلة ومكانتها.



هدأ القصر بالليل بعدما لزم الجميع فراشهم. لكن خالد وسلوى
والصغير الذي لم يكمل حوله الأول ظلوا يقظين يعدون حقائب السفر
استعداداً للرحيل، وعلى وجوههم علامات الاستياء.

طرق باب الغرفة طرقات خفيفة:

- مين؟

قال علي بصوتٍ متهدج:

- أنا علي يا خالد.

نظر إلى سلوى، ثم فتح الباب بعد أن غطت شعرها، واعتدلت
بجلستها:

- تعالى يا علي.

فتح علي الباب وعلامات اليأس والإحباط تتوغل بصدره وتظهر
جليّةً على وجهه العبوس. جلس ثم بدأ بالبكاء قائلاً:

- مريم ماتت..



مرت السويغات الواحدة تلو الأخرى، وامتألت الورقة بالألوان لكن عقله الصغير لم يفرغ بعد، استطاعت الورقة أن تعبر عما يدور في عقله، وتحدث القلم بدلاً عنه، حاول أن يللم مشاعره المنبعثة من اللوحة، وأن يرسم صورة حقيقة لها، كان بالفعل قد انتهى من لوحته، وصوت والده يناديه من وراء الباب:

- أحمد.

التقط لوحته البسطة التي تضم طفلاً صغيراً، يهدي وردة إلى صديقته، تحرك الصغير بخطى متعثرة نحو والده:

- بابا شوف أنا رسمت إيه.

التقط خالد اللوحة مبتسماً:

- الله! إيه الجمال ده! مين دول بقى؟

وضع أحمد أنمله على اللوحة ثم أشار إلى محتوياتها:

- ده أنا، ودي كريستين، ودي وردة.

تعالص صوت ضحكات خالد ثم قال:

- ماشي يا بطل، إبقى المرة الجاية إرسمني أنا وماما معاك..

أوماً أحمد برأسه ثم أشار إلى أحد اللوحات على الحائط متسائلاً:

- إيه اللي في الصورة ده؟ أنا بشوفها كثير أوي.

- دي يا أحمد رسمة لواحد أجنبي كبير، راسم فيها شمعة بتنور،
ويقول إن الشمعة دي أحمد، والحبل بتاعها ماما، والنار اللي بتولع
وتنور دي هي بابا، يعني كلنا لازم نبقي مع بعض عشان نقدر
نعيش..

عادت سلوى بالذكريات إلى حاضرها، وتنهدت وهي تدعو لابنها
أن يوقفه الله، ويتم قبول مشروعه، حتى يكمل آخر عامين له بكلية الفنون
التي يحلم بها منذ الصغر.



بعدها انفض المجلس الذي عكّر من صفاء ذهنه المشغول سلفاً
بآماله وآلامه، يتمنى أن يمر اليوم بسلام، وألا تتزايد همومه، فرؤية
كريستين دائماً ما تبدد سعادته، ولكن ليس اليوم، انتهى من ارتداء
ملابسه، ومشط شعره الأسود الداكن، ثم حمل حقيبته واتجه إلى الجامعة،
كلما اقترب أكثر تتزايد دقات قلبه، حتى وصل إلى الباب وتسمّر أمامه،
كأنه لا يريد الدخول، شجعه فرحة معظم الناس بالقبول، أخذ نفساً
عميقاً، ثم أخرجه كاملاً من صدره متجهاً إلى اللوحة المعلق عليها أسماء
المقبولين، وتحركت اليد الأخرى لتمسح ما تراكم من العرق، تهادى

بأصابعه بين الأسماء، ثم زينت ابتسامة عريضة وجهه عندما اهتدى إلى اسمه، لم ينتهِ بعد، عاد لبحث في الأسماء المتبقية حيث بالفعل كان أول المقبولين، لكنه لم يلحظه من شدة توتره، اعترته فرحة عارمة، وأخذ بالبحث عنها، أخبره أحد أصدقائه أنها علمت بنجاحه، ثم أكمل أحمد بحثه عن سارة صديقه.

وقف أحمد عندما كان على مقربة من سارة التي باتت جالسة أمامه ببضع خطوات، وقف أحمد ولم يحرك ساكنًا، وأحس بتسارع نبضات قلبه التي كادت أن يسمعها المارة، بدا وكأنه يفكر في أمرٍ ما، وبدأت على سارة الدهشة من ردة فعل أحمد التي لم تفهمها، فكر أحمد في الكلمات التي لم يرخ له جفن بسببها، وجعلت ليله يمضي كالدهر، والتي ستغير مجرى حياته، جال بخاطره، ماذا سيكون ردة فعلها عندما تطربها تلك الكلمات؟ الكلمات التي من شأنها أن تعبر كل الجسور، وتحتاج جميع الحصون والسدود، كلمات قد استراح قائلها ونَدِمَ من لم تتحرك له شفاةً بها، حروف صغيرة ستحدد مجرى العلاقة، فقد سئم أحمد من بر لا تتواجد فيه حبيبته، بر أصبح خاويًا، تضائلت فيه المشاعر وتكاثرت فيه الذنوب، وهم قلب أحمد أن يمزق كل القيود، ويصب من فيض مشاعره حبًا من أجله، سوف تصبح الفارس الذي لا يقهر أو الملك الذي يُضحى بمملكته من أجلها، أو البطل الذي سيعبر كل السبل إليها.

تقدم أحمد ثم جلس بجوار سارة:

- إيه اتأخرت عليكى؟

قالت سارة بابتسامة:

- لا عادى ولا يهمنى.

حرك أحمد يده بين شعره الطويل بعدما تنهد:

- أنتى عارفة الزحمة بتبقى الصبح موت، والطريق كان واقف أصلاً.

أومأت سارة برأسها، وصوبت بصرها أرضاً على أمل أن يفعل أحمد شيئاً، فقد شعرت هي الأخرى.

على الجانب الآخر يظهر على أحمد علامات التوتر، حرك أحمد يده المرتعشة؛ لتمسح بعض قطرات العرق المتساقط على جبينه الساخن، فجأة وبدون أدنى مقدمات تحررت يداها، وانزلت؛ لتعانق يده المتندبة:

- وأنا كمان بحبك يا أحمد. وهفضل جمبك وعمري ما هسيبك..

اتسعت حدقة عينه وتباطأ الزمن، وعجز لسانه عن النطق، سيطر الخوف عليه نوعاً ما، على الرغم من تسهيل سارة الأمور وتقصير المسافات، قال أحمد بسرعة وهفةٍ شديدين متلعثماً أو متمنياً أن تمر الكلمات كالبرق:

- سارة. أنا بحبك وعازب أنقدملك..

ابتسمت سارة متلألئة، عيونها تشع بالفرحة، خاجلة على غرار ما فعلت، ثم قالت بدلالٍ:

- وأنا موافقة يا سيادة الرسام..

ابتسم أحمد، ثم نظر إلى القلادة التي تحمل شكل البومة ذات الأعين الواسعة:

- لسه بتلبسي البومة دي؟

ابتسمت قائلة:

- أنا بحبها أوي، دى أول هدية إنت جيبتهالي.



نزل من سيارته الميري حيثما توقفت أمام قسم شرطة سيدي جابر، ارتدى نظارته السمراء، وتقدم وسط تحيات العساكر المتراصين على بوابة القسم والطرقات وبادلهم التحية العسكرية حتى وصل إلى مكتبه الموجود بأخر الرواق، دلف إلى الداخل وخلع سترته ثم جلس على كرسيه يقلب بالهاتف إلى أن وصلت قهوته.

وضع العامل القهوة على المكتب ثم اعتدل قائلاً: — صباح الخير يا محمود باشا.. طارق بيه سأل على سعادتك.

أوما برأسه ثم قال:

- ناديمولي يا جابر..

أدى العامل التحية منصرفاً:

- تحت أمرك يا باشا.

أخرج من أحد أدراج المكتب ملفاً ربما أنه حديث العمل عليه، ووضعه أمامه، والتقط أحد الأقلام، وبدأ يمرره بين أصابعه، بدا الأمر وكأنه مستحيل، أخذ يحرك رأسه يميناً ويساراً، وينفث عن همومه بدخان سيجارته التي أشعلها للتو، انتهى الوضع بإدراج الملف إلى مكانه مرة أخرى، ثم التقط هاتفه لكن قاطعه وصول الضابط طارق.

دخل طارق ثم جلس قائلاً:

- محمود باشا.. مبروك الترقية يا سيادة المقدم.

قال بدون أن تتبدل تعابير وجهه:

- شكرًا يا طارق.. نبقى نفرح بعدين، المهم مفيش أخبار عن القضية:

تنهد ثم قال:

- والله مفيش يا باشا. احنا مراقبين التحركات من بعيد لبعيد، مفيش جديد، صفقات جديدة مع واحد اسمه «منصور صالح»،

فيه علاقة وطيدة بينهم، وفيه واحد اسمه «شرف» شكله دراعه
اليمين اللي بيظهر فجأة ويختفي فجأة.

دار الضابط حول المكتب ليجلس أمام طارق:

- تمام يا طارق.. خلي بالك اليومين دول، وزود المراقبة واجمعلي
معلومات عن منصور صالح ده.

تسأل طارق بفضولٍ ظهر عليه:

- هو ليه سعادتك الحكومة مهتمة بالراجل ده؟ مع إنه معروف في
السوق بنزاهته.

تهكم محمود قائلاً:

- دي الأوامر يا طارق. وبعدين ميغركشي الظاهر، الناس دي بتاخذ
أعمال الخير عباية تغطي بلاويهم.

أوماً طارق متقبلاً النصيحة:

- تمام يا أفندم..



دخل أحمد إلى غرفته والسعادة تغمره، فقد حقق ما يريد ووصل إلى مراده،
وانزاح الجبل من على صدره، أسند ظهره إلى سريره وعلى غرار ما يفكر به أتى

مصطفى إلى باله، صديقه الذي لم يرأسله منذ مغادرته للبلاد، نظر إلى السقف وأغمض عينيه مبتسماً..

وسط الحشود التي تملأ الفناء الواسع للمدرسة، يقف أحمد ماسكاً بيد والدته مرتدياً الزي المدرسي ذو اللون الأصفر المائل إلى البياض قليلاً والسر وال البني الذي يصل إلى نصف ساقه، يلتفت برأسه وهو يضع سبابته اليمنى بين شفته السفلية وأسنانه؛ ليرى التجمع الهائل من الأمهات والأطفال في أول يوم لهم في الحياة الدراسية، بين الضجيج الذي تحدثه الأمهات، تحدث أحد الأساتذة بمكرفون المدرسة أمراً الأمهات بترك أطفالهم والمغادرة، قبّلت سلوى أحمد، ثم تركته يستهلّ يومه.

دخل أحمد الفصل ثم جلس في الدكة الثانية من الصف الثالث بجوار الشباك، اقترب أحمد من الطفل الجالس بجواره وهمس قائلاً:

- أنت اسمك إيه؟

- مصطفى.. وإنت اسمك إيه؟

- أحمد.. نظر أحمد بفضول:

- إنت بتعيط ليه؟

مسح مصطفى وجهه بظهر يديه، ثم قال:

- أصل أنا ماما سابتني ومشيت.

ربت أحمد عليه قائلاً:

- معلش، معلش، أنا ماما برضه سابتني ومشيت.

ثم أخرج أحمد الطعام من حقيبته، وتقاسمه مع مصطفى.



تحت رحمة عقرب الساعة وتوتر اللحظات وضيق الوقت، يجلس الطلاب وسط سذاجة المراقبين بقطرات العرق التي لم تفارق جباههم، نظر أحد المراقبين بساعته ثم قال بالصوت العالي الغليظ:

- فاضل عشر دقائق والوقت يخلص..

انتظر مصطفى إلى أن أدار المراقب ظهره، ثم قال بخفوتٍ شديدٍ:

- أحمد، أحمد.

رد أحمد بنفس الشدة:

- إيه يا مصطفى؟

- السؤال الثاني..

اعتدل مصطفى في جلسته وهو يأخذ رشفة من كوب الكابيتشينو الموضوع أمامه في أحد الكافيهات التي تطل على البحر وسط أغاني عمرو دياب، ابتلعها وابتلع معها مرارة الامتحانات التي بالفعل انتهت، نظر إلى أحمد قائلاً:

- إيه يا معلم إنت نشفت ريقى النهاردة في اللجنة.

لم يجب أحمد ثم أردف مصطفى قائلاً:

- أومال لو مكناش أصحاب من اللفة بقى.. حتى المدارس الخاصة بيعملوا فيها كدا!

تهند أحمد ثم نظر إلى مصطفى:

- تفتكر هتيجي؟

وقبل أن ينتهي أحمد من عبارته سحبت سارة أحد الكراسي وانضمت إليهم ثم قالت:

- أخيراً خلصنا المهم عايزين نحتفل..

ابتسم كل الجالسين إلا مصطفى زوى ما بين حاجبيه، لكن سرعان ما تدراك تعبيراته ومُلت حنايا وجهه الداكنة بابتسامة تعبر عن خفايا قلبه.

قال مصطفى:

- خلاص هنحتفل..

قالت سارة مقاطعة:

- أنت هتقدم فين يا أحمد؟

- فنون جميلة.

ابتسمت سارة قائلة:

- ياااه وأنا كمان..

من أول وهلة تدخل فيها المكتب، يتراءى لك أن ذاك الرجل قد حقق من الإنجازات والنجاحات ما يجعله أحد أهم رجال الأعمال في البلدة، في ظل الكفاح والنضال الذي يعكسهما المكان بذاك الحائط الممتلئ بالشهادات وأوراق أهم الصفقات، يجلس يحيى حزيناً يضع قلمه بين أصابعه تارة يمرره فوقها وتارة يضعه أمامه، التقطه مرة أخرى ثم بدأ ينقر به بتتابع ثابتٍ مستنداً بظهره إلى الكرسي، ينظر إلى صورة ابنته ووالدتها، وبدأ من تعابير وجهه أن جراحه لم تُداوى بعد، قطعت نيفين سكرتيرته الخاصة صفوه؛ لتخبره أن شرف ينتظره بالخارج:

- ماشي يا نيفين خليه يخش.

دلف شرف إلى الداخل ورأى من الجيد أن ينتظر بعض الدقائق قبل أن يتحدث حتى يعطيه لرئيسه بعض الوقت محاولاً أن يشاركه حزنه،

مسح يحیی دموعه ثم تحدث شرف قائلاً:

- البقية في حياتك يا باشا، تعيش وتفتكر.

تنهد مستاءً:

- النهارده الذكري السنوية لموت سُمية.. وضع يده خلف رأسه:

- يااه 21 سنة فاتوا على فراقك كأنهم عمر لوحده، والله ما بتروح

عن بالي ربنا يرحمها.

اعتدل في جلسته ثم أردف قائلاً:

- المهم أنت عملت إيه؟

حاول شرف أن يبعث بعض السعادة بحديثه:

- كله تمام يا باشا، سلمنا البضاعة وشحنا العربيات، وهنبدأ التوزيع

النهارده على الفروع.

حرك يحیی إصبعه محذراً شرف:

- شيبك على الحاجة قبل ما توزع، ومتنسااش تعدي عليا بالليل.

ثم فتح الدرج وأخرج حفنة من النقود:

- خد الفلوس دي وزعها على الرجالة، وشوف حد مآملنه يوصل ويسلم.

ألتقط شرف النقود ثم أوماً برأسه:

- تمام يا باشا.

همَّ القارب أن يصل إلى الشاطئ، ها هو قد قطع الكثير من الأميال بالمحيط، بأمواله العنيفة وأسماكه الشرسة، ولم يعد إلا الميناء الأخير حتى يصل إلى مبتغاه، ولكن يظل الإحساس بالندم والشعور بعدم الرضا يكمنان في أعماقه وحزنه على فقد أقرب الناس إليه يشبط من عزائمه، ولكن هو يعلم ما يفعل سوف يعلق آماله على الرياح التي ستقود شراعه إلى مرساته.



- قولتلك يا طارق راقبهم 24 ساعة، والصبح تقولي مفيش جديد،
ما هو لازم ميكونشي فيه جديد.

حاول طارق أن يتلع غصته:

- يا باشا مراقبينهم بس نعمل إيه الراجل كل صفقاته سليمة.

أسند ظهره إلى المقعد الجالس عليه وزفر بقوة وهو يحرك رأسه
يميناً ويساراً، أغلق عينيه وضغط عليها بقوة ثم انفرجت بقوة صحبتها
ضحكة متساخرة، نظر محمود إلى طارق بتهكم:

- قولي يا طارق أنتم مراقبين السكرتيرة.

اعتدل طارق بجلسته وحاول أن يمحو علامات الحرج، كيف لا يتطرق إلى أمر السكرتيرة؟ كيف ذلك؟ وكل أعمال يحيى زهران تصب تحت يديها، انتظر طارق أن تأتي بارقة أمل تجذبه إلى الركن الدافئ حتى يشعر الضابط محمود بالمجهود الذي يبذله طارق في أول قضية تُسند إليه من هذا النوع. هكذا البدايات يكون بداخلك الهمة والقوة في بداية الطريق، وعندما تقابل أولى أشواكه ويلدغك أضعف عقاربه، تشعر أن الطريق أُغلق، وتشعر بوهنك ثم تأتي الصاعقة التي تنبهك وتبين لك مدى حماقتك وقلة خبرتك ببادئ الأمر.

زفر محمود ثم قال:

- بقولك إيه احنا نركن القضية دي على جنب شوية، ونشوف شغلنا لحد ما يجد جديد.

تخفف اللون الأحمر من على وجه طارق، ثم تابع محمود قائلاً:

- ركز في شغلك اليومين دول، وشوف قضية تانية، القواضي كتير مش هنعطل نفسنا على مافيش.



انطلقت بشروء آلمتها نظرات أحمد وتعبيراته السخيفة، حزينة على ما أصابها وتمنت لو يفهم أحمد ما تشعر به، يبدو أن قلبها مشغوف به ومتعلق بأحبال قوية مرخاة بالجانب الآخر، نظراتها لا تكل ولا تمل، آمالاً أن تجد من يهتم بها. فشعورها الدائم بالوحدة والإهمال أجبر قلبها على أن يتخذ من العشق مسلكاً على غرار اختلاف الأديان. ولكن هيهات لمن يريد العسل بدون لدغاته، فما تريده صعب المنال ويحتاج إلى بعض المعادلات والتطبيقات إضافة إلى التوضيحات، ليس ذنبها، في الحب لا توجد معادلات، فقط شعور يُتبع بنظرات، توقفت عن التفكير بعدما تضاربت أفكارها، أخذتها أقدامها إلى الكنيسة التي يبدو من ضخامتها وبنائها المطرز الواسع أنها أحد أهم الكنائس بالإسكندرية، يبدو أن حينها يتكبلها هذا الشعور تأوى إلى الشخص الوحيد الذي يسمع لها ويقدرها، تمشت قليلاً إلى الذي يرتدي الرداء الأسود الطويل ويتدلّى إلى منتصف بطنه صليباً ويغطي رأسه قلنسوة دائرية لامعة، انتهى القس من قراءة بعض آيات الإنجيل ثم وضع الكتاب بعد أن انحنت كريستين على يديه وقبلتها ثم اعتدلت، وقالت بابتسامة شاردة:

- صباح الخير يا أبونا.

أوماً القس برأسه:

- بارك الرب فيكي يا ابنتي.

عقدت وجهها وصوبت بصرها أرضاً وهي تقول:

- أنا مش عارفة مالى اليومين دول، حاسة إني دايمًا مخنوقة ولوحدي
وبفكر كثير إني أسيب البيت.

قال القس باهتمام شديد:

- أنتي بتي عند جيرانكم النهارده؟

رفعت حاجبيها وسيطر الصمت عليها للحظات، ثم قالت:

- آه، حضرتك عرفت مين؟

ابتسم القس واضعاً يده على كتفها:

- أنتي من أول يوم جيتي فيه هنا وحكييلي عنك وعن عيلتك
وأبوكي الي دايمًا سايبك لوحداك، وأنا عرفت إيه أكثر حاجة
بتضايقك، وأنتي باين على وشك إنهم مزعلينك جامد أوي..

ثم تابع قائلاً:

- وهدعيلك إن الرب يفتحلك طريقه، ويهدي والدك وتكوني مع
المسيح والعذرا.

أرسلت تنهيدة حادة ثم مسكت يد حقيبتها:

- هما بيحبوني جامد وبيعزوني بس أنا مش حابة الوضع ده، وبزهق

لما بحس باختلاف وجهات النظر، وبتضايق كل ما بابا يقولي
روحي باقي هناك.

دعاها القس للتجول ثم قال:

- أنتي إيه الي بيضايقك قدام ناس عايشين لوحدهم، وبتقولي
إنهم معتبرينك بنتهم من صغرك، أهم حاجة ده بس مياثرشي على
معتقداتك.

ابتسمت كريستين ثم قالت:

- لا، متقلقشي يا أبونا، أنا بحب ديني كويس ومتعلقة بيه أوي، بس
أنا ساعات بحس كدا بضيقه بس..

ثم أردفت بعدما زفرت:

- هبقى كويسة، أروح أصلي بقى قبل ما أطلع على المكتبة..

أحيانا تتغلب علينا المشاعر وتقودنا إلى أشياء مرغوبة وممنوعة،
تجعلنا نعيم بظلماتها ولا نهتدي برًّا إلا ذاك الذي نريده. آنذاك لن نشعر
بكم ستعاني؟ أو بماذا ستفقد؟ كل ما يشغل بالك نصفك الآخر، كل
أمانينا تعلق بوصال على غاربه، وسنظل متمسكين بكلمة، نظرة، أو ذكر
أسمائنا خطأ، فعندما نشعر بهذا تيقن وقتها أنك أصبحت عاشقًا.



بعدها سبّح بفيض الذكريات الهائل تذكر أن أبويه مشغوفين بسماع خبر نجاحه. يبدو أن ما حدث اليوم مع سارة أربك حساباته وتصاعدت مشاعره حتى سيطرت على عقله، اعتدل بجلسته ونهض من على سريره، واتجه إلى البهو فلم يجد والدته، ثم سمع صوتها تتحدث إلى والده بالهاتف في غرفتها، طرق الباب ثم دلف إلى الداخل بعدما أذنت له سلوى بالدخول عندما انتهت سلوى، تظاهر أحمد بالإحباط وخيبة الأمل وظهر على سلوى القلق الشديد، فقالت بحرارة شديدة:

- مالك يا ابني؟

زفر أحمد قائلاً:

- أنا للأسف..

صمت أحمد قليلاً وبرقت عينا سلوى وخفق قلبها، ثم تنهد قائلاً:

- نجحت والمشروع اتقبل.

نهضت سلوى واحتضنت أحمد بشدة، وبدأت تقبل رأسه والدموع تنهمر على وجنتيها، يال فرحتها بعد أن قبل مشروعه في الكلية التي يحلم بها منذ نعومة أظافره، ابتسمت وهي تقول:

- ألف مبروك يا حبيبي.

انضم خالد إليهم آتياً من الخارج، ثم نظر إلى سلوى التي مُلئت عينيها عن آخرها بالدموع، ثم قالت بنبحةٍ خفيفةٍ:

- أحمد نجح يا خالد.

نظر خالد إلى أحمد مبتسماً، احتضنه ثم قال:

- ألف مبروك يا بطل. مش قولتلك طول ما الشمعة موجودة في

حياتنا متقلقشي.. يالا تعالى عمك جورج مستنينا بره ومعاها مفتاح

العربية عشان نحتفل بالبطل بتاعنا النهارده.

عقد أحمد حاجبيه قائلاً:

- هو لحق يعملها صيانة في اليومين دول، دي كانت خرابانة خالص.

أشار خالد بيده قائلاً:

- يالا يا ابني الراجل مستني بره، وبعدين هو ده شغله، قال أنا

صلحتها، يالا يا سلوى احنا في ولا إيه.

اتجهوا جميعاً والتفوا حول جورج على الأريكة، نظر جورج إلى

أحمد متسائلاً:

- عملت إيه يا أبو حميد؟

تساخف أحمد في الرد:

الحمد لله. المتوقع يعني يا عم جورج نجحت.

- مبروك يا أحمد ربنا يوفقك.

أدار جورج وجهه إلى خالد مسنداً راحته إلى كتفه:

- شفت العربية وانطمنت عليها.

تهكم خالد قائلاً:

- هي يعني كانت تعبانة، هو يعني الشكمان كان يطلع صوت خفيف حبتين.

ثم نظر إليه خالد باهتمام:

- صحيح احنا خارجين النهارده بمناسبة نجاح أحمد، ما تجيب كوكي وتيجو معانا..

أقفل عينيه معبراً عن إرهاقه، ثم قال بنبرة ممزوجةٍ بالتعب:

- ارحمني بقى نخرج فين، أنا مطبق بقالي يومين. أنا هروح أساساً أترمي على السرير. افرح أنت وانبسط وبعدين عايز أشوف كريستين.

سألته سلوى:

- هي لسه مرجعتشي من المكتبة؟

- مش عارف، أما أقوم أشوفها بقى.

عاد جورج إلى شقته بعد يومٍ شاقٍ لم يذق فيه النوم، اتجه جورج إلى غرفته بعدما تفحص غرفة كريستين، جلس على طرف سريره المرتب بعنايةٍ شديدةٍ ثم خلع حذائه، واستلقى على السرير بملابسه وغدا بالنوم لكن أقلق راحته صوت باب الشقة عندما عادت كريستين من الخارج. رأت كريستين مفاتيح والدها على الطاولة فاتجهت إليه، دقت كريستين على الباب ثم اعتدل جورج في جلسته:

- تعالي يا حبيبتى.

أقبلت كريستين وجلست بجوار والدها قائلة:

- أنت إيه اللي أخرك امبارح يا بابا؟ وإزاي متجيش تبات معايا؟ ما أنت عارف إني بخاف أنام لوحدي.

أسند جورج ظهره إلى السرير ثم أصدر بعض الآهات:

- معلشي يا بنتي، خالد كانت عربيته بايظة فسهرت عشان ألحق أخلصها، أصلها كانت عايزة كتير عشان هيخرجوا بيها النهارده.

ثم أضاف مبتسماً:

- صحيح أحمد نجح.

- أراحت كريستين ذقنها إلى قبضة يديها ثم قالت باستياءٍ شديدٍ:
- يا ريتني ما روحت، معرفتش أنام طول الليل، وكم إن اتخانقت مع أحمد الصبح وشكله زعل مني.
- حرك جورج يديه بين خصلات شعرها الناعم ثم ربت على كتفها قائلاً:
- لا يا حبيبتني متخافيش، أحمد مش هيزعل منك هتلاقيه بس كان متضايق شوية عشان النتيجة.
- تنهدت ثم قالت:
- ماشي يا عم جورج تاني مرة معتش تسبني تاني، هسيك دلوقتي تنام.
- قبلته كريستين ثم نهضت
- ابتسم جورج ثم قال:
- ماشي يا حبيبتني مع السلامة.



بعد أن أهداها أحمد العبارات التي اشتاق إليها قلبها، ظلت تتجول بسيارتها في أرجاء وضواحي الإسكندرية مطربة آذانها بأغاني لأم كلثوم التي تعشقها، وهواء البحر النقي الذي يداعب شعرها، ويتعالى صوتها

كلما تعالت الأزوجة أخذت تتمايل وتراقص إلى أن وصلت إلى منزلها، دخلت سارة من باب الفيلا المطل على الحديقة الجانبية لتجد والدها جالس بجوار حمام السباحة يراجع بعض أوراق العمل. وضع يحيى الورق ثم التقط كوب القهوة وهو ينظر إلى سارة متهمكاً:

- إيه، اتاخرتي كدا ليه؟ ده كنت هبعت السواق يدور عليكى.

رفعت سارة حاجبيها:

- هو أنا لسه صغيرة! ده بقى عندي 21 سنة، وبعدين أنا حافظة إسكندرية شارع شارع.

انضمت زوايا وجهه عبوساً ثم قال بتعبيرات غير مفهومة:

- وماله يا حبيبتى لو بقى عندك خمسين سنة هتفضلي سو الصغيرة أم ضفاير لون الذهب.

حركت سارة يديها بين خصلات شعرها، ثم تنهدت وهي تقول:

- حيث كدا بقى أنا عايزة أكلمك في موضوع كدا.

ابتسم يحيى ثم أومأ برأسه، ابتسمت سارة هي الأخرى ثم أردفت:

- أوكى. فيه واحد صاحبي معايا من أيام المدرسة وشاب لطيف جدا ومعايا في الكلية، كان عايز يجي.

يت..

قاطع رنين الهاتف أول حديث تتجراً فيه سارة مع والدها العنيد،
وتتحدث في أمر يخصها بشدة، ليست تلك أول مرة يقاطعها ذاك المشؤوم،
نظر إليها يحیی بنفس التعبيرات الدائمة التي تعتریه عندما يشعر أنه مقصر
في حق ابنته، قال يحیی:

- معلشي يا سو. نكمل كلامنا بعدین ونشوف موضوع الشاب
اللطيف ده.

عوضاً أن تجبر سارة والدها أن يجلس معها ونكمل حديثها، ابتسمت
مجرة على غرار شخصيتها القوية التي تتلاشى جميع ملامحها عندما
تتحدث مع والدها. يجب أن يعلم أباه حتى تمهد الطريق لأحمد؛ حتى لا
تنشب أحداث هي في غنى عنها، تهوي بالعلاقة إلى شفا الجرف وتسقط
في الهاوية بذكرياتها وأحداثها.

سحب سيف (أخو سارة) الكرسي ثم ضرب سارة على
يديها ليشعرها بوجوده.

- إيه الشجاعة الي أنتي فيها دي! أنا مصدقتش لما قولتيلي في
الموبايل. ده أنا مقدرشي أعمل الي أنتي عملتيه ده، يخريت
جرأتك يا شيخخة.

أرسلت تنهيدة حارة ثم تسأل سيف:

- مالك؟ قولتيه ولا لا.

حركت رأسها ثم قالت:

- لا، كنت خلاص بتكلم معاه، بس زي عوايده تليفونه رن وقام

جاي ماشي راح الشغل..

أمسك سيف يديها ثم قال مبتسماً:

- بكرة جاي يا سو. متزعلش نفسك.



عندما تشعر بالسعادة يميل قلبك إلى إسعاد الآخرين وخصوصاً
أقربهم إلى قلبك. لكي يتم الأمر على الوجه الصحيح، هندم أحمد ملابسه
وخرج متسارعاً، لكي يلحق بوالديه الذين ينتظراه بالخارج، وضعت
سلوى يديها بين ساعد أحمد وعضده واتجهوا إلى السيارة والتفوا حول
أبوابها، أخرج خالد المفاتيح من جيبيه وحركها قائلاً:

- امسك يا بطل. أنت أول واحد هيجرب العربية.

هز أحمد كتفه ثم رفع يده قائلاً:

- لا ماليش دعوة يا معلم. جرب أنت عربيتك عشان لما تبوظ
متقولش أحمد اللي بوظها.

زوى خالد حاجيه ثم قال:

- عيب عليك يا بطل الأبطال. دي عربيتك وفداك ألف عربية يا
حبيب قلبي.

التقط أحمد المفاتيح ثم قال:

- هات يا عم. لما يحصل حاجة متلبسها ليش بقى.
ثم أضاف:

- هتركبي فين يا ماما..

أمسكت سلوى ذراع أحمد ثم قالت:

- هركب جهمك يا حبيبي. خليه يركب لوحده ورا.
ضحك أحمد متساخرًا:

- باعتك في ثانية، مش ممكن على غدر الزوجات.

سيطرت الاقتراحات والآراء بين الرفض والقبول، وتعالى
الأصوات في آنٍ واحدٍ، يتهرب أحمد تارة لأن المكان لا يلائم عصره،

واعترض سلوى أنه سيزج المكان بالكثير من الناس، واقتراحات خالد التي لا تُلاقى أي ترحيبات، قالت سلوى:

- بقولكم: احنا نروح نقف على البحر شوية. الهوا يرد الروح. وبعدين براحتنا كدا نتفق ونشوف هنروح فين.

ثم صرخت سلوى عاليًا:

- حاسب يا أحمد.

ارتطمت السيارة بعربة نقل كبيرة، وانقلبت على جانبها ووقعوا مغشيًا عليهم جميعًا. وصلت سيارة الإسعاف بعد أن تلونت الأرض بدمائهم، ووقف المارة بدون تدخل من هول الموقف. هل توقفت قلوبهم عن النبض؟ أم أن الأقدار شاءت أن يتنفسوا مرةً أخرى. أسرع المسعفين وحملوا المصابين ونقلوهم إلى المشفى القريب من الحادث، نقل الأطباء أحمد وسلوى إلى غرفة العمليات بينما نُقل خالد إلى غرفة الطوارئ؛ لتضميد جراحه التي ليست خطيرة، حتى وإن توقف نزيف جراحه سيظل قلبه يدمي إلى أن يطمئن عليهم. تعالت آهاته ثم نزع يد الممرضة واستوى واقفًا، ولكن ما لبث أن استقر أرضًا، ساعدته الممرضة على الوقوف:

- إيه بس يا عمي عايز تروح فين؟ ابنك ومراتك في العمليات، ادعيلهم ربنا يقومهم بالسلامة.

كلما طال الوقت ازدادت الدموع متمنيًا أن ينطوي الوقت وينكمش؛ كي لا ينفطر قلبه. رفع يديه مناجيًا ربه ثم قال: يارب سترك. يارب استر. يارب.



وسط الارتباك والقلق يصطف الأطباء حول أحمد محاولين التحكم في النزيف والوصول بالضغط إلى حالة مستقرة. نظرت إحدى الممرضات إلى كيس الدم المعلق على أحد الأعمدة، ثم نظرت في الشاشات ولاحظت بعض الاستقرار بمعدل ضربات القلب والضغط ومعدل الأكسجين. على الجانب الآخر يحاول الأطباء إنعاش قلب سلوى، يضغط الطبيب بكلتا يديه على صدر سلوى، ويعطيها نفسًا بالخرطوم الموصل بربقتها، ضغط الطبيب مرارًا وتكرارًا، ثم توقف، وأمر الممرضات بفصل الأجهزة معلنًا مغادرتها للحياة.



أسرع بشروء لا يعلم إلى أين يهتدي متكئًا على الجدران. تسارعت خطواته عندما رأى أحدهم، رأى الطبيب خارجًا من غرفة العمليات، نادى خالد على الطبيب بصوته المتهدج:

- دكتور. دكتور. ثم سقط خالد أرضًا، استدار الطبيب، ثم ساند خالد قائلاً:

- إيه بس الي مخرجك من أوضتك بالحالة دي يا حاج. تنفس خالد بصعوبة ثم ابتلع غصته:

- مراقي وابني يا دكتور. كانوا معايا في الحادثة، وبقا لهم كتير في العمليات.

ضم الطبيب شفتيه، ثم تنهد وهو يقول:

- والله يا حاج، أنا مش عارف أقولك إيه..

ارتعش خالد وتساقطت بعض قطرات العرق على وجهه ممزوجة بالدموع ثم قال:

- قول يا دكتور. أنا راضٍ بقضاء ربنا.

قال الطبيب:

- ونعم بالله يا حاج. ربنا قدر إن ابنك يعيش ومراتك تموت. البقية في حياتك.

نزلت تلك الكلمات كالبرق على صدره، لا يعلم هل يسعد لأن قدر الله شاء أن يعيش فلذة كبده، أم يحزن لأجل مشيئة نفس القادر؟ تعالت صرخاته وتعالى معه أنينه، سيعاني خالد ألم الحرمان والفراق والاشتياق، سيتمنى الموت للحاق بها. ومن الآن فصاعداً ستسيطر بعض

المشاعر عليه، سيدلف إلى شقته وحيداً. ذاك الصوت الرقيق لن يسمعه مرةً أخرى. سيجد المنزل خاوياً واسعاً على العيش بدونها. تحامل خالد وحاول الصمود، واتكأ إلى أن وصل لغرفة الأطباء، دلف إلى الداخل وطلب من الطبيب رؤية سلوى، لكن أخبره الطبيب أن جثثها ذهب إلى المشرحة، ولن يقدر الطبيب إعطائه ذلك الإذن. طلب خالد من الطبيب مرةً أخرى أن يسمح له برؤية أحمد بعد أن تم نقله من غرفة العمليات. دخل خالد إلى الغرفة المستلقي بها أحمد، وأوصد الباب خلفه بهدوءٍ؛ حتى لا يوقظ أحمد. تقدم خالد، ثم سحب أحد المقاعد وجلس بالقرب من أحمد المغطى وجهه بالشاش وآثار كدمات على وجهه، أمسك يده وبكى:

- أنا مش عارف أقولك إيه. حمدلله على السلامة ولا أقولك إن أمك ماتت. أنا عارف أنت بتحبها قد إيه، وعارف إنها بتحبك كمان، وعارف إن أنت راجل وهتستحمل، الموضوع فعلاً صعب علينا، إن شاء الله هتقوم بالسلامة، هي راحت لي أحسن مني ومنك، ربنا يرحمها.

قبّل خالد يده، ثم وضع جبهته على يد أحمد وتعالى بكأوه، ثم شعر أن يداً ما تربت على ظهره. التفت خالد ونظر إلى الممرضة بعينيه المملؤتين بالدموع، قالت الممرضة وهي تغير أحد المحاليل الموضوعه بجانب أحمد:

- فيه ظابط مستني حضرتك بره.

أوماً خالد برأسه ثم أفلت يد أحمد وانصرف خارجاً، تقدم الضابط
ثم سلّم على خالد قائلاً:

- البقية في حياتك يا أستاذ خالد. أنا الضابط طارق مجدي من قسم
شرطة سيدي جابر. احنا عملنا محضر بالواقعة وكنا عايزين نأخذ
أقوالك وأقوال أحمد ابنك لما يفوق من البنج.

أخرج الضابط كارتاً يحمل هواتفه وهاتف القسم الخاص.

- الكارت ده فيه رقمي ورقم القسم، لما تفوق وتخرج من المستشفى
وتطمئن على ابنك، ابقى عدي علينا في القسم عشان نأخذ أقوالك.

قال خالد:

- تحت أمرك يا باشا.

قال طارق:

- ومرة ثانية، البقية في حياتك.

استدار خالد ليعود إلى غرفة أحمد، جلس على الأريكة عندما رأى
جورج وكريستين قادمين بآخر الرواق. لم يقدر خالد أن يقابلهم بسبب
قدمه المجروحة، تساند على الحائط، أسرع جورج بخطواته، ثم ساعد
خالد على الجلوس ونظر إليه مندهشاً:

- هو إيه اللي حصل؟

تنهد خالد ثم قال بنبرة حزينة:

- كنا خارجين وعملنا حادثة.

ظهرت علامات القلق على وجه جورج ثم قال:

- طب أحمد وسلوى عاملين إيه دلوقتي؟

وضع خالد يده على وجهه؛ ليخفي دموعه ثم تنفس بعمق قائلاً:

- سلوى ماتت.

جلست كريستين بجانب والدها واهتزت هي الأخرى من هول الموقف، وشرعت بالبكاء، ضم جورج خالد إلى صدره وربت على ظهره ثم قال:

- البقية في حياتك، البقية في حياتك يا خالد.

تعالّت صرخات خالد وهو يبكي:

- سلوى ماتت يا جورج. سلوى ماتت.

تسارع الوقت وفاق أحمد من المخدر، وقف خالد حائرًا بعدما أخبرته الممرضة أنه يمكنه رؤية أحمد الآن، كيف سيخبر أحمد؟ كيف سيحاول مداواة جراحه العميقة؟ يأمل أن يلهمه الله الصبر والسلوان، وأن يثبت

أحمد عندما يخبره خالد، بخطوات كانت متراجعة انطلق خالد، قرع الباب ثم دلف إلى الداخل وابتسم رغماً عنه قائلاً:

- حمد الله على السلامة يا بطل.

ابتسم أحمد متوجعاً وهو يعتدل ليسند ظهره:

- الله يسلمك يا بابا. أو مال ماما عاملة إيه دلوقتي؟

شُلَّ لسان خالد، وهربت الكلمات منه، وشردت بعيداً، وطى رأسه بين ركبتيه ودمعت عينه، عقد أحمد حاجبيه ثم اعتدل في جلسته قائلاً:

- مالك يا بابا؟ ماما جراها حاجة؟

أغمض خالد عينيه وقال بصوتٍ متهدجٍ:

- أملك.. ماتت..

الجزء الأول

الفصل الثاني

جلس حزيناً على فراشه متكفناً بغطائه ودموعه التي لا تنقطع، حزيناً على والدته، وتزداد مأساته كلما أحس أنه السبب فيما حدث. بعض الضمادات تحيط بجراحه الجسدية بوجهه وصدره وعظامه المكسرة، لكن الضمادات والجبائر لا تحيط بقلبه. أهو قاتل أمه التي يعشقها، التي تحمل جميع أحزانه وأفراحه ومصائبه وأسراره؟ الخزن الذي يأوى إليه عندما تتكاتف الدنيا وتقاتله مجتمعة، الصديق الوفي الذي عندما يلجأ إليه لا يخذله.

كان يتمنى أحمد أن تكون والدته أول من تعلم بأمر سارة، لكن قُطع ساعده وسيضطر مجبراً أن يكمل السير وحيداً، ويواصل الطريق متخطياً الصعاب بمفرده من الآن فصاعداً لن يلامسها أبداً، لن يتحسس يديها،

ولن يسمع صوت ضحكاتها حين يدلف إلى المنزل، لن تحببه، ولن تُعد له الطعام الذي يحبه. مؤلم جداً فراق الأم وخصوصاً في ريعان الشباب، حين تريدها أن تكون الداعم لما أنت مقبل عليه، وأن تساعدك على تحمل المصائب التي تُقسم الظهر في تلك المرحلة، لكن بلا جدوى فقد رحلت أُمي.

بين تأنيب الضمير ولوم الذات أمضى وقته تارة يبكي وتارة يبتسم عندما يتذكر مواقفه مع والدته يبكي عندما يتذكر نصائحها التي لم يعمل بها ظل أحمد بين تقلب المشاعر هذا إلى أن غاص بنوم عميق ليحلم بأمه آتية بإسداها الأبيض.

- أحمد، أحمد، أحمد.

التفت أحمد إلى الصوت:

- ماما، ماما.

ثم بكى أحمد بكاءً شديداً.

لم تسأله سلوى عن شيء، كانت عبارة عن ضباب وسط الجدران البيضاء، فقط قالت أيضاً:

- خلي بالك من اللي بيحبك يا أحمد..

- مين ده يا ماما؟ مش فاهم..

تكرر النداء ثانيةً:

- خلي بالك يا أحمد من اللي بيحبك..

استقيظ أحمد بعدما هزه خالد محاولاً إيقاظه:

- فيه إيه يا بابا؟

تحدث خالد بنبرة منخفضة قائلاً:

- فيه جماعة أصحابك مستنيينك بره، قوم قابلهم عشان بقاهم زمن بره.

نهض أحمد من على فراشه وذهب ليرى ضيوفه. قام كلاً من سيف
وسارة وسلموا على أحمد قائلين:

- البقية في حياتك.

تمالك أحمد دموعه التي أصبحت قريبة جداً ثم قال: — حياتكم الباقية.

أشارت سارة إلى أخيها ثم قالت:

- سيف أخويا الكبير صمم يحيي معايا يعزيك لما عرف اللي حصل..

قال أحمد ممتناً:

- شكرًا على مجيئكم. أنا قابلت سيف مرة متهيأ في النادي. كان نفسي نتقابل في ظروف أحسن من كدا، وضع سيف يده على ظهر سارة ثم قال:

- طب نستأذن احنا بقى، ونبقى نجيلك وقت تاني.

سلمت سارة على أحمد، وظلت ممسكة يده لفترة، وكأنها تريد أن تعانقه. هي تعلم ما يشعر وتريد أن تخفف عنه، قلبه يهيمها وبشدة، تنهدت وهي تقول:

- مع السلامة يا أحمد. شد حيلك، وإن شاء الله تقدر تتخطى المواقف الصعبة دي.

فُتح باب الشقة لتدخل كريستين التي بادلت سيف وسارة التحية، نظرت سارة إلى الصليب المعلق بصدرها، على غرار كريستين التي نظرت إليها بحنقٍ شديدٍ، اقتربت من أحمد، وجلست بجواره، ثم اعتدلت بجلستها، ثم نظرت باهتمام:

- أنت عامل إيه دلوقتي؟

أوماً أحمد برأسه، ثم تابعت كريستين:

- أنا كنت هجيلك بس باباك قالي إن أنت نايم.

حك أحمد فروة رأسه وهو يقول:

- كنت نايم، ده حتى ماما جايلي تقولي ألغاز هي كمان. رفعت كريستين حاجبيها قائلة:

- أنت بتقول إيه؟

زفر أحمد قائلاً:

- لا مفيش.

حركت يديها بين خصلات شعرها، ثم تلعثت وهي تقول:

- هما مين اللي كانوا هنا دول؟

قال أحمد بتهكم، فهو يعلم ما ترمي إليه كريستين:

- صحابي.

ثم تابعت كريستين أسئلتها:

- هي مين اللي كانت هنا؟

نظر إليها أحمد وحدّق بها مندهشاً ثم قال بضجر:

- قولتلك صحابي. وميت مرة قولتلك متدخليش في حياتي، وخليكي في حالك..

كادت أن تبتلعها بعينها عندما رأتها، لكنها كبحت جماحها
وسيطرت على نفسها. موقفها ضعيف، فهي ليست أخته أو صديقه.
وكالعادة كلمات أحمد ضايقتها، نظرت لأعلى ورسمت الصليب على
صدرها وهي تقول:

- يارب.. يارب..



في صمت الكلمات وحديث العيون تتحدث خبايا الذكريات
بكلمات معبرة عن ذويها. بدأ خالد بتقليب ألبوم صورته مع سلوى، وكلما
توقف عند صورة تأخذ معها دمعة من عينيه تسلك مسارها إلى أن تسقط
على الصورة. ضحكاتها ولحظات سعادتها وعمرهما الذي توالى أيامه
بينهما قد فارقت سلوى تاركةً له بعض الصور والذكريات التي تغذي
حاضره، لكن صورتها مطبوعة في ذهنه، لم تفارق خياله. قاطعه جورج
الذي من نظرة شعر بما يعاني منه صديقه، وقف على بعد مترين من فراش
خالد ثم آوى إليه وجلس بجواره، رمقه خالد بنظراتٍ تعيسةٍ ثم زوى
حاجبيه قائلاً:

- هو إيه اللي بيحصل ده؟

حرك جورج يده على ذقنه ذهاباً وإياباً، ثم أرسل تنهيده وهو يقول:

- أنت متأكد أنك جربت العربية قبل ما تتطلعوا بيها والفرامل كانت شغالة؟

أوماً خالد برأسه ثم تابع جورج:

- طب إزاي الظابط يقول إن سلك الفرامل كان مقطوع وإن الحادثة بفعل فاعل؟!

زفر وهو يفرد ظهره على السرير:

- مش عارف فيه حاجة ناقصة في الموضوع.

قال جورج متسائلاً بحذرٍ:

- أنا مشيك على العربية قبل ما تطلع من الورشة، وأنا أصلاً مجتشي غير ناحية الشكمان.

اعتدل في اهتمامٍ ثم حدجه كأنه يرمي إليه شعلات من النيران ردّاً على كلامه:

- وأنا معقولة هشك فيك يعني، الأمور اتطورت أوي وأنا لازم أخذ بالي قبل ما تحصل حاجة ثانية.

ثم أردف:

- حاجة تعقد، بلاش نظرات القلق دي، احنا أخوات، وأنا وأنت عارفين إن في حد ورا الموضوع ده، أنت متقولشي لحد حاجة وأنا هسافر اليومين دول أرتب كل حاجة، وأنت خلي بالك من الولاد.



الرجاء من سيادتكم ربط أحزمة الأمان قبل الاقلاع، الطائرة بها ثلاثة مخارج للطوارئ، اتبعوا العلامات الخضراء المكتوب عليها مخرج الطوارئ عند حدوث الأضرار.

عقد مصطفى حزام الأمان استعداداً لرحلة العودة إلى الإسكندرية، وتأهب واضعاً سماعة الرأس بأذنيه، واختار أحد أغانيه المفضلة مقرباً من نافذة الطائرة التي يملأها لون السماء الأزرق الساحر الذي يتغير للأبيض كلما ارتفعت الطائرة. رحلة العودة إلى الوطن بعد أول أجازة خارج البلاد دامت لشهرين بدي؛ ينجز بعض المشاغل لأبيه الذي كلفه بها كتدريب له.

قضى الوقت بين لعب بعض الألعاب على هاتفه و النوم الخفيف تارة أخرى. وأخيراً بعد ثلاث ساعات في الهواء هبطت الطائرة بمطار برج العرب مع ابتسامة لاحت لتزين وجهه، عندما اقتربت إحدى المضيفات منه وقالت مبتسمة:

- حمد الله على السلامة يافندم.

نظر مصطفى إليها، ثم ابتسم هو الآخر:

- شكرًا.

نزل من الطائرة حاملاً حقائبه، ثم انتظرها إلى أن تمر على الجهاز، وانطلق يجرها خلفه ذاهباً للساحة المخصصة للانتظار واستقبال الوافدين. لمح مصطفى منصور والده واقفاً بين الجمع مبتسماً لرؤيته، تبادلوا الأحضان، وحمل منصور أحد الحقائب:

- حمدًا لله على السلامة

أظن نسوان دبي مروقة عليك.

ضحك مصطفى عاليًا:

- نسوان إيه؟ ده شكل واحد النسوان لاعبة معاه برضه.

قهقه والده هذه المرة ثم أردف:

- طب يا لا بسرعة خلينا نروح لأمك زمانك واحشها، وبعدين عشان عندنا ميعاد مع عمك يحى في موضوع الصفقة الجديدة، وقبل ما يرجع علينا.

حذق مصطفى بمنصور وهو يغلق باب السيارة الخلفي:

- طب ما يرجع، إيه يعني؟ هو هيلاقى أحسن منك فين، وبعدين اللي باعنا خسر دلعنا.

مصطفى ذو العقدين والسنتين يرتاد كلية التجارة قسم إدارة الأعمال، خليفة أبيه لتولي مدير الشركة، ويكره يحيى زهران جداً لما يشعر به من تكبر وغرور، ويراه إنساناً محظوظاً.

بعد أن عادت إليه الروح بالعودة إلى بيته ومذاق طعام والدته الذي اشتاق إليه كثيراً، ذهبوا إلى يحيى زهران. في حجرة الاجتماع يجلس يحيى بالمنتصف ويجلس كلاهما عن يمينه ويساره، ويجلس أحد محامين يحيى زهران بجانب منصور، أشار يحيى إلى الملف الموضوع أمام منصور ثم قال:

- راجعت الورق كويس يا منصور باشا؟

ابتسم منصور وهو يغلق الملف قائلاً:

- هو احنا أول مرة نشتغل معاك يا باشا، وبعدين احنا من امنا بنراجع وراك؟

هز رأسه ثم نظر إلى مصطفى قائلاً:

- أبوك ده فطيع، والصفقة اللي فاتت غلبني معاه، بس سيبك أنت غطسان فين اليومين اللي فاتوا؟ كل ما أسأل منصور عليك يقولي مسافر، هو في حاجة بره حلوة ولا إيه؟ ضحك ثم تعلم وهو يقول:

- لا والله أبداً، ده أنا كنت بخلص شوية ورق لبابا من بره.

رفع حاجبيه ثم قال:

- مستعجل على الواد ليه يا باشا؟ وأنت حامي على الشغل كدا ليه؟ أنا عارف أنك بتعرف تتعامل، سارة كانت حكيالي عنك، وبمناسبة سارة هي زعلانة منك أوي وتقول مكلمنيش من يوم ما سافر.

عقد ذراعه إلى صدره وهو يقول:

- والله يا عمي يحيى، أنا ما كنت فاضي حتى أخذ نفسي من اجتماع للتاني، والعملاء كمان بقى دمهم لذيذ أوي.

ضرب يحيى على يد مصطفى ثم قال:

- وماله يا درش، شغل البيزنس عايز رجالة، شد حيلك كدا عشان الشركة الجديدة دي تعملها أنت وسيف اسم كبير.

ابتسم لكن من داخله نار تشتعل يريد أن ينفثها بوجه يحيى المغرور كما يسميه:

- إن شاء الله.



أسندت ظهرها إلى الأريكة الجالسة عليها في ذاك الجو الهادئ الذي بدأ أن يميل إلى البرودة قليلاً، وتغير لون السماء استعداداً للهطول بالأمطار كبداية فصل الشتاء بالإسكندرية، أمسكت كم قميصها الشتوي الطويل وهي تقلب الصفحة من كتاب الإنجيل الذي داومت على القراءة فيه. حدقت بشدة معتدلةً في جلستها عندما أستوقفتها بعض الآيات المدونة بالداخل التي بدت لها غير مفهومة، مالت إلى الأمام أكثر وأمسكت الكتاب بكلتا يديها، ثم أرسلت تنهيدة في صمتٍ وضمت الكتاب إلى صدرها، ثم أغلقته ووضعتة على المنضدة في استياءٍ، ثم عادت إلى وضعيتها ثانية، لكن هذه المرة برأسها وبدأت تفكر بمستقبلها العادي والآخر الممزوج ببعض المشاعر، توقفت عندما سمعت القرع الشديد على الباب كأن أحداً يريد هدمه، نهضت مضجرةً ناحية الباب.

- جورج فين؟

دخل الضابط مع العساكر الذين أمرهم طارق بتفتيش الشقة، نظرت كريستين بحنقٍ شديدٍ وهي تقول:

- أنت مين وعازي إيه؟

انضم خالد وأحمد بعدما سمعوا الضجيج الصادر من شقة جورج:

- فيه إيه يا طارق باشا؟

زفر الضابط بقوة وهو ينظر إلى كريستين العاقدة وجهها بشدة:

- أنا معايا أمر ضبط وإحضار للمتهم جورج عبد النور بتهمة قتل سلوى فايز..

انتشر مزيج من التساؤل والدهشة على وجه أحمد، بينما بدأت الدموع تغطي وجنتا كريستين الوردية، على غرار خالد الذي ضغط بقوة على فكه عندما سمع تلك الكلمات.

هبت العاصفة بعدما سكن ليلى وعوت الذئاب استعداداً للظفر بفريستها. بينما أتأهب لأشعل ناري أحطتها بدوامتها وبدأ المكان يتصاعد من حولي، أعميت عيناى ببرقها الشديد، وخرق أذناى رعداً، ولكنى سأأتأهب لأرقدها أمامي ذليلة جاثية تترجى الرحمة. وتلك الذئاب التي تحوم من حولي سأجعلها تندم على اليوم الذي سُمع لعوائها صدى.

أشعل سيجارة من العلبة الموضوعة أمامه، ثم نفخ الدخان عاليًا وهو يقول:

- بص يا جورج، عشان نلخص في موضوع القضية دي، وشغل أنا برىء ومعملتش حاجة وأبوس إيديك ما يكلس، فشوف نفسك كدا عشان نخلص المحضر.

بمقلتيه المترجبة الشفقة نظر جورج إليه، ثم تلثم وهو يقول:

- يا محمود باشا، أنا هقتلها ليه؟ وهقطع السلك بتاع الفرامل إزاي؟
أنا مسلم العربية لخالد سليمة، وهو قال لحضرتك كدا، والعذرا يا
باشا أنا مظلوم، وضع يديه أمامه وهو يقول متهكماً:
- والعذرا والعذرا اللي أنت بتحلف بيها يا جورج لو متكلمتش
لوصلك بإيدي لحبل المشنقة، ها اتكلم..
- دخل أحد العساكر إلى مكتب الضابط أثناء التحقيق ثم أعطى
محمود ورقة قائلاً:

- تمام يا أفندم. ده تقرير الشركة اللي شغال فيها المتهم.
- زفر الضابط ثم أشار إلى الكاتب قائلاً:
- اكتب يا ابني، يخلي سبيل المتهم بضمان محل إقامته.



- سيطر القلق عليها وكثرت الدموع بمقلتيها، ثم زاد قلقها جلوس
أحمد بجانبها منذ بضع ساعات بدون أن يتفوه ببنت شفه:
- إيه يا أحمد مبتتكلمشي ليه؟
- همهم ببعض الكلمات قبل أن يقول:
- هتكلم أقول إيه؟

- عقدت حاجبيها وهي تدير وجهها ثم قالت بحزم:
- طبعاً ما أنت مفكر إن بابا هو الي قتل طنط سلوى.
- هز أحمد رأسه ثم قال مضجراً:
- هقول كدا ليه؟ وبعدين إيه علاقة أبوكي بالموضوع؟ ما أنا لسه قايلك إنه خد براءة وجاي مع بابا.. أهم جم هقوم أفتحلهم..
- دخل جورج وخالد إلى الشقة، استوت كريستين واقفة وهرولت باتجاه جورج واحتضنته بشدة وهي تقول:
- حمداً لله على سلامتك يا بابا. ده أنا كنت هموت.
- قبل جورج رأسها ثم ابتسم قائلاً:
- تموتي! ده كنت أموت وراكي، وبعدين أنا مقعدتش ساعة في القسم.
- نظرت إليه بعينها العسليتين وهي تضع يديها على خده:
- بعد الشر عنك، إن شاء الله أنا.
- أقبل أحمد هو الآخر واحتضن جورج ثم قال:
- حمداً لله على سلامتك يا عمي، أوماً إليه جورج ثم أرسل تنهيده في إعياء قائلاً:
- الله يسلمكم يا جماعة. أنا هدخل أنام عشان أنا تعبان شوية..

دق أحدًا على باب الشقة، وهمَّ خالد بفتحه وما إن رأى الطارق حتى
حنى وجهه واتسعت حدقة عينيه، ثم أخبره خالد أن العنوان خاطئ.
التفت ليمنع الشكوك الذي أحس أنها حامت على وجه أحمد ثم
قال متلعثًا:

- ده واحد بيسأل على عنوان وطلع غلط.

ثم جذب جورج من ذراعه قائلاً:

- تعالى يا جورج عايزك.

لم تفارقه نظرات أحمد الذي كان قريب كفاية؛ ليشعر من ردة فعل
أبيه، أنه يخفي أمرًا ما.



متخفيًا بسواد الليل وحلته السوداء التي تعطي غموضًا أكثر، وشعره
الطويل الداكن الذي يغطي اللون الرمادي معظم أجزائه والتفافه الشديد
كالسارق، أظهرت خطواته السريعة الغير صاخبة أن الأمر عاجل وسري
تمامًا. عندما ذهب إلى الصيدلية المجاورة لبيت خالد، دفع الباب بسرعة،
ولكنه أغلقه بحذرٍ شديدٍ، وظل بضع لحظات يراقب الطريق الأمامي
والجانبى للصيدلية الذي عمّها الصمت في الوقت المتأخر من الليل بفصل
الشتاء. اقترب من الطبيب عندما رآه ينهض ليجلب له ما يريد.

- أجب لحضرتك حاجة يافندم؟
- التفت مرة أخرى ليتأكد أن المكان آمن، ثم أخرج حزمة من النقود وقدمها للطبيب وهو يهمس قائلاً:
- تعرف خالد غنيم؟
- تلثم الطبيب وهو ينظر إلى النقود بغرابةٍ شديدة:
- آه، يجي يأخذ دوا الضغط على طول مني.
- أمسكه من تلايبه وأخرج المسدس باليد الأخرى ووضعه ملاصقاً لعنق الطبيب عبدالله:
- هيجيلك تاني امتا؟
- ابتلع عبدالله ريقه المرير الذي مر كالعقم وهو يقول:
- كان معدي عليا وهو رايح القسم، وكان قايلي ع الدوا وساييلي الفلوس، وقال لي لما الدوا يجي هبقى أعدي عليك.
- أخرج من جيب المعطف شريط دواء.
- ثم أعطاه للطبيب قائلاً:
- الشريط ده شكل اللي بياخده بالظبط، لما يجي إديهوله وقوله الدوا ده زي اللي عندك، ده لو عايز تشوف «علا» تاني.

تهاطل العرق على جبينه، وأصبح غير قادر على البلع، وارتفع صوت تنفسه وهو يقول:

- بلاش علا بنتي والنبى، أنا هعمل الي أنتو عايزينه.

ضم حنايا وجهه وهو يقول بحزم:

وهات مفاتيح الصيدلية عشان نضيف الي عندنا في شريط الفيديو.



جلس خالد محاولاً إيجاد طريقة لفهم ما يحدث، وعلى الجانب الآخر يدخل جورج في نوبات من النوم تعباً، قال جورج في إعياء:

- خلاص يا خالد، هنعمل إيه؟ الي حصل حصل، سيبك بقى، ربك إن شاء الله هيعدها.

ابتسم خالد وهو يلتقط إحدى قطعات الكعك الذي أعدته كريستين، ثم تابع جورج قائلاً:

- بقولك: أنا تعبان ودماعي مصدعة؛ مخدتش الدوا، فشوفي كدا حباية عندك، أصل بتاعي خلص والحالة مقشفرة، والقبض هيتأخر وجسمي أساساً متكسر من التعب.

ضحك متساخراً وهو يعتدل:

- أنت عمرك اشتريت دوا، ما طول عمرك بتأخذ من الدوا بتاعى من يوم ما جالك الضغط. وفرحت أوي لما الدكتور كتبلك نفس العلبة، وعشان حظك حلو خلصت، وعشان حظك حلو برضه الدكتور كلمني دلوقتي وقالي الدوا جيه، روح هات الدوا وبعدين نتحاسب أنا دافع حقه يا أخويا.

قبل كتف خالد وهو يقول:

- ربنا يخليك يا أخويا ونقدر نردك الجمايل.

قال خالد متهكماً:

- ألا صحيح أنت مبسوط وأنت مسيحي.

وقف جورج وهو يتهمك هو الآخر:

- ما لقتشي غيرها، أعمل إيه بقى؟ نصيبي.

قبل أن يدلف جورج إلى الداخل أحس بصداع شديد يعصر رأسه بشدة، تذكر أمر الدواء وأُخرج أن يخبر أحمد أن يذهب ليجلبه، والوقت متأخر لا يسمح بخروج كريستين، استدار جورج وذهب إلى الصيدلية.

تنهد وقال بحرج شديد:

- بعد إذنك يا دكتور، كنت عايز الدوا بتاع خالد أصله تعبان ومش هيقدر ينزل.

اهتز عبدالله وإحمر وجهه، ثم ذهب إلى أحد الأرفف لجلب الدوا حتى يظهر الأمر عاديًا ولا يحدث بلبلة ولا يضر عبدالله، ارتعشت يدها وهي تجلب الدوا واستدار ببطء شديد مثبتًا قدمه بالأرض:

- اتفضل يا عم يا جورج.. هو صحيح ليك ولا لعمي خالد، ابتسم جورج وهو ينظر إلى الشريط ثم إلى الطبيب:
- لا، لخالد يا دكتور..

عاد ليجلس على أريكته التي تشغل حيزًا كبيرًا من البيت؛ ليتناول حبة دواء الضغط ليذهب الصداع الذي يعصر دماغه. جلس ثم ابتلع القرص متناولًا خلفه بعض رشقات الماء، مسندًا ظهره إلى الأريكة في تعب مغمضًا عينيه لمدة لا تتراوح الدقيقة، ثم تناول أحد كتب كريستين وبدأ يتنقل بين الصفحات. بعد مرور برهة زمنية قصيرة أحس بألم شديد ببطنه وعتامة تغطي عيناه، حاول أن يتكئ على المنضدة، لكن تأثير السم كان قويًا، وانتهى به الحال أن سقط أرضًا، استلقى باسطًا ذراعيه بجواره، وحاول مرة أخرى أن ينهض، لكن هدأت حركته حتى توقفت مخرجًا رغاوى تشبه فقاعات الصابون من فمه.

- بابا.. بابا.. أضحيك الساعة كام بكرة؟

صمت لبعض ثوانٍ، ثم كررت النداء:

- بابا.. بابا..

خرجت لترى والدها الذي هرولت ناحيته عندما رأت جسده مسجياً على الأرض، وكوب الماء المتساقط من المنضدة، جثت على ركبتيها وحاولت إنعاشه ببعض الضربات بكفها على وجهه لكنه لم يستجب. أجششت بالبكاء وهي تحاول فتح عينه، لكن بلا جدوى.

- البقية في حياتكم..

سقطت كريستين وكان آخر ما تسمعه أن والدها فارق الحياة. حاول أحمد إفاقتها ثم تنحى جانباً بعدما رأى بعض الأطباء والممرضات في طريقهم إليها، يحملونها إلى الداخل.



بعدما قضت ساعات جالسة على سريرها بالمستشفى، تذرف ما تبقى من الدموع على أبيها الذي مات بين طرفة عين وانتباهتا، كما يأتي دومًا، يصعب على ذات العقدين تحمل ألم فراق أبيها والمنظر المعلق بذنها يرعبها ويزيد من بكائها كلما تذكرت. دلف إليها الضابط طارق ثم قال محرّجاً:

- أنا عارف إنك مش عايزة تتكلمي، بس لازم نتحرك قبل ما حد يحصله حاجة، وعالعموم أنا أسف، والبقية في حياتك.

أومأت برأسها ثم مسحت وجنتيها بطرف قميصها معتدلة في اهتمام
بعد أن جلس طارق مستعداً لإلقاء أسئلته:

- أنا سألت الأستاذ خالد وقال لي إنك أول واحدة شافت عمي
جورج بعد ما مات. أنا عايزك تحكي لي بالظبط إيه اللي حصل
ابتلعت ريقها ثم قالت:

- أنا سبته بره في الصلاة قاعد يقرأ في كتاب، هو أساساً كان تعبانياً
ومخدشي الدوا من الصبح، متعودة كل يوم أساله، هتصحى امنا،
فبنادي عليه مردش طلعت أشوف فيه إيه لقيته نايم على الأرض.
التقطت شريط الدواء ثم تابعت:

- ولقيت شريط الدوا بتاعه جنبه على الأرض، ومتاخذ منه حباية.
التقط طارق الشريط ثم قال:

- طب أنا معرضه على الطب الشرعي .. هو كان بيحب
الدوا منين؟

قالت كريستين:

- من صيدلية الدكتور عبدالله جنبنا على أول الشارع.



أنت دكتور محترم ومش عايزين نخش معاك في مشاكل ارتعشت
شفتا الطبيب ثم تنهد في خوفٍ:

- خالد جالي الصيدلية..

ضرب محمود المكتب بقبضة يديه بشدةٍ:

- هااا كمل.

أردف عبدالله:

- جالي الصيدلية وبعدين قالي جورج مكسوف يشتري الدوا
ويقيده، ولما يجيلك إديلوه شريط الدوا..

وقام مديني شريط الدوا بتاعه وجورج بيأخذ من نفس الدوا، فأنا
خدت الشريط وحطيته على الرف. وماراجعتش وراه معرفشي إن الدوا
ده سم والله يا باشا. ابتسم الضابط محمود ثم قال:

- حلو أوي كدا انتفضل امضي على أقوالك.

شعر عبدالله بندم شديدٍ وحقارة ما فعله، ولكنهم قد كلّو متنه عندما
هددوه بخطف ابنته. جلس بسيارته يبكي بكاءً شديدًا يلوح بما يشعر
ويفسر مدى المعاناة وانفطار القلب عندما يفعل شيئًا يضاد مبادئه.
هي الدنيا دائمًا، شياطين الإنس الذين يصعب عليك التخلص منهم
وخصوصًا عندما يأتي الأمر أمام أعز ما تملك حينها كل المبادئ تتلاشى،

ويبقى فقط ألم في النفس قاتل، الذي تتعافى منه بعد أن تنفذ المطلوب، لكن ألم الروح التي خانت بارئها وضميرك الذي ما زال يقظاً يحاول أن إرجاعك وبيقياك على الصراط الصحيح؛ حتى لا يغدو بك الأمر خائناً، مثلما فعلت الآن يا عبدالله. هدير قلبك وآهاته يسمعها ويعلمها الله، وسوف يسامحك، لكن العبد الذي لطخته بالدم، ماذا ستفعل معه؟ هل سيسامحك؟

علا صوت رنين الهاتف فجاءة ليقاطع الدرس الذي يعطيه ضميره له:

- ألو. أيوه يا عبدالله. عملت الي قولتلك عليه؟ همهم قائلاً:

- أيوه عملت كل الي قولتلي عليه.

طب فاضل حاجة واحدة تروح تشهد عليه قدام القاضي.

- لا، كفاية بقى، حرام عليك. أنت مش عارف أنا عملت إيه. أنا شهدت زور.

طب اسمع..

- بابا.. بابا.. صرخت الطفلة وهي تبكي.

صرخ بلهفة وضجر قائلاً:

- علا.. خلاص.. بلاش بنتي وهعمل الي أنت عايزه.

- تمام.. سلام.

صوب عبدالله بصره على اللا شيء، لكنه يشغل باله كل شيء، فقد ارتكب إنثماً، ضرب على الموقد وهو يقول: — ساعمني يارب.

ما بال الأمور أصبحت معقدة. كنت أنا عبدالله الطبيب المحترم القريب من ربه، والحنون على أولاده، عبدالله البار بأمه، والملمبي لحاجات العباد، إلى أن أتى صاحب المعطف الأسود ليجعل حياتي سوداء واقترفت ذنباً نهى عنه النبي ثلاثاً..



قد إسودت بعض الشيء لكنها لم تعتم. فالحياة لا تقف على الراحلين،
والزائرين الجدد مرحبٌ بهم في أي وقت. أما بالنسبة للأشخاص الذين لا
يمكن استبدالهم، فسنتكفي بألم الفراق شعورًا والدمع حدثًا.

انتهى أحمد من هندام ملابسه وتمشيط شعره، اليوم أول يوم دراسي،
وعلى غرار ذلك سوف يرى سارة. حيث لم يراها منذ آخر مرة زارته في
بيته لتعزيه في موت والدته. كان الجو مندي بالمطر، ونافذة أحمد يغطيها
بعض قطرات الشتاء، خرج أحمد ليذهب إلى الجامعة.

- بابا أنا راي..

- جاي تقبض على مين المرادي يا طارق باشا؟ مفيش غيرنا في
إسكندرية ولا إيه؟

وقف أحمد مذهولاً يحاول فهم ما قاله خالد، وضع طارق يديه خلف ظهره ثم قال بحزم:

- جايين نقبض على اللي ملبسنا العمّة، وبيلعب براحتة من تحت التريزة. وكان هربان بعد عزا أعز أصحابه.

مد خالد يديه إلى الضابط ثم قال:

- اتفضل يا باشا.

وضع طارق القيود بيد خالد ثم أمر مساعديه بتفتيش الشقة.

أسرع أحد العساكر إلى الضابط ممسكاً علبة صغيرة وبعض أنابيب الاختبار ثم قال:

- تمام يا أفندم لقينا الحاجات دي جوه في الدولاب.

ضحك خالد قائلاً:

- كدا كملت بقى.

ثم نظر إلى أحمد وقال بتعيرات صارمة:

- روح لمحامى اسمه «علاء سعد» دور على المكتب بتاعه ومتجيش ورايا، واسمع اللي بقولك عليه.

جذب أحمد يد أبيه ثم قال:

- هو فيه إيه يا بابا.

- أنا أسف.

قال طارق وهو يشير إلى العساكر:

- خدوه على البوكس.

هرول أحمد خلف الضابط طارق ثم نادى عليه متلهفًا: - يا طارق

باشا.. يا حضرة الضابط.. هو إيه اللي حصل؟

زفر طارق ثم قال:

- أبوك قتل جورج بعد ما شك إنه هو اللي قتل سلوى مراته، بحجة إنه آخر واحد لمس العربية، وراح للصيدي وإداله شريط حبوب على إنه يديه لجورج، وجورج خد منه شريط الحبوب ومات، والطب الشرعي قال: إن نوع من السموم اسمه السانيد ييموت بسرعة بعد ما تاخده. وقف أحمد مذهولاً مما يحدث، لا يعلم متي وكيف ولماذا أصبحت كل الأمور تأتي بدون أن تطرق الباب؟ يبدو أن العاصفة هذه المرة محملة بالأتربة، وأنا الفريسة القادمة إلى أن تجتمع السحب وتسقط مطراً ليخمدوها.

مكمة

خلف القضبان يقف ممسكاً أسوار العزلة، تلك التي لا يُلقى خلفها
إلا المذنب أو المظلوم. وتكاد يدها الضعيفة أن تفل الحديد وتخرج لتطبق
صدور ظالميه، ولكن ما باليد حيلة ولا يملك إلا الدعاء. لا يهمه الجمع
ولا القاضي حتى. مثل ما أهمته نظرات أحمد الجالس أمامه منتظراً حكم
القاضي، ينظر إلى أبيه بكل تحسر، أحقاً ما يحدث؟ هل أبوه مجرم ينتظر
العقاب أم بريء ينتظر الحقيقة؟ يخبره عقله أن الواقع خلف القضبان
أبوه، وينازعه قلبه ويصيح بأن والدي ليس قاتلاً، وأن هذا الأمر ملفق..

ثم يأتي دور الحقيقة الجليلة الظاهرة أمامه ومن يكون أبوك حتى يُلفق له مثل ذلك النوع من الجرائم، يصرخ من بين الضلوع هذه المرة قائلاً: أيّا كان ما يحدث فهذا أبي، كيف ماتت أمك؟ من فعل فعلته في الخفاء وتلاشى كالظلام؟ تضاربت أفكاره حتى أتى دور القاضي الذي دلف من الباب الأمامي للمحكمة بصحبة مستشاريه والنائب العام. وقف الجميع إجلالاً للقاضي، جلس القاضي وأمر الجميع بالجلوس ثم أشار لينادوا على القضية الأولى..

خالد عبدالرازق محمود غنيم المتهم بقتل المتهم جورج عبدالنور غالي.
أمر القاضي محامي المتهم بالتقدم لإدلاء أوراقه، ثم أمر بالنداء على الشهود:
الشاهد الأول:

«عبدالله عبد العال يوسف»

تقدم الطبيب عبدالله بخطي مهزوزة وأرجل مرتعشة مقترّباً من المنصة المخصصة للحديث مع القاضي. نظر إلى خالد ثم إلى القاضي وتنهّد رافعاً يديه ببطءٍ شديدٍ استعداداً للقسم.

قال القاضي:

- قول والله العظيم هقول الحق.

ابتلع ريقه المرير الذي أحس به جلياً كالشوك مر، قال بعدما تلاشى
الإحساس بأي شيء:

- والله العظيم هقول الحق.. خالد جالي الصيدلية يوم الحادثة الظهر
وإداني شريط الدوا اللي بياخد منه، وهو عارف إن جورج كمان
بياخد نفس الدوا، وإداني الشريط وقال لي جورج مكسوف يجيلك
ياخذ الدوا، أنا رايحله القسم حالاً وهبعتهولك بالليل تديله
الدوا، وهو قبلها بيوم كان سألني على نوع من أنواع السموم اسمه
السيانيد، ولما سألته فيه قالي من باب المعرفة مش أكثر.

صرخ خالد قائلاً:

- كذب يا باشا.. والله العظيم أنا مظلوم..

ضرب القاضي بمطرقة ثم قال:

- اسكت بدل ما أمنعك من حضور الجلسة.

ثم أشار إلى الطبيب بالجلوس، ومنه إلى المدعي العام للنيابة،
فلتفضل النيابة.

قام الضابط بزيه الرسمي الأسود الملئ بالأوسمة ووشاحه الأخضر
الزيتوني وعدل أوراقه قائلاً:

سيدي القاضي، حضرات السادة المستشارين، نحن بصدد جريمة بشعة ارتكبتها المتهم المائل أمامكم بحق القانون. جريمة من الدرجة الأولى. اعتقاداً منه أن المجني عليه قام بقتل زوجته دون انتظار حكم المحكمة أو رأي القانون والدافع أن شخصاً آخرًا فكك سيارته، كما هو واضح بالدليل القطعي أمامكم وجود بعض تراكيبات السم، وبعض آثار التفاعل الحديثة الصنع كما جاء بتقرير الطب الشرعي والجنايات وشهادة الشهود. لذا أرجو من سيادتكم عدم التماس أي عذرٍ أو طلب بتخفيف العقوبة، وتوقيع أقصى العقوبات على المتهم خالد محمود غنيم شكراً لسيادتكم.

نظر أحمد إلى أبيه بالعين التي فارقتها الدموع منتظراً حكم القاضي، ضرب القاضي بمطرقة مجدداً قبل أن يقول:

- بعد الاطلاع على الأدلة وسماع شهادة الشهود، وكما هو مرفق بالكاميرات الداخلية، حكمت هيئة المحكمة في القضية رقم 298 لعام 2016 حضورياً على المتهم خالد محمود غنيم في قضية قتل المجني عليه جورج عبدالنور غالي بالسجن المؤبد مع الأشغال الشاقة رفعت الجلسة..

الجزء الثاني

الفصل الأول

اجتمعت الغيوم بيؤرة معينة في السماء، فحجبت أشعة الشمس ومنعتها من إضاءة الكون مهللاً، وأصبح لسان حالها أن الكثرة تغلب الشجاعة، تباغت بما فعلته وظنت أن السباق قد انتهى، لا تعلم أن الأمر مؤقت، وأن الضوء عائد لا محالة، بالوقت المناسب استعادت الشمس عافيتها وفت الضوء الغيوم وحولها إلى رماد متناثر في السماء، وجعلها كما كانت عبارة عن قطعة بيضاء صغيرة مليئة بالماء، أكمل الضوء طريقه شقاً إلى الأرض وأثار المكان كعادته، فأيقنت الغيوم أنه طالما لدى الشمس أمل ستهزمها، وأن النزال سيصب دائماً بكفة الشمس.

وضع اللوحة بجانبه على المقعد وبدأ يلثم بعض الأوراق المتناثرة أرضاً ثم جلس على المقعد، وأرسل تنهيدة في ضيق متألماً لما حل بأبيه

الذي عاندته الحياة كثيرًا. وأصبحت الضربات تتوالى عليه، وجعلته الأيام يقضي ما تبقى من عمره خلف الأسوار. أصبح الأمر معقدًا لدرجة لم يكن يتخيلها. تلك الفترة القصيرة حطمت كل الركائز التي كان يتكأ عليها وأبعدت عنه أقربهم إلى قلبه، اعتدل في جلسته عندما رأى سارة قادمة نحوه بملابسها الملطخة بالألوان ووجهها المرهق، التقطت قطعة من القماش ومسحت يديها وهي تجلس بجوار أحمد:

- لسه برضه ملقشني المحامي اللي باباك قالك عليه؟

زفر أحمد قائلاً:

- لا، قلبت عليه إسكندرية اليومين اللي فاتوا دول، ومفيش أثر ليه، زي ما يكون الأرض اتشقت وبلعته.

اعتدلت في اهتمام ثم قالت:

- طب ما تجرب تعمل سيرش على جوجل يمكن تلاقيه في حته تانية غير إسكندرية..

قال أحمد بحزن:

- عملت ومفيش حاجة راضية تظهر، ولا أي حاجة راضية تساعدني، أبويا حتى وقفني في طريق مسدود، لا عارف أكمل، ولا عارف أرجع، يارب الأمور تتحسن شوية.

ثم أردف قائلاً:

- أنتو عملتوا إيه في الكلية النهارده.

قالت سارة:

- أهو يعني، مفيش جديد، أيدينا متعاصة ألوان وهدومنا، وكل يوم بنرسم رسمة ونعمل بروجيكت .معين

ثم تسائلت قائلة:

- أنت مش ناوي تحضر بقى، أنا عارفة الظروف بس لازم تحضر.

تهكم أحمد قائلاً:

- أحضر! أه، أحضر إزاي يا سارة وسط المصايب اللي أنا فيها دي.
أنا مبعرفشي أناام ولا عارف أكل ومتحير ومتلخبط، وكمان أرسم
يالا مش فارقة يعني هيحصل إيه أكثر من اللي حصلي.

أمسكت سارة يديه ثم رمقته وهي ترفع وجهه ليكون بمرمى بصرها:

- بصلي بقى، أنت أحمد أبو قلب كبير اللي هيقدر يواصل ويكمل
والدنيا هتبقى جميلة. يا أحمد أنا جنبك ومش هسيبك أبداً، صدقني
وبمناسبة الكلام الحلوه أنا عايزة أقولك على حاجة.. شركة بابا
هترعى مسابقة الإبداع هنا، وأنت لازم تحش لازم ترجع زي

زمان يا أحمد وتكسب السنة دي زي السنة الي فاتت كدا وتخش
بحاجة ثقيلة. هز رأسه قائلاً:

- مسابقة إيه يا سارة.. أنا بقولك أبويا مسجون وأمي ميتة بقالها
شهر، وأنتي تقوليلي مسابقة.

شعرت سارة ببعض الإحراج الذي وَّرد وجتيتها، ثم قالت بلهفة:

- طب بقولك فيه محامي صاحب بابا، تعالى نروحله وهو هيطلع
عارفه أكيد، نأخذ ميعاد ونقابله.

أوماً أحمد بدون اهتمام:

- تمام..



ضاقَت الحلقات حتى أحكمت الضغط على عنقها، أولاً سلوى ثم
جورج وبالأمس القريب خالد. ذهبوا جميعاً دفعة واحدة. الآن إلى من
ستحدث؟ الآن من سيواسيها عندما تشعر بالحزن؟ ومن الذي سيسبب
ضحكاتِها التي اختفت فجأة؟ وصار عالمها بدون ابتسامات، وصوت
الآهات الذي يحدث ضجة شديدة لا يسمعها غيرها. أصبحت الجدران
صديقتها، فلم يبق لها غير أحمد الذي يتمنى العمى على أن يراها، انطلقت

إلي بيت راحتها وعلاج همومها، انحنت كالعادة على يديه ثم زفرت قائلة:

- حياتي متبهدة أوي اليومين دول يا أبونا، وحاسة إن خلاص
فاضلي شوية وهمّوت نفسي.

نظر إليها القس باهتمام ثم قال:

- ليه بس يا ابنتي مالك فيه إيه؟

بدأت الأحداث تنسال مع كل دمعة تفارق عينيها، كأنها بمجرد
أن تتذكر أنها فارقت أحببتها، تبدأ بالبكاء وتجلب آهاتها من بين أحشائها:

- بابا مات، طنط سلوى ماتت، وعمي خالد مسجون دلوقتي،
وأنا مش عارفة أعمل إيه ولا أروح فين؟ ربت القس على كتفها
ثم قال:

- فليرحمهم الرب يا ابنتي وعازيك تعرفي إن ده مكتوبلنا، ولازم
نعيشه. المسيح لما اتصلب كان بقدر، العذرا لما جابت المسيح للدنيا
كان بسبب، مفيش حاجة بتحصلنا من غير سبب، احنا نتعلم منها
وأنتي خلاص معتيش مجبرة تعيشي مع حد مبيحبكيش، أنتي
لازم تيجي تعيش مع الناس الي شبهك والي مفيش في قلبهم غير
حب ليكي.

حدقت كريستين في القس باهتمام ثم ضمت حاجبيها قائلة:

- يا ريت ألاقي حد يجبني..

التقطت حقيبتها وذهبت داخل الكنيسة لأداء بعض الصلوات، ثم أشار القس إلى إحدى الراهبات ذات الرداء الأزرق السماوي وغطاء الرأس الأبيض، انحنت ثم قال القس:

- كلمي القس بطرس إن احنا لاقينا راهبة هنبعتها القاهرة، وابقى خدي رقم كريستين بعد ما تخلص صلاة.

دخلت إلى بهو الصلاة وجلست على ساقها وضمت يديها إلى صدرها تدعو لأبيها جورج بالرحمة وسلوى وأن يخفف عن خالد ظلمات الحبس. فخالد وسلوى لم تر منهم غير أنهم كانوا بمثابة والديها وقلب كريستين لا يعرف غير الحب مسلماً.



بعدما أنهى الصفقة بجدارة وثناء والده عليه وكلمات والدته المشجعة، أمضى مصطفى شهرين بين الحانات وفتيات الليل، يبدأ يومه بالليل وينام طوال النهار، وعلى غرار ذلك فهو متعلق بأعمال أبيه ويبدو أن مصطفى قد اشتد ساعده، وأصبح مشروع رجل أعمال ناجح على الرغم من حداثة سنه. والفترة التي قضاها بالإمارات ساعدته على التكيف والتأقلم، التقط هاتفه ليراسل أحمد الذي أحس بالإحراج من قلة السؤال عليه، وإهمال

أعز أصدقائه بهذا الشكل فراسله على الواتس آب:

- أنت يا ابني مش هتيجي تشوفني ولا أنت هتفضل ندل كدا طول عمرك.

- ههههههههه ندل برضه، واسأل عليك ما أنت لو بتسأل وتعرف إيه
الي حصل مكنتش سألت سؤال زي ده.

نظر منصور إلى مصطفى باهتمام ثم قال:

- صوص سيب الي في إيدك ده، عايزين نتكلم معاك شوية.

لم ينظر مصطفى وظل محققاً بالهاتف:

- شوية كدا يا بابا.. ثانية بس.

قال منصور بضجر:

- إيه يا ابني مش هنعرف نتكلم معاك شوية، يخربيت الزفت الي
واكل دماغك ده..

رد أحمد:

- لما تبقى تيجيلي هبقى أقولك عشان الموضوع كبير.. سلام.

وضع مصطفى الهاتف مضجراً ثم نظر إلى منصور وهو يقول:

- نعم..

قال منصور بحقٍ شديدٍ:

- إيه هتحايل عليك ولا إيه.. استغفر الله العظيم.. أنا وأمك اتفقنا
نخطبك.

عقد حاجبيه بشدةٍ ثم ظل لثوانٍ بدونِ إجابة:

- اتفقوا، وكان تخطبوني، طب مش كنتوا تعرفوني.

اعتدل منصور بجلسته ثم نظر إليه متعجباً مرسلًا بعض النظرات
التهكمية:

- أو مال احنا بنقول إيه دلوقتي؟! أو ما مصطفى برأسه وهو يمرر
نظره إلى أمه:

- ومين دي يا ست الكل اللي عايزة تخطيها لي؟

ابتسمت قائلة:

- سارة..

تقاربت حنايا وجهه وانعقد جبينه محاولاً إخفاء أنه يكثرث لأمر
لسارة. وأن سارة قلبها معلق بغيره، أحس أن الأمر كأن ضربت أمه
جرحه العميق بمطرقة حديدية رأسها مدبذبة وتحتوي على عدة أشواك
تركتها المطرقة عندما أفلتت جسده، زفر بشدةٍ ثم قال:

- مستحيل سارة دي بالذات مينفعني أتجوزها.

نهضت سهير والدته ثم قالت متسائلة في ضيق:

- ليه يا ابني؟ هي معيوبة ولا حاجة لسمح الله.

صاح مجدداً:

- أنا قولت كدا، لا، مبجبهاش يا ستي ومتفتحيش معايا الموضوع ده تاني خالص..

ما بال هؤلاء الأشخاص لا يقدرّون أن هناك مسمى نسيه بعضهم اليوم، يفرق بين الجميع ويجعل الكثير يتساقطون إلى أن يظل آخرهم الذي نبض القلب من أجله في البداية يحدد لك مبتغاك ومرامك الذي تحاول جهاداً اتباع دربه. لماذا تناسوا الحب وجعلوه بنهاية المطاف؟ وأنه سيأتي مع الأيام، لما كل العقول أصبحت تبحث عن النسب والنسبة عوضاً عن التناسب والتجانس؟ ألا يعلمون ما الهيام؟ ألم يشعروا به قط؟ واعتقادهم أن المشاعر صورية والأشكال والمراكز هي المبتغى. والحقيقة التي يجهلها البعض أن الحب هو مقياس كل شيء، وبعلمنا هذا قد غاب، أما القلب لا تكمن به تلك الشكليات.



صدمات تعقبها أوجاع يعقبها فراق واشتياق. حنين لصوت
ضحكاتهم وطفلة وجوههم بالصباح الباكر، وتحياتهم بوجه لم يعرف
العبس أبداً. تلك الأذان التي لم تنسى صوتهم بالفرح والحزن والمرض
ونبرته المترنحة عندما يشعرون بالإنهاك الجسدي والتقلب العاطفي
اللامتناهي بين خوف وقلق وانتظار ولهفة وحب وعشق، فقلب أولئك
لا مكان للكره به، وإنه لمن الصعب يا أمي تقبل فكرة أنك لم تعود
بالجوار. والحقيقة المفجعة أن الموت هو المفرق، بكل يوم أذكرك به، لا
تغادر الابتسامة عقلي وصورتك لا تغادره أبداً. فلم تطلع الشمس على
يوم لم أذكرك فيه، زوريني بأحلامي، كما اعتدت منذ أن فارقتيني، فقد
اشتقت إليك كثيراً يا أمي.

مسك المنشفة الملطخة بالألوان الأحمر منها والأخضر، وبدأ يمحو بعض الزوائد عن البورترية الخامس الذي صنعه لوالدته للتو. حذق باللوحة وهو يتسم فرحاً، لكن بين أعماقه يشعر بمرارة الفراق، ابتسم تلك الابتسامة مرةً أخرى. لتهم كريستين وتجلس ملتقطة اللوحة وهي تقول:

- وحشتيني أوي يا ماما سلوى. ربنا يرحمك. حلوة أوي يا أحمد.
أنت فنان فعلاً.

تنهد أحمد قائلاً:

- وأنتي كنتي فين بقى ده كله؟

شعرت كريستين أن أحمد بدأ يهتم بها، وأصبح يرى في نفسه أن كريستين صارت مسئوليته الآن. ابتسمت وهي تضع اللوحة بجوارها:

- مفيش يعني روح المكتبه كالعاده، وبعد كذا عدت خدت حصه الكورس، وبعدين روح الكنيسة خدت دُعا أبونا وقعدت شوية وجيت.

مط شفتيه ثم قال:

- ماشي يا ستي، معنتيش تتأخري تاني..

رفعت حاجبها ثم انفرجت الابتسامة أكثر؛ لتبين مدى براءة طلتها الجميلة، ثم نظرت بساعة يديها وهي تقول:

- ده الساعة تمانية، اتأخرت فين؟ المهم يا عم احنا مش في اتأخرت ولا لا، أنت سبتلي أكل؟ أصل أنا ميتة من الجوع.

قال أحمد وهو يجمع أدوات الرسم خاصته:

- آه فيه أكل جوه، وفيه فراخ في التلاجة، سخني وكلي، وتاني مرة يا حلوة معتيش تتأخري تاني..

حلق قلبها فرحًا وابتسم القلب عوضًا عن الوجه، فالسعادة التي تعزينا الآن لا توصف، واهتمام أحمد بها جعلها تتناسى اختلاف الأديان والمعاملات بينهما، الحادة نوعًا ما. ووجودها بمجتمع شرقي يقدر العادات والتقاليد ويفعل الصواب من وجهة نظر العرف أولاً.

أخرجت مذكرتها ودوّنت 2016 / 11 / 1 أحمد اهتم أخيراً..

على الجانب الآخر، بضوء الغرفة الخافت تجلس سارة بمنتصف السرير محاطة بعدد من الغطاءات الثقيلة فوق جسدها، تمسك مذكرتها هي الأخرى لكن دوّنت شيئاً مختلفاً:

- 2016 / 11 / 1 أنا لازم أواجه خوفي وأقول لبابا، وأتحمل أي رد فعل ممكن يحصل، إيه اللي فيها لما أقوله أحمد بيحبني وعازي يجي يتقدملي بس مستني الوقت المناسب؟

تنفست بعمقٍ ثم نزلت من على الفراش واتجهت إلى مكتب والدها
آمالاً أن تبوح بكل ما تخفيه وتطلب منه مقابلة أحمد. على غير العادة دلفت
بدون استئذان، رمقها والدها ثم أشار لها بالاقتراب، نظرت إليه مضجرةً
محاولةً إخفاء توترها ثم قالت:

- اسمعني بعد إذن حضرتك دقيقتين يا دادي.

وضع القلم جانباً ثم قال متسائلاً:

- مالك يا سارة متعصبة كذا؟ حد ضايقتك ولا إيه؟

قالت بعنفوانٍ أكثر من المرة السابقة:

- أنا بقالي شهرين عايزة أتكلم معاك في موضوع ومش عارفة أتكلم
معاك خالص.

أراح ظهره للخلف ثم قال:

- إتفضلي إحكي.

فركت يديها بقوةٍ ثم ابتلعت ريقها:

- أنا فيه واحد صاحبي معايا في الكلية عايز يقابلك.

ابتسم متهكماً ثم قال:

- هو ده الموضوع اللي شاغللك بقالك شهرين يا ستي، ماشي خليه
يحي يقابلني، بس كدا.

ضحكت ثم استدارت حول المكتب لتحضن والدها وقبلته تلك
القبلة الناعمة التي اعتداها ثم قالت:

- متشكرة أوي يا بابا. ربنا يخليك ليا. أنا بحبك أوي أوي.



متقلّباً بين الشوارع، تارة يبحث وتارة يجلس من شدة التعب. بالت
أقدامه من كثرة السير، وأحبطه اسم ذاك المحامي الذي لم يستطع الوصول
إليه، وجميع الأشخاص والمحامين لا يعرفونه، حتى ذاك المحامي الذي دلته
عليه سارة لم يستطع الوصول إليه. جلس على أحد استراحات الطريق،
وشرب بعض الماء ثم أزال العرق من على جبينه عندما علا رنين هاتفه:

- ألو. أيوه يا سارة..

- إيه يا أحمد بقالي ساعة برن عليك مبردش ليه؟

- معلشي يا سارة والله. بلف على المحامي من الصبح، ومش لاقيه،
أنا زهقت والله أنا قلبت إسكندرية وبرضه مفيش أثر، كإن
الأرض اتشقت وبلعته.

همهت سارة ثم ابتسمت قائلة:

- طب أنا عندي ليك خبر حلو، يا سيادة الرسام.

- بجد! إيه؟

- بابا عايز يقابلك.

ابتسم ثم قال:

- والله بجد، أحلى خبر ده ولا إيه! طب هخلص اللي أنا فيه وهبقى أقابله.

- لا والله، ده بجد ولا إيه! طب إنجز بقى بسرعة عشان أنا مش قادرة أستنى.

ضحك قائلاً:

- حاضر يا سو. معلش بقى أنا مقبالكيش كتير اليومين دول، أنتي عارفة اللي أنا فيه.

- عادي يا قلبي أهم حاجة متنسنيش بس.

تعالت الضحكات ثم قال أحمد:

- أنا أقدر أنساك يا قلبي.. وبعدين كفاية كدا، أنا عايز أروح بقى،
يا لا سلام.

تلاشى الإرهاق وتحول التعب إلى رزق يقتات منه. عندما تحدث إلى سارة، تمايل قلبه فرحًا، فالأحداث الأخيرة أرهقته جدًّا، وأخيرًا أطرب أذنيه خبر مفرح وسط الطعنات المستقرة بداخله التي غيرت ملامح وجهه. فرحيل الأحبة موجه جدًّا ولا يترك أثرًا جسديًا بل يفتت الطاقة النفسية.



- إيه يا شرف. أخبار الشغل إيه؟

وضع شرف الجزء المشتعل من سيجارته سلفًا في طفافة السجائر الموضوعة أمامه، ثم أسند السيجارة على طرفها، ثم قال وهو يشبك أصابعه:

- كله تمام يا باشا. البضاعة جت من الجمارك والرجالة استلمتها ووزّعناها على باقي الشركات بتاعتنا، ورجالة المخازن طمنونا، والرجالة شافت حد يشيل التوصيل والاستلام.

هز رأسه وهو يحرق إليه قبل أن يقول:

- تمام يا شرف. شوف بقى منصور باشا عايز إيه، واتفق معاه، والي هو عايزه إديهوله وخلص الموضوع الثاني، خرينا نستريح بقى، ومن غير شوشرة ولا مشاكل.

ابتلع شرف ريقه الذي مر كالخنظل ثم قال مترددًا:

- هو سعادتك يا باشا بتعمل مع الشخص ده كدا ليه؟
توقف يحبى عن الاهتزاز بكرسيه واضعاً القلم الذي كان يتلاعب به
بين أطراف أصابعه ثم قال مضجراً:
- جرى إيه يا شرف. احنا من امتى بنسأل ليه؟ وبنخوش في اللي
ملناش فيه، شوف حالك وخلص.
ابتلعها شرف ثانية محملة بالإحراج من ردة فعل يحبى باشا كما
يدعوه. يحبى يريد منه تنفيذ الأوامر بدون تساؤلات. فإنجاز هذا النوع
من الأعمال يتطلب فقط الانصياع للأوامر، أو ما شرف برأسه:
- حاضر يا باشا، طلباتك أوامر، تحت أمرك في أي وقت يا باشا.
عدّل يحبى من كرافته وتنهّد مظهرًا لشرف اهتمامه وضيقة أيضاً من
سؤاله، قال قبل أن تدلف نيفين السكرتيرة:
- شوف شغلك يا شرف، وابقى عدي عليا بعد ما تخلص..
دخلت نيفين حاملة أوراق العمل مرتدية ملابس أقرب منها
للرسمي، بنطلون قماشي أسود تعتليه سترة تحمل نفس اللون تستر
قميصاً أبيضاً، تضع القليل من المكياج الذي لا يضيف لوجهها الحمري
غير القليل، لون الشفاه الوردية الملائمة لنوع المقابلات والاجتماعات مع

يحیی، تسريحة شعرها الداكن على الجانب وأخره مربوط ومثبت لأجل ساعات العمل الكثيرة، اقتربت نيفين قائلة:

- صباح الخير يافندم.

اعتدل يحيى بجلسته وأمسك قلمه مرة أخرى استعداداً لإمضاء أوراق العمل. استأذن شرف بعدما أمره يحيى بالانصراف، تركت نيفين التركيز بالأوراق ونظرت إلى شرف المتوافد على المكتب هذه الأيام بكثرة، قاطعها مقلّباً أحد الأوراق قائلاً:

- فيه إيه في البروجرام النهارده، يا نيفين؟

فتحت الملف الخاص بمواعيد عمله ثم حركت إصبعها مؤكدة على ما تعرفه:

- عندنا النهارده حفلة الجمعية الخيرية بتاعت حضرتك، بعدين اجتماع مع منصور باشا لمراجعة ورق الشراكة الجديدة، وفيه اجتماع مع كلية سارة بنت حضرتك، حضرتك مشرف على مسابقة الإبداع اللي الشركة هترعاها من السنة دي.

أوماً برأسه وهو يرجع ظهره إلى الوراء:

- تمام، بلغي سيف يروح الاجتماع ويتفق مع الكلية على كل حاجة. وجهزي لي العربية يالا..

- آه فيه كمان واحد اسمه أحمد غنيم صاحب سارة في الكلية اعميليلي
فايل حلو ونضيف عنه..

هزت رأسها وانسحبت إلى الورا لتذهب وتستكمل عملها الروتيني
اليومي، استوقفها يحيى بالنداء:

- نيفين. كنت هنسى عايز معاد نهاية المسابقة يوم 1/ 12 عيد ميلاد
سارة، تمام.

ابتسمت نيفين قائلة:

- تحت أمرك يافندم. كل سنة وهي طيبة.

جلست في حيرة من أمرها على مكتبها القابع أمام غرفة يحيى زهران،
وضعت ملفاتها الثقيلة، ومررت يداها بين خصلات شعرها تداعبه؛ لعله
يرشدها إلى أمر شرف الغامض الآتي على حين غرة. الشك بدأ يتلاعب
بها، آخر صفقة ليحيى التي كانت محض للشك وكانت الشرطة ستفتح
تحقيق لولا نظافة سجلاته، واشتباه شرف في كونه موزع للمخدرات
بالإسكندرية ونواحيها:

- وراك إيه يا يحيى، وشرف ومنصور باشا الي طلعووا فجأة دول،
لازم أعرف أنت مخبي إيه يا يحيى.

التقطت سماعة الهاتف ضاغطة أحد الأزرار:

- أيوه يا أسماء، قولي لإبراهيم يجهز العربية ليحيى بيه.



بعد يوم حافل بالتعب، لم ينل فيه قسطاً كافياً من الراحة. ريق مريّر طوال رحلة البحث عن المحامي المجهول بلعبة الألغاز التي وضعه بها أبوه، وتركه بها هائماً لا يهتدي براً يرسي به، أو منارة ذات ضوء ساطع ترشده الطريق وتطمئنه أنه يسلك الدرب الصحيح، وما عليه غير المواصلة والصبر.

اجتمعت كل الأسباب فوق رأسه فجأة، وأجبر على استكمال السير بدون علامات استفهام، مجتمع خالٍ من علامات الترقيم، فقط تلقين لكلمات وخضوع لتعليقات مجهولة المصدر. دخل إلى غرفته منبع إبداعه الذي لم يعرف طريق النور بعد، استلقى على فراشه بحر الأفكار والأحلام التي لا تغادر منطقة السرير. أصدر بعض الآهات القادمة من القدمين المنهكتين والجسد المتعب، فرد كلتا يديه وقدميه وحرك يده المفرودة ذهاباً وإياباً يتحسس نعومة الفراش. تعرف اليد طريقها وما تريد أن تمسك تسلت بإرادته تحت وسادة الأحلام والذكريات لتخرج وشاح سارة الأخضر، اعتدل مُربعاً في حضرة وجود شيئاً منها، ولو غطاء لا ترتديه على شعرها المكشوف دائماً، تضعه ملفوف حول الرقبة المرسومة.

لثم عطرها الساحر، فكل قطعة من جسدها سحر أسر أحمد، وهوى كل جزء على حدى.

سارة، أما عن اجتماعهم سوياً فكلمة حب لا تكفي، على الرغم من مضي أربع سنوات على التعارف إلا أنه كان بكل مرة يتردد أن يحدثها، ويعود أدراجه إلى منطقة الصداقة. رغم كونه يعلم أن سارة تكن له شيئاً. أغمض عينيه في لحظة مثل تلك لا بد من التخيل، هي بفستانها الأبيض تعانق يد أبيها، ولكن بوشاح أبيض طويل، العينان الزرقاوان يجذبانه بشدة، كأن لم يرهم قط، يشتان الجمع على غرار أضواء الحفل الساطعة، ينتظرها بحلته السوداء الرسمية للأفراح، الطريق إلى قلب سارة قد فتح وخطوة وجودهما تحت سقف واحدة لم يبق عليها الكثير. ازداد بريق عينيه واستعرت نار اللوعة بداخله عندما تذكر نبرتها وصوتها الضاحك وهي تخبره أن أباهما يريد مقابلته.

تنهدة عابرة أرسلها بدون ضيق عندما دق مصطفى الباب، بعدما أخبره أنه سيأتي لزيارته، فُتح الباب ليتبادلوا العناق والعتاب على قلة السؤال ونسيان الصداقة. أحمد يضرب على ظهره بقوة معبراً عن اشتياقه، ومصطفى يظل وقتاً طويلاً يعانقه، أمسك أحمد ساعده وجلسا بهو المنزل على الأريكة التي تتوسطه، وضع مصطفى مفاتيحه الكثيرة وهواتفه على

المنضدة كرجال الأعمال. نظر إلى أحمد ثم اعتدل في جلسته وهو يسند ذراعه إلى فخذه قائلاً:

- اللي مطنش ومش معبر ولا كأن عشرة اتناشر سنة تعليم وطفح كوته وديسك واحد.

لا يعلم أحمد هل يتهم أم يعاتبه على عدم سؤاله عنه وعن ما آلت إليه حياته مؤخراً؟ تهكم حتى لا يصدمه، وتظاهر بالتضايق مما يقول:

- أنا برضه.. ما أنت مش عارف حاجة يا عم مصطفى.

بدأ أحمد في سرد قصته المؤلمة التي لا يعرف نهايتها، اتسعت حدقة عين مصطفى اندهاشاً، يحكي أحمد له قصة فيلم خيالي من أفلام هوليوود، لكنه على أرض الواقع لا يصدق ما يقول، كل هذا حدث في الشهر المنصرم. قلبت حياة صديقه العزيز رأساً على عقب دون علمه أو اكترائه لأموره، فقد أمه وأبوه خلف القضبان ولا يعلم مصيره. مدة قصيرة غلب عليها حكايات جيمس بوند بالطريقة المصرية، بدأ مصطفى بذرف الدموع على دموع أحمد التي تعودت أن تهطل بمجرد تذكر سلوى أمه التي كرثت كل ما تملك بتلك الدنيا لأجل أطراف أقدام أحمد.

واسى مصطفى صديقه بعناقه ثانيةً بحرارةٍ شديدةٍ هذه المرة ثم تنهد قائلاً:

- البقية في حياتك. البقية في حياتك يا صاحبي. ربت مصطفى على ركة أحمد، لا يعلم ما يقول وما الكلمات المناسبة التي ينبغي أن يواسيه بها، وهل ستنتفعه الكلمات أو تعيد له أمه؟

- وأنت ناوي على إيه دلوقتي، وعمي خالد أخبره إيه؟ هز رأسه غير راضٍ عن نفسه ثم قال:

- الحمد لله تمام. إداني رقم محامي وقالي دور عليه، من الصبح عمال ألف في إسكندرية كلها، مش لاقى حاجة أهو.. سيبك أنت قابلت سارة ولا لسه؟

أظهر ابتسامة تخفي حنايا وجهه المنعقدة بالأحزان، ويريد إخفاء أيضاً عرض أبيه عليه لخطبة سارة، حك مصطفى أنفه قبل أن يتمم أحمد:

- سارة كلمت باباها وخذت منه ميعاد عشان أروح أقابله.

ابتسم قاصراً مرة أخرى، قلبه يعلم حقيقة مشاعر أحمد وسارة، ولكن كيف يتحكم بما يكنه هو الآخر. فعندما ينبض القلب لشخص تفقد السيطرة ويسطير هو على باقي الحواس. ربت مصطفى على كتف صديقه:

- ألف مبروك يا صاحبي..



في صمت اللسان تتكلم العيون، وفي وجود الأدلة يمتقت العقل
تفكيره، ويفسر أن ما يحدث أحداث مسرودة حقًا، وأنت الذي تحاول
أن تفاهم في الأمور، تملكك الحيرة ويغطيك وشاح اليأس من رأسك إلى
أخص قدمك، ويُجبرك على الاستقياظ بالظلام، وترك النور الذي أصبح
مجرد أحلام، تحاول أن تبتلع تلك الأشواك التي تقطع قلبك من الداخل،
كلما ارتحلت أسفل تبتلعها بصمتٍ ولا تعقب عليها بل لا تتجشأ حتى،
الشمس ساطعة أمامك تري ضوءها من حولك، وتشعر بحرارتها،
ولكن صدق أو لا تصدق نحن بالليل فمرحبًا بك في الدنيا.

أغلق طارق الملف بقوة ثم زفر قائلاً:

- يا باشا القضية دي فيها حاجة غلط.

ضحك محمود متهكماً، ثم قال باستغراب وهو يرجع ظهره إلى كرسيه الجلدي:

- غلط إيه يا ابني. القضية خلصت، اركنها بقى وانساها، أنت هتعدل على النيابة وعلى المحكمة ولا إيه، وبعدين ركز في القضية اللي عندنا بقاها شهرين دي.
قاطعہ طارق قائلاً:

- بس يا باشا إزاي واحد هيقتل صاحبه؛ عشان معتقد أنه هو اللي قتل مراته، مع أنه هو اللي جه شهد إن هو متمم على العربية، وجاب تقرير كمان من الشركة أنه جورج بريء وضمنه عشان يطلع.
تنهد محمود ثم أخذ قطعة شوكلاتة وقشرها باقتضاب وهو يقول:

- طلعه عشان يموته.. طب وشهادة الدكتور، والعلبة بتاعت السم اللي جاينها من أوضة نموه، والكاميرات اللي جايباه وهو عند الدكتور، هي كمان بتكذب.

ثم هدأ من نبرة صوته:

- وبعدين ظابط المباحث الشاطر يدور على اللي جاي، مش اللي عدي وفات. خليك تترقى وتبقى حاجة كبيرة، متغلطشي نفسك.
أنت لسه عضمك طري، بكرة تقول الكلام ده لغيرك.

كظم طارق غيظه، يريد أن يحمل المكتب ويكسر به رأسه لكن ما باليد حيلة. أعطى محمود طارق ورقة قائلاً:

- يا سيدي. اللوا سعد حاسس نفس إحساسك، وطلب نقل خالد من السجن لسجن تاني، وقال وقف عليه عسكرين لحد ما الحكم يتنفذ.

التقط الطلب ونهض بإشارة محمود منبهاً إياه تجميع تركيزه على القضية، والتفاني في باقي القضايا، وعدم الاكتراث إلى تلك القضية مرة أخرى. أوماً طارق برأسه واستدار منصرفاً، يشعر أن خالد بريء، وأن ثمة شخص آخر يدبر ما يحدث تحت سترة الظلام.



إن استطعت أن تهرب من الجميع وتستتر من أعينهم بفعلٍ قذرٍ جُبرت على ارتكابه، خطيئتك لا تغفر، وإن تحملتها. جلس عبدالله على زاوية الأريكة يفكر بأمر خالد الذي وقع عليه الظلم بشهادته، روح أخرى يمكن أن تلقى حتفها بعد اثنتين أرهقنا، لا ذنب لك بالأولى لكن الأخرى فأنت قاتلها. شحبت سحنته وتلون جلده بالأصفر من قلة الطعام، شفتاه متشققتان وهالات سوداء من قلة النوم أيضاً، كيف ينام وذنب معلق بكاهله يأمل أن يسامحه من وراء القضبان. لكن يده قصيره وابنته الوحيدة مصدر اهتمامه يهددوه بحياتها. وضع رأسه بين يديه

المفتوحتين وهزها يمينًا ويسارًا هامسًا بصوتٍ غير مسموع:

- تشهد شهادة زور يا عبدالله! حرام عليك اللي أنت عملته في خالد
الراجل الغلبان اللي ما شوفتش منه حاجة وحشة، خد تأييدة
وهيقضي بقية عمره في السجن..

نمض عبدالله من على أريكته مهرولاً إلى غرفة صغيرته ذات الاثنتي
عشر ربيعاً، حسرة تملكته.

عندما رآها جالسةً على فراشها، تمشط شعر عروستها الشقراء، تنهد
متأسياً، ثم اقترب منها وضمها إلى صدره قائلاً:

- إيه يا حبيبتي، معتنش بترسمي بالألوان بتاعتك ليه؟

ضمت شفيتها كما يفعل الرضع براءة وجهها الذي لا يعرف الكذب
والاصطناع:

- معتنش بتشوف الرسومات بتاعتي يا بابا، ومعتنش بتقعد معايا
زي الأول، وتقولي أرسم إيه والرسم بتاعي معتشي بيعجبك.

ابتلع ريقه عندما تذكر أن هناك كاميرا موصلة بخزانة النقود تعكس
القادمين من خارج الصيدلية، والكاميرا التي بالداخل تعطي نسخة
عندما تُغير شريط الفيديو بدون إدخال كلمة السر، اتسعت حدقة عينيه
ثم تذكر أنها تلتقط صور ملصقة بالهاتف، بسرعة التقط الهاتف، ووجد

صورة المتخفي بليلة الحادث، انطفأ بريقه عندما تذكر ما سيلحق بفتاته،
أخرج الصورة ثم اقترب من علا قائلاً:

- أنتي بتعرفي ترسمي وشوش للناس يا حبيبي؟
أومات برأسها:

- آه، يعني شوية كدا، زي الي أنا رسمتها لك.
ابتسم عبدالله ثم نظر إلى صغيرته قائلاً:

- طب فيه واحد صاحب بابا عايزك ترسميه.

خطة ربما ليست محكمة يا طبيب. نفي الشبهات عنك وعن ابتك
وإرسال الصورة إلى أحمد بدل إرفاقها إلى الشرطة، ربما يحسن أحمد
التصرف وينقذ والده، ولا تترك مجال لمهديك أن يمسا ابتك بسوءٍ.



كعادتها جهزت حقيبتها المملوءة بالكتب، وجلست على جانب
الفراش تعقد رباط حذائها الأبيض المخطط بشرائط الذهب تحت رداءها
المرصع بالأزرق الغامق يصل إلى تحت ركبتها، وساقها الناعمتين تداعب
جو الشتاء السقيع، فلا يقدر هواء الليل أن يقترب من تلك الأقدام.

ربطت شعرها بشريرطتها الصفراء وفكرت في حديث القس الذي دار بينهما، عالق بذهنها المشحون بتعقيدات حياتها، أخبرها عن جلوسها مع أحمد بشقةٍ واحدةٍ، وعن الوصية التي كتبها جورج لخالد ثم إلى أحمد، حديثه عن نقاء روحها وسلام نفسها، تواجدها بالمكان الخاطيء مع أناس لا يقدرُوا القلب الرباني والهبة التي وهبها الرب للكنسية، لتهبها لها بكل قطرة دم من دمائها النقية، وتعتقد حبها بالمكان الصحيح بدلاً من أكاذيب المراهقة تلك قريبة الانتهاء بعيدة المدى بالجروح. القسيس أقنعها بالتواجد بأحد كنائس القاهرة لإظهار حبها للمسيحية وتأكيد تعلقها بالدين، أمسكت صليبيها الذهبي وضمته إلى صدرها متنهدة في تشتت، انتهت بالفعل من عقد حذائها ثم التقطت حقبيتها إلى غرفة أحمد الجالس على الكرسي الدائري المتحرك يمسك إحدى فرشاته الملطخة بالألوان يجر كها على أطراف لوحة رسمها لأبويه وجورج. أمسكتها كريستين وتبللت عينها بالدموع قائلة:

- الله! إيه الجمال ده يا أحمد! اللوحة جميلة أوي، طول عمر كم جمال وهتفضلوا في قلبي، وحشتوني.

ربت أحمد على كتفها مبتسماً:

- الرسمة عجبكاي؟

حدقت به بعينيتها العسليتين وحاجبيها المقوسين ثم قالت بلهفةٍ شديدةٍ:

- جميلة أوي يا أحمد. كفاية إنهم موجودين فيها ولو حاجة بس من ملاحهم أو شكلهم حتى، تسلم يا أحمد بجد، أنا فرحانة أوي..
ممكن أحتفظ بيها.

أوماً أحمد برأسه ثم قال:

- رايحة المكتبة برضه؟

حركت يديها وهي ترفع كتفيها:

- آه طبعا، هو أنا ليا غيرها وغير الكتب. وكمان الميد ترم قرب، أنت اللي رايح فين؟ سمعاك بتتكلم في التليفون.

رفع حاجبيه وهو يوضع الفرشاة أرضاً ثم نفض يديه قائلاً:

- رايح أقابل مصطفى وسارة مستنيني في الكافية، هروح لهم بقى
عشان مقعدناش مع بعض من زمان.

ابتسمت منسحبةً:

- طب سلام.

على نغمات الحب وبين أوتار العشق وسجايا الغرام، عزف أحمد أهزجته،
وبدافع الحنين سبقت أقدامه إلى بيت القاطنة بين أضلعه ليقابل أباه. تتضارب

مشاعره، يتسم كلما تذكر وجه سارة الضاحك ولهفتها وسعادتها، عندما وافق والدها على مقابلته، تقدم إلى الفيلا الضخمة تابعاً أحد خدم يحيى وأولاده. الباشا يجلس أمام حمام السباحة مكانه المفضل، يحتسي كوباً من القهوة في الشتاء السقيع، نهض يحيى مصافحاً أحمد:

- أحمد اتفضل.

أرجع أحمد الكرسي إلى الخلف قليلاً؛ ليسمح له بمساحة ليجلس. اعتدل على الكرسي مشبكاً أصابعه أمام يحيى، قاطع يحيى توتره البادي على ملامحه بسؤالٍ زاد من ارتباكهِ:

- سارة قالتلي إنك عايز تقابلني..

ابتلع أحمد غصته وقال وهو يمررها بين حلقة:

- أنا..

قاطعه يحيى بحزم:

- بص يا أحمد عشان منلفش وندور، أنا عارف إنك عايز تخطب سارة، مع إنك لسه صغير جداً على موضوع الارتباط ده، وأنا مش هأمنني لا فلوس ولا مركز زي ما أنت شايف كدا، ولا حسب ولا نسب ولا الكلام الفاضي ده كله. عايزك تبقى راجل، أنا كنت

زيك وبدأت من الصفر، وزى ما الناس ولاد الحلال يقولوا أنا
بشترى راجل.

تلعثم لسانه واحتبست الكلمات بالداخل من تلك الخطبة اللبقة التي
ألقاها رجل الأعمال المخضرم على مسامعه. جعلت لسانه مقيداً بكلايب
حديدية من جميع اتجاهاته، ليس هناك أروع من ذلك فقد ألقى يحيى جميع
أوراقه أولاً، ودور أحمد جمعها وحساب مكسبه، أظهر يحيى أنه لا يريد
سوى للحبيين أن يجتمعا سوياً. تنهد مراراً وتكراراً تنهيدات معبرة عما
يدور بداخل قلبه مسلماً بأن يحيى على عهد الوفاق قد أبرم. قل الخفقان
قليلاً وبدأ القلق والشحوب يتخففان من وجهه، ثم قال واثقاً مما يفعل:
- أنا بحب سارة يا باشا. وحافظ عليها جداً وهشيلها جوه عيني،
وإن شاء الله هنبداً حياتنا مع بعض.

ابتسم يحيى ودس يده بجيبه وأخرج علبة تحوي خاتماً زرقاء اللون
وقربها ببطءٍ من أحمد:

- سارة دي أغلى حاجة في حياتي من ساعة ما مامتها ماتت. الخاتم
ده هدية مني ليك، تقدمه لسارة، هي قالتلي إنك رسام جامد بس
إوعى تكون رسام من الناحية الثانية..

في مسابقة الإبداع تحاول تبذل وتعمل حاجة لسارة كهديّة، المسابقة
يوم عيد ميلادها وريني هتعمل إيه يا فنان.

رفع حاجبيه دهشةً وتألّأت عينه السوداء عاكسةً أضواء المكان
الخافتة. وكاد قلبه أن يشق أضلعه ويخرج ليرفرف فرحاً، ويتناغم على
ألحان أهز وجته التي انتهت من عزفها ذاك المايسترو العظيم الذي ساعد
الموسيقار الشاب أن يكون عظيماً أيضاً. أذابت الشمس جبل الجليد
المستوي على صدره قبل أن ترحل، وبدأ صدره يعلو ويهبط، ومد يديه
المرتشعة؛ ليأخذ خاتم بداية الحكايات:

- أنا مش عارف أقول لحضرتك إيه.. أنت خلصت كل الكلام زي
ما كاتبين مدحت بيقول.

ربت على كتفه ثم قام ليحتضنه فاتحاً ذراعيه:

- مبروك يا أحمد. خليك عند كلامك..

خلف الزجاج تراقب المعترك التي تظنه أراق الدماء وأسدل الستار
أخيراً. التقطت هاتفها بعفويةٍ شديدةٍ، قطبت جبينها المتندي وهاتفته
ليستقر قلبها الخافق، لم يكن أحمد قد غادر بعد حدود فيلتها حتى علا
رنين هاتفه.

- ألو. أيوة يا حببي مبروك على الخطوبة.. اجهزي بقى كدا،
وفستان حلويليق عليك وتبقى أكبر فرحة لينا كلنا، أبو كي ده
راجل جدع..

تركت الهاتف وهرولت بسرعةٍ شديدةٍ حتى كادت أن تسقط،
وارتمت بحضنه كطفلةٍ صغيرةٍ عاد والدها إلى البيت بحلوتها المفضلة،
تحتضنه وتقبله بشدةٍ، سارة المتصاية تغمض عينيها بشدةٍ وتنفس
بعمقٍ، أبعدا يحى كي يرى وجهها الذي أخذ القمر جماله منه، وضع
يده على شعرها وفك خصلاته الحريرية، ناظرًا إلى عين ابنته المتلهفة على
الارتباط بأحمد.

- يا حبيبتى أنا يهمني سعادتك. وبعدين اتقلي كدا، البنت لازم
تكون ثقيلة، أنا وافقت على خطوبة، أو مال لو قلتك إني كنت
هعرض عليه الجواز بس قولت هو هيقول علينا إيه، وبعدين لسه
صغير، على ما يكبر كدا ويتبهدل ويستاهل الأميرة تبقى نجوزه..



الآن أصبحت ملكي، ها قد قطعت شوطاً طويلاً وانتهى الأمر بي
مستقرًا بقلبك، أروى ظمئي، وابتلعت الغصة العالقة بحلقِي. تفاقمت
الأحداث موحراً وأنتِ تلك الغائبة الحاضرة، جعلت تلك المصائب
مني مصنعاً للدموع، وأكثر ما تبلل بي كان قلبي، أما عن وجتاي أشعر
أن الدموع حفرت بهما أنهاراً لما صار البكاء عادةً عندي، والحزن استقر
عندي، كنتِ أنتِ القوة الدامعة في ظل الشدائد، الجندي الأخير الذي
سيُحضر الانتصار إلى بابي، ذاك الصراع الدائم مواجهته مثل قطع من
الأسود ذوي النواجذ المشحذة يطاردوني بغرفة مترين قائمة، ولا أكاد
أرى يداي بهما. بعد يومين من ارتباطهما سوياً اصطحب أحمد سارة إلى
زيارة أبيه خالد القابع بسجنه الجديد، يقود أحمد سيارة سارة ال بي إم
السوداء، وسارة تجلس بالجوار تقلب بهاتفها على مواقع التواصل، غير

مكتثرة لتغير تعابير أحمد القابل على زيارة والده بزرائته. فقد تعودت على تحمل أحمد للصعب، وتحامله على نفسه واستكمال طريقه، انتهت عندما استوقفها ضابط أمن السجن:

- أنتو رايمين فين يا ابني؟

أخرج أحمد تصريح الزيارة، وخرج من السيارة؛ ليعطيه للضابط، بضراوةٍ شديدةٍ قال أحمد:

- احنا هنا عندنا ميعاد زيارة المسجون الي اسمه في

التصريح ده يا باشا، ودي بطاقتي أهيه.

تمن الضابط بالأوراق وتحقق من الاسم المكتوب بالتصريح وطابقه بالبطاقة، ثم قال باقتضابٍ:

- بس ده تصريح زيارة لواحد بس، اركن العربية في جنب والأنسة هتستناك في ساحة الانتظار، وأنت كمل الشوية دول على رجلك.

أومأت سارة إلى أحمد بعد أن تركها بسيارتها مركونة على جانب الطريق، ارتجل المسافة المتبقية يفكر في ما سيقوله لوالده هذه المرة، أخبره أنه غير قادر على الاستكمال والتحمل على نفسه، وأن الأمر معقد للغاية؟ على غير العادة وجد أحمد خالد منتظرًا على أحد مقاعد السجن أشعثًا يبدو عليه أثر الحبس والضيق، خالد المنمق والمهندم بملابسه أهلكته

الليالى السحام، سكرتير وكيل الوزارة المتقاعد عن العمل لأسباب صحية أصبح مسجوناً بقضية قتل، هاجس الشفقة ضرب قلب أحمد، فحالة والده يُرثى لها، ابتسم خالد واثقاً ومؤكداً لأحمد أنه الوقت المناسب للاقتراب، ارتقى الأخير بين أذرع خالد المنهكة جداً، لكن جسد أحمد كان أكثر إنهاكاً. ربت خالد على ظهره وهو ينفث غبار السجن من بين رثتيه:

- إيه يا بطل، احمد كدا ده شهر واحد غبته عنك، يحصل ده كله فيك، شدة وهتزلزل، وإن شاء الله ربك هيظهر الحق وهتجتمع زي الأول.

تنهد أحمد في حيرة توّضح عدم تصديقه لما يقوله والده. فالحاضر غير منصف والماضي هشهش العظام والمستقبل أعمى العين. ولم يبق له أحد ينسج معه الخيوط ويعقد حبال الغد، فلم يجد بين تعقيدات العجوز أبوه جواباً، وظل موصباً وجهه أرضاً، يداه تلتفان حول بعضهما البعض.

ابتلع أحمد غصته ثم قال:

- بابا أنا مش عارف فين الصح وفين الغلط، حاسس إن أنا عايش في وهم، وكل ما أجي أقعد معاك تقولي أَلغاز، والمحامي اللي أنا لفيت إسكندرية كلها عليه ومش عارف هو فين أراضيه.

زفر بقوةٍ وتناسى وجود أبيه قائلاً:

- أنا يأسْت خلاص وحاسس إني مش هلاقي حاجة توصلني،
والطرق كلها بتتقفل في وشي، مش عارف هقدر أكمل ولا لا.

قاومت الدموع بعين خالد، ورفضت الاستسلام للسقوط، كل
إحساس يكمن بقلب أحمد يعلمه خالد بل ويشعر به، الرحيل بتلك
الطريقة وتركه وحيداً بالظلام وتلاشي البريق المحفز على المضي قدماً،
وتقهقر الصبي للخلف كثيراً، كل ذلك يقرع على قلب خالد، ضمه
أخيراً إلى صدره ثم قال:

- متخافشي يا أحمد شدة وهتزول.

قال وهو يجش بالبكاء:

- الحياة صعبة خالص من غيركم. وماما وحشتني أوي وأنت
كمان. أنا مش قادر أعيش ولا عارف هعمل إيه... يا بابا قولي
لو أنت مخبي عليا حاجة، أنت عمرك ما قولتلي حاجة عن البلد
دي، ولا عمرنا روحناها. واليومين اللي أنت غيبتهم بعد ما عمي
جورج مات. قولي يا بابا.

احتضنه بقوة وقد أجهش في البكاء هو الآخر، وقال بصوت نحيبه:

- استحمل يا أحمد، استحمل يا ابني.

خرج أحمد في وقت الغروب محملاً بالهموم من مقابلة أبيه التي لم يكن منها أي شيء. دخل شجرة يابسة الأوراق وخرج بدونها، الشمس تقبع خلف سارة التي تجلس واضعة قدمها اليمنى فوق يسرتها، تحتسي قهوتها، خلعت نظارتها الشمسية عندما رأت أحمد يقبل والحزن بعينه، أمسكته سارة من ساعده وأجلسته بجانبها ومسحت بأطراف أصابعها دموعه الباردة بالسقوط واحتضنته بين أذرعها قائلة:

- أنا وعدتك يا أحمد إني عمري ما هسيك، اجمد كدا عشان نقدر نكمل.



غياب الأشخاص يجعل من الصمت ركنًا أساسيًا لا غنى عنه، وفي حضرة الصمت تأتي الذكريات من أعمق مكان. ارتكست كريستين على ركبتيها أمام قبر جورج الذي لا تنفك عن زيارته منذ رحيله، جورج كان كل شيء بالنسبة لها، العائلة، وكانت جميع أخبارها تصب بصدرة، أبوها الذي وافته المنية، وأصبح يرقد تحت التراب.

تقدمت واضعة باقة الورود تحت اسمه وبكت قائلة:

- وحشتني أوي يا جورج. كدا هُنت عليك تسييني وتمشي، وأنت عارف إني مليش غيرك في الدنيا. مين يا بابا بقى هترمي في حضنه بعد كدا؟ مين اللي هيفرحني؟ مين اللي هيجلي هدايا؟

أنت عارف، أنا عارفة إنك أكيد سمعاني وحاسس بيا وباللي أنا فيه. أنا متقيدة يا بابا وعاشة في نار. أنا اللي دخلتها بمزاجي، أنا بحب أحمد يا بابا، ومتأكدة من حبي ليه. وعارفة أنه يحب سارة، أنا جاية النهارده عشان أقولك أنا احتمال ممكن يعني أغيب فمتزعلشي مني يا حبيبي، أنت عارف أنا بحبك قد إيه وهرجعلك أحسن من الأول وأقوى كمان، وبنت فعلاً تستاهل تفتخر بيها.

نهضت كريستين بوجنتيها الوردية ومقلتيها المملئة بالدموع. فعندما يصدملك الفراق بما يفعله لن تحتاج لجسدٍ قويٍّ يتحمل لكلماته، كل ما تحتاجه هو قلب صامد يتعلم معنى الاشتياق حتى يتعود عليه. ربما لن تكون الشخص المثالي وستعاني كثيراً، وتلك اللحظات ستكون أكثرها مرارة على الإطلاق. قررت كريستين عدم الذهاب للكنيسة حتى لا يسألها القس عن موقفها من عرضه، فالتسرّع بالحكم في أمر كهذا لن يجدي نفعاً.

سارعت بالذهاب للمكتبة قبل دخول الليل للحصول على كتب جديدة بعلم النفس، تودُّ أن تتوغل كريستين بهذا العلم ظناً منها أنه يفيدها في معاملاتها. وصلت إلى المكتبة بعد الساعة السادسة بدقائق قليلة، تنقلت بين كتب المسيحية وعلم النفس والفلسفة، معظم هذه الكتب أتمت قراءتها بعمرها الصغير، سيطر الملل وظلت عدة دقائق

تطلع بكتب علم النفس. رمت بعينها رف الروايات الرومانسية، ولفت انتباهها رواية تحمل اسمها وعليها شريطاً لاصقاً مخططاً باللونين الأحمر والأسود. التقطتها كريستين وقلبت طيات ورقاتها، لم تنتظر الرواية بيديها أكثر من دقيقة فأعادتها إلى مكانها.

ثمّة اسم ما لاح بالأفق «علاء سعد» المحامي بالنقض العالي، تسارعت دقات قلبها وأزالت جميع الكتب لترى الياقطة بوضوح. الياقطة بالفعل تحمل اسم المحامي. تركت كريستين الكتب مكانها وهرولت إلى ما وراء المكتبة، العمارة التي يوجد بها مكتب المحامي. تريد أن تساعد أحمد بشيء حتى يعي لها وما تكنه له، تريد أن تأخذ أولى بخطوات حب سهرت من أجله ليالي، لم تتوقف كريستين بالرخص إلى أن صعدت سلم العمارة، المكتب كان بالدور الثالث ومطلي باللون الأبيض، وسكرتيرة تجلس على مكتب تقلب بالأوراق، ابتلعت كريستين غصتها ثم قالت:

- هو الأستاذ علاء موجود دلوقتي؟

أخبرتها السكرتيرة أن المحامي سيحضر للمكتب في غضون ساعتين. نزلت كريستين بنفس السرعة التي جاءت بها إلى الشقة؛ لتخبر أحمد أن يحضر معها؛ لرؤية المحامي. استقلت سيارة أجرة، وكل ما يجول ببالها كيف سيكون شعور أحمد عندما يعلم أن كريستين استدلت على المحامي

الذي أمضى أكثر من شهر بحثاً عنه ولم يصل لشيء، وشعوره عندما يعلم أنه يسكن بالقرب منه؟ صعدت سلم البيت ماسكةً حقيبتها أمامها ثم أخرجت النسخة التي أعطاها لها أحمد، ودلفت إلى الداخل، نور صالة الشقة كان خافتاً وغرفة أحمد مواربة، ونور ساطع يخرج منها كنور صالات الأفراح أزرق وأحمر أو ألوان القوس السبع كمطر يهطل أمام ضوء الشمس وحلل الضوء الأبيض. هدأت من سرعة خطوتها وخلعت حقيبتها لتضعها على الأريكة بهدوءٍ، اقتربت من غرفته، أحمد كان واقف بالغرفة وأضواء مسلطة ومتعامدة على لوحة عريضة، يبتسم وهو يضم ذراعه إلى صدره، امتلأت عينيها بالدموع تعلم من تكون بتلك الصورة، تمالكت من الدموع التي تريد أن تفل، وطرقت باب الغرفة وهي تقف خلفه؛ حتى لا يشعر أحمد بأنها رأت شيئاً، أطفأ الرسام الأنوار وغطى لوحته، ثم خرج إلى كريستين قائلاً:

- تعالي يا كريستين.

ابتسمت قاطبة جبينها ثم أومأت رافضة:

- كنت عازية أنكلم معاك في حاجة.

عقد أحمد حاجبيه وهو يلتف للعودة للداخل:

- دلوقتي؟ مش لازم دلوقتي بقى عشان برسم، وورايًا مسابقة زي ما قولتلك.

أومأت برأسها مرةً أخرى لكن بالانسحاب، التقطت حقيبتها بحسرةٍ شديدةٍ ثم ارتمت على فراشها تحصد ما تبقى لها من عمرها علّه يثمر في أحد المرات.

أنا أعتذر، أعتذر عن عدم فهمي أن قلوب الناس ليست مشاعًا، وأنها خلقت لأجل محبتها، أعتذر حقًا عن إساءة تقديري للنظرات، وعن تلك الحمقاء التي لم تترك مجالًا للشك أن يثنيها عما يريد، وأعتذر أيضًا عن تلك الكلمات التي تلقيتها مني، لم تكن على بالك ولن تروق لك فهي ممن لا تبالي بها، ومن لا تريد أن تسكن بداخلك، أعتذر عن كوني طرفًا ثالثًا بعلاقة مكتملة الأركان، وعن تعريض نفسي لذلك النوع من الإحراج، لكن أريدك أن تعلم أن قلبي هو من خط تلك الرسالة، لا يداي المرتعشتين، ظننت أنني بذلك قد أنال حظي من قلبك، ولم أكن أعلم أن ثمة شخص ما يملأه، شخص سواه الخالق ليتمرّز بقلبك، أعتذر حقًا عن عدم كوني الوسيمة ذات الشعر الذهبي والعينين الملونتين وعن عدم كوني من ذوي المال وأحد أثرياء بلدتنا. أنا حقًا آسفة عن كل ما جعلتك

تشعر به، وعن شعورك بالشفقة تجاهي، وأعتذر عن رسائل عيني التي
تحايلت بها على قلبك وأجبرتك فيها على الرد، أنا أسفة بحقك. أرجو أن
تقبل اعتذراتي فقد تيقنت أن كل ما نريد ليس طوعاً لنا.
أنا أعتذر..



أتى الأول من شهر ديسمبر لعام 2016 مسرح الجامعة يزج بالحضور، ما بين طلاب وطالبات كلية الفنون الجميلة وأساتذة الجامعة ومحكمي اللجنة، المسرح معلق بياضات استقبال المدعوين وأسماء المشتركين، ويافطة شكر لرجل الأعمال يحيى زهران. الضوء الأبيض الخفيف يسيطر على خشبة المسرح والستارة الحمراء التي تقبع بالخلف. أحمد وصل إلى النهايات واللجنة مجتمعة الآن؛ لتحديد الفائز في المسابقة. العديد من اللوحات قدمت للجنة، ولكن اللوحة الفائزة ستعرض على المسرح، وسيُسلم صاحبها درع الجامعة، يقف أحمد بحلته السوداء وشعره الطويل على الأرض بجوار سارة وفستانها السواريه الواصل إلى

ركبتها، الشغف مسطير على وجه أحمد، والقلق مسيطر على وجه سارة التي تنظر بين الحين والآخر إلى وجه أبيها الجالس بالصف الأمامي.

التقط أحد الأساتذة صغار السن من منظمي الحفلة ميكرفونه، ثم تحرك إلى منتصف المسرح ملتقطاً ورقة الإعلان عن الفائز:

- شكراً شكراً.. بشكر كل أساتذة الجامعة الي شرفونا في اليوم الطويل ده، وطبعاً كل الشكر لشركات يحبى بيه الي رعت المسابقة وطلعتها بالشكل ده، ورجل الأعمال الكبير يحبى زهران الي شرفنا بحضوره النهارده. ولادنا النهارده قدموا حاجات جميلة، والاختيار كان صعباً أوي، لوحاتهم كلها حاجة تستاهل الفخر، كلكم كسبتوا، الي وصلوا للأدوار الأخيرة أو الي موصلوش كلكم حاولتوا تثبتوا نفسكم، اللحظة دي لحظة إعلان الفائز في المسابقة نصفق كلنا للطالب..

وقف الزمن وتجلط الدموع بعروق أحمد، وبدت رؤية الشخص الناطق بالاسم مشوشة، والأصوات الصاخبة بالحفل سمعها همسات غير مفهومة. عادت إلى طبيعتها عندما تحركت شفاه الأستاذ:

- الطالب أحمد خالد غنيم.

عائقت سارة أحمد بحرارةٍ شديدةٍ، كأنه فاز بجائزة نوبل في الفن. لا

تعلم سارة المتبقي غير أن أحمد طلب منها لبس أحد الفساتين السورايه،
أفلت أحمد يدها وصعد على المسرح ليستلم جائزته، صافح الأستاذ ثم
وضع الأستاذ ذراعه على الأخير.

- مبروك يا أحمد..

طبعاً الإبداع مش متطلب شخص فذ أو حد عبقرى أو واحد متعدد
المواهب، ولا حد ملوش مثيل. الإبداع بيتطلب فهمك الصح للحاجة
اللي بتعملها عشان تعرف تعملها، عايز شخص مجتهد عنده إصرار إنه
يوصل مهما كانت الظروف اللي بتقابه، أو اللي مريبها. مثال للإبداع في
مجالنا «فان جوخ» والرسومات بتاعته أو لوحة «الموناليزا» اللي هي مثال
للإبداع على قلة الإمكانيات. طبقوا الإبداع في حياتكم، حاول تبدع في
أدق التفاصيل أو الأمور التافهة، حاول تبدع في طريقة أكلك، مشيتك،
طريقة ترتيبك لسريرك، احنا فنون جميلة مبتقلش إلا الفنانين.

انهالت الأيادي بالتصفيق ثم ترك الأستاذ الميكروفون لأحمد؛
ليحدث عن لوحته التي أحضرها لمنظمي الحفلة، مغطة بوشاح مطبوع
عليه شعار الكلية وإمضاء أحمد على اللوحات، سكت الجمع مترقبين
كلمات الفائز:

- طبعاً أشكر كل القائمين على الحفلة، وأشكر صحابي اللي وقفوا جنبي.

تنهد أحمد مردفاً:

- أنا كنت عايش حياة عادية من صغري، وسط أب وأم بيحبوني
جداً، عمري ما فكرت في يوم من الأيام إن ده كله يحصل في ال 3
شهور الي فاتوا دول، شقلبوا حياتي، خيلنا في المهم..

الرسمه دي عبارة عن أربع رسما بتحدوا بطريقة معينة عشان
يطلعو أحسن شخص أو أغلى حاجة عندي في الدنيا دلوقتي.

اقترب من لوحته وأزال الرداء عن لوحة ملطخة بالألوان غير
مفهومة المعالم، استغرب الجمع.

وبدأت الهممات تصدر فيما بينهم كيف تفوز تلك اللوحة ويبدو أنها
عادية جداً أيضاً.

- اللوحة الأولى دي بتبين عصر الازدهار أو أيام الراحة النفسية الي
كنت عايش فيها مع بابا وماما وأنا صغير، ماسك في إيدي شمعة
الي كان بابا بيمثل أسرتنا بيها.

- الصورة الثانية بقى دي أنا الي فيها بس، والخلفية سوداء دليل على
اختفاء بابا وماما من حياتي.

- الصورة الثالثة دي زي ما أنتم شايفين أنا الي فيها برضه والخلفية
هي هي، بس بدأ قلبي ينبض.

فيها دليل على وجود حد قريب مني..

- الصورة الرابعة دي، الصورة اتقلبت حمراء ودي إيده وهو ظاهر أكنه شبح فيها؛ لأن الصورة دي كلها بتتكلم عنه طبعاً، الرسمة كدا عادية وكلكم أكيد بتقولوا إزاي تفوز بس في فكرة هقولها لكم دلوقتي.

الحقيقة إن دي رسمة واحدة هي هياهه بس متجمعة والألوان مش لايقة على بعضها، طبعاً هتقولوا كدا. المفاجأة بقي إن في نظرية اسمها نظرية تكامل الألوان، يعني لو لونين بيشعوا ضوء، لو الألوان دي اتخلطوا مع بعض يديني لون أبيض، كل لون من التلات ألوان الأساسية ليه ضوء، بيكملوا بعض. لو سلطنا اللون الأحمر على الخلفية الخضرا اللي هي هتشع ضوء دلوقتي.

وبنفس الطريقة أضاء أحمد باقي الأوراق على اللوحة.

وتكاملت الألوان وظهرت سارة في منتصف اللوحة.

تشكل كل لوحة ربع وجهها، صاحب الجمهور قائمين من على المقاعد تصفيق حار، وصعدت سارة بلهفة ماسكة طرف فستانها إلى جانب أحمد، تمسك بقلبه قبل يده، نظر إليها ولم ير غير وجهها بعينيها الزرقاوتين، التفت إلى الجمع ليكمل حديثه:

- الحقيقة إن صاحب الفكرة دي الباشا يحيى زهران، فكرة إن أرسم سارة وكمآن قدام الجمهور.

دس أحمد بيده في جيب معطفه وأخرج العلبة الزرقاء وفتحها مخرجاً
الخاتم كأمرٍ.

- وبنتهز الفرصة دي..

سكت مبتسماً عندما رأى يحيى ترك كرسيه متجهاً إلى خشبة المسرح
يشاركها تلك اللحظة التي قررها هو، صعد يحيى زهران واقترب منها
غير مكترثٍ للأمل الذي اعترى عين ابنته، وضرب الخاتم وعقد حاجبيه
ساحباً ابنته إلى جانبه، تيسر وجه الصبي واتسعت حدقته قبل أن يصعقه
الرعد الذي تلفظ من بين فكي يحيى:

- اعرف أنت مين؟ وبتطلب إيد مين؟

استدار يحيى جاذباً سارة من يديها رغماً عنها التي اندهشت هي
الأخرى، رأت أحمد أمامها مبتلاً من كثرة الدموع، هو الآخر يستوعب
الصدمة ببطءٍ شديدٍ، التف زملاؤه حوله وحجبوا الرؤية، لم تلفظ ابنة
الباشا ببنت شفه، وكأن العاصفة التهمت لسانها، كل ما يجرها هي يد
أبيها التي تجرها كطفلة صغيرة فعلت شيئاً مشيناً، تخجل منه. أخذتها
أمها تعاقبها بالحبس، اختفت سارة وكل ما تبقى أحمد وسط الدائرة
يجلس واضعاً يديه على وجهه يحرك يديه بين خصلات شعره ثم نهض؛
ليلمم صورته وآخر ما بقي له من كرامته بين نظرات الشفقة والتعاطف

والاستهجان من الأساتذة لفعله الطفولي. ما حدث كان صدمة للجميع
كيف تسول له نفسه أن يتلاعب بمشاعر الصبي بمثل تلك الطريقة، كان
الرفض أخف ألماً من أن يفعل فعلته تلك..

ترتبت الدموع بعينه لتذرف على أعز ما يملك، وتساقطت منهمرة
واحدة تلو الأخرى، دموع حاملة مشاعر قادمة من الأعماق، حزم حقائبه
بتمهل شديد على غرار ما حدث. ثم جاء أحد الأساتذة يهز رأسه يميناً
ويساراً، مطّ شفتيه قائلاً:

- أحمد أنت مرفود..

ابتسم ولم تؤثر كلمات الأستاذ بقلب أحمد. أتحاول أن تجرب حني بعدما
طعن قلبي؟ ألا ترى الدماء من حولك؟ تلك الأنهار التي تحيطنا من دمائي
ودموعي، وهمُّ حقاً، كنت أحسبه حقيقة. لم يعد الألم يحثني على إصدار
آهات بعد الآن، واعتدت الغدر والخداع والفراق. لم يعد بجسدي مفر،
حتى ظهري لم يعد يقوى على حمل شيء. أشعر أن الألواح التي أحملها على
ظهري ثقيلة للغاية. فيا سارقي.. نعم قد لاقيت هموماً قسمت ظهري،
لكن أنت ستبقين هم العمر..

على أريكة بيته الحزينة المستقبلية لأي هزيمة يتلقاها. أرجع ظهره إلى
الوراء، لكن هناك ضربة أخرى قد تكون موجعة، ظرف متروك أمامه

على المنضدة مكتوب بخط الأيدي.

- أحمد مبروك على الخطوبة من سارة، طب هترسملها رسمة داري
الخاتم الي حاطه قدام عيني، وراعي مشاعر الناس الي حواليك.
أنا مش عارفة أنت عامل مش واخذ بالك، ولا غبي أو مبتحشش
أو معندكشي قلب، عالعموم أنا سايبك وماشية يا أحمد وعلى
فكرة الموضوع المهم مكنشي يخصني، يخصك أنت. المحامي ورا
المكتبة هناك في عمارة عشرة الدور الثالث، وحب الي تحبه يا أحمد
لما تعوزني هتلاقيني.. كريستين..

رحلت كريستين إلى القاهرة؛ لتعمل هناك بأحد الكنائس، واقتنعت
بكلام القسيس لا سيما بعدما تأكدت من حب أحمد لأخرى. بالدموع
والآهات والأنين تركت من دق القلب له، لم يكن أمامها غير أن
تذهب بعيداً وتتركه، الهروب من الشيء المتعلق به قلبك أحياناً يكون
الرأي الصائب. أرض جديدة وأحلام مهدمة وماضٍ أليم متروك. كان
باستقبالها القس بطرس أحد قساوسة العباسية، وابنه بيتر القسيس
القادم، كعادتها انحنى مقبلة يد القسيس الذي ربت على ظهرها.
أهلاً بيكي كريستين في بيت الرب. أنا القس بطرس وده ابني بيت..



بعد مرور عشرة أيام على الحادث الذي ألم قلبها لم يستطع يحيى زهران أن ينتظر أن يتلائم جرح ابنته، وعرض عليها الخطبة لمصطفى التي لم تستطع رفضه. والآن هي واقفة بفستانها النبتي إلى جانب ذي الحلة السوداء مرتدين خواتم الخطوبة.

يحيى ومنصور يستقبلون مدعويهم الأثرياء وزوجاتهم اللائي يبدون كممثلي السينما. ابتسامات ومداعبات بينهما كأن شيئاً لم يحدث. أما عن قلب أحمد فلم يغادر منزله منذ ما حدث بالحادثة الأليمة التي تلقاها قلبه، لم يعد أحد يسأل عنه، أمه يغطيها التراب، ووالده يفصل القضبان بينهما، أما سارة التي لا يعلم عنها شيئاً استكثرها أبوها عليه، وعلى التي لم تعشق شيئاً غيره ولم يعطها اهتماماً حتى هربت. عندما تحف الدموع تبدأ من جديد، عليها تواسي بعضها بعضاً، فلا يوجد أحد يرتمي بحضنه، صمت قليلاً ملتقطاً الهاتف ليرد على المتصل:

- ألو. أحمد خالد غنيم؟

- أيوه، مين معايا؟ قالها وهو يتلع غصته.

لا يريد أن يسمع شيئاً آخرًا.

- البقية في حياتك يا أحمد. والدك اتوفي..

سقط الهاتف من يده وارتشعت شفتاه وكل قطعة بجسده البالي، لم
يقو على النهوض والذهاب إلى المستشفى العسكري لاستلام جثة أبيه.

انفض الجمع القليل من تشيع الجنازة بين أصحاب أبيه القدامى
وجيران الشارع، ارتكس أحمد على ركبته كرهًا، قميصًا أزرقًا غُطى
بالغبار، جسد لم يعد به شبرًا سليمًا وعقل لا يستوعب، والآن قلب مقتول،
أخرج هاتفه ليرى من بعث له رسالة على الهاتف، ربما تكون كريستين
أو سارة تواسيه برسالة، علَّ قلبها به شيء تجاهه، لكن لم تتغير تعبيرات
وجهه كثيرًا. صورة تجلس بها سارة إلى جانب مصطفى على أريكة حفل
خطوبتهما مرسلة من رقم غير معروف، ضرب الهاتف بعنفوانٍ شديدٍ
أرضًا ثم صرخ عاليًا:

- آآه!



الجزء الثاني

الفصل الثاني

يبدو أن العاصفة لن تهدأ، أخذت طريقها زحفًا، تلتهم من يجرو
على الوقوف أمامها، بدون قواعد أو مبادئ تقيدها، أو تفرقة بين عدو
وحبيب، أحاطتني القيود حتى أرخت أضلعي. فرائسها تكاثر أعدادهم
وأنا الضحية القادمة، وعداد الموتى سيظل يقفز حتى يصل رأسي.
أفقدتني العاصفة كل شيء، جففت دموعي، وكسرت أقدامي، ورسم
لي طريق طويل آخره ما لا نهاية، وبدايته كانت أرواح مفقودة. ويبدو
أنني بالجزء الآخر من الدنيا، حيث لا موت ولا حياة، فقط انتظار عدم
وجود البعض. كساد المشاعر أصبح واقعًا لا مفر منه. كل شيء قريب
إلى التصديق ما عدا خيانة مصطفى أولاً ثم تصديق سارة على الخيانة.
كان آخر زاد قد تبقى بطريقي هي مشاعر سارة تجاهي، لا زاد الآن فقد
فنى بالفعل.

أراح أحمد ذقنه إلى يده غير مكترثٍ لما يلقيه عليه الضابط محمود من تساؤلات، وكانت إجابته واحدة لا أعرف ولا أخص ولا أشك، غير أنني لست مهتمًا أيضًا، محمود يمرر أسئلته وأحمد يرد بعلامات استفهام، نفث محمود دخان سيجارته ثم مط شفتيه قائلاً:

- يعني أنت يا أحمد مش عارف أي حاجة، ولا تعرف حد من قريب أو من بعيد، ما هو مش معقولة يا أحمد، ما هي حاجة متصدقشي، كلها صدف يعني، ده الأمم المتحدة لو اتجمعت مش هتعمل كدا، أنت أمك وأبوك ماتوا في ظروف غامضة، وهنقيد القضية زي اللي فاتت ضد مجهول.. طب أنت عارف أبوك مات إزاي؟

تنهد أحمد محرّكاً رأسه بالرفض.

أردف محمود قائلاً:

- إطلعن عشر طعنات في بطنه، ده انتقام يا ابني مش مشاجرة في السجن زي ما المأمور بيقول، واللي طعنه واحد محكوم عليه بالسجن طول حياته، يعني ده حد بيدور وراكم، عالموم الضابط طارق هيقولك الجديد أول بأول وهيعرفك اللي هيجد في القضية.. خلي بالك من نفسك.

أشار أحمد إلى محمود طالباً استفساراً أو شيئاً ما:

- طب يا باشا أبويا موظف يعني كبير شوية و خلاص، فمش حاجة
يعني، هيكون ليه أعداء إزاي؟

تنهد محمود وهو يحك أنفه لا يعلم ماذا يقول، يريد أن يطمئن
الصبي، فالشعور بالذعر قد يجعل الأمر يزداد سوءاً، ويريد أيضاً أن يلقي
عليه كلاماً يصدق.

- والله يا أحمد احنا ماشيين في كذا سكة، والقواضي كلها افتتحت تاني،
قضية والدتك وجورج كلهم بينهم عامل مشترك واحد، بنحاول
نوصله. ده اللي الداخليه بتفكر فيه دلوقتي. أما عن إننا وصلنا
لحاجة فعشان مكذبشي عليك لا، كل البيان دلوقتي مقفولة بس
متقلقشي.. أهم حاجة خد بالك من نفسك.. وتقدر تمشي دلوقتي.
هام بين الدلائل والتفاصيل الغير دقيقة التي لا تجدي والإجابات
المحيرة التي أعطاه الضابط.

بائس وحزين على فقد أبويه وعلى أنهم ظلموا بدون سبب، ولقوا
حتفهم مقتولين. لا يريد أن يعود إلى الشقة، فقد كره وجوده بها، لا تخفف
عنه بل كل شبر بها يضعفه ويجعل الألم يملكه، قضت تلك الأيام التعيسة
القرية جداً على ذكريات ظنها أبدية. تجول بين الشوارع بعد انصرافه من
قسم الشرطة، سيذهب إلى البحر يشكي له غدر البشر ومفارقتهم له؛

ليخفف عنه آلامه، لم يكن قد ابتعد عن القسم كثير، استوقفه نداء جهل صاحبه، سيارة هيونداي ماركة 2016 فضية اللون يخرج منها شخصاً طويل القامة يرتدي نظارات طبية وحلة زرقاء وبصدره يعلق نظارة القراءة. وقف أحمد حذرًا متذكرًا كلمات محمود وموصبًا بصره إلى يديه ومستعدًا للهرب إذا شعر بأي خطر:

- أهلاً يا أحمد. أنا علاء سعد المحامي. ابتلع غصته ونشف العرق المندي على جبينه وبادله التحية، استكمل علاء حديثه:
- تعالى نروح المكتب أديك وصيتك والرسالة الي والدك سيهالك.
- احنا بقالنا أكثر من ساعة بنلف. قالها أحمد مقتضباً جبينه.
- نظر إلى يمينه ويساره ثم قال:
- احنا مش رايحين المكتب..
- عقد أحمد حاجبيه ثم وضع يده على مقبض السيارة متأهباً الهروب:
- متخافشي أنت أكيد متراقب، افتح الدرج الي قدامك ده هتلاقي ملف فيه ورقة بأملاك أبوك، وظرف مش مسموح لحد يفتحه غيرك.

بلهفةٍ شديدةٍ فتح درج السيارة مخرجاً محتواه.

وجد أحمد في الظرف ورقة مرسوم بداخلها شمعة، ابتسم أحمد متهكماً، كأن والده يحاول قياس مستوى ذكائه.

دنا المحامي من أذنيه وهمس قائلاً:

- مصنع الشمع اللي في القاهرة روح هناك واسأل على السور القديم.
فتح علاء الباب ثم قال:

- روح يا أحمد وحاول تهرب منهم وأنت رايح المكان ده، محدش يعرف الطريق ده غيرك يا أحمد، حاول وأنت تعرف، ده الكلام اللي والدك قاهلوك.

نزل أحمد وانطلق المحامي بسرعةٍ شديدةٍ تاركاً أحمد المتشتت ينحت بالصخر وحيداً.



استلمت الهاربة من قلبها عملها بالكنسية وسط فتيات يشبهونها كثيراً، فتيات ببداية العشرينات. شعرت ببعض الاهتمام الذي افتقدته كثيراً، أو قلما تشعر به، ثم أمسكت مقص الأشجار لتهدم شكلها وتقص الأفرع الزائدة استعداداً لعيد الميلاد المجيد أضخم حدث في السنة وأهمها على الإطلاق في أحد أكبر الكنائس بمصر، تشهد العديد من الزوار. عمل كريستين هو الاهتمام بالحديقة وأزهارها، زهرة تعتني بزهرة. ما أجمل

هذا الاعتناء! تستيقظ في السابعة صباحًا تسقي أزهار حديقة الكنيسة وتلثم عبيرها الصباحي الخالي من النفوس، الهواء الذي يبعث بها روح الكد والعمل وتهرب به من الماضي المؤلم الغير قادرة على محوه تمامًا منها. تركزت وتحكمت مضغعة صغيرة في الصدر، انفطرت على الراحل والباقي، اقترب جرح آخر يلوح بالأفق يريد أن يضيف اسمه لقائمة قتلى الحب، اقترب بيتر قس الكنيسة القادم وأب المسيحيين المنتظر، مسك الزهرة التي تسيقها الأيدي الناعمين وقطفها:

- اتفضلي .. مستريحة في الشغل هنا؟

وضعت الدورق أرضاً وحكت يديها بملابسها قبل أن تلقط الوردة، احمرت وجنتيها قائلة:

- آه. تمام. سعيدة بالشغل، وبوجودي معاكم. وهحاول أتأقلم على الوضع الجديد والعمل في خدمة الرب.

ابتسم منسحبًا بعدما رأى والده مقبلًا على الوافدة الجديدة ليتفقد أحوالها:

- أنا همشي بقی، ونكمل كلامنا بعدین.

أقبل القسيس بطرس بردائه الأسود الطويل وقلنسوته الدائرية وصلبيه الحديدي، مد يده لتقبلها كريستين:

- بيتر أزعجك؟

هزت رأسها ثم ابتسمت

أردف القسيس:

- أنا عارف الظروف الي أنتي مريتي بيها في حياتك، أكيد كانت صعبة عليكي، وقد إيه أنتي اتعذبتى، بس الرب ميينساش عبده لا في فرح ولا في حزن. أنتي الكنيسة اختارتك والعذرا قررت تكوني واحدة من بناتها الي هيخدموا الكنيسة والدين بروحهم، لازم تنسي الي فات وتبدئي حياة جديدة، وتتأقلمي على الوضع الجديد ونشوفلك إنسان تكوني أنتي وهو جسد واحد. أنتي هترعي الكنيسة لحد ما الرب يأذن أن تكوني لحد منها، فأنا بالمناسبة دي عايزك تبقي لبيتر ابني..

تحركت شفاهها لكنها لم تنطق وتوقفت بعض الوقت:

- أنا مش عايز رد دلوقتي، من حقك تفكري وتقرري، صدقيني محدش هيكون أحسن من بتر، وقرري براحتك ويارب تكوني حرم القسيس القادم.

ماذا يا هاربة من قلبك؟ ماذا ستفعلين؟ الركض من البحر إلى النيل كان هرباً من تضارب العلاقات، وجئت هنا لتنعمي ببعض الراحة والاستقرار، بيومك الحادي عشر انجذب لكي بتر ويريد أن يتزوجك.

ماذا عما تدفيننه لأجل أحمد؟ ماذا إن عرفوا أنك عشقت مسلماً؟ ماذا إن
شعر قلبك أنك ستكونين لغيره؟ لم تسمع لاقتراحات قلبها التي وضعتها
هناك، والتقطت دورقها تسقي زهرات الحديقة ربما تحسن الصنع يوماً
وترد لها الجميل وتجعلها تتنفس رحيقها.



في فيلا الباشا تضع سارة آخر لمستها على فستانها السماوي القادم من
نيويورك، ومكياج قاتم أضافته لوجهها العبوس الشاعر بالظلم، لم يزد
من حسننها الكثير، تتخيل أحمد بكل مرة ترى فيها مصطفى، وتشعر بيده
عندما تعانقه أيضاً، يظهر لها في كل رجل تراه يمر من أمامها، وتشعر
برائحته في كل شيء حولها، تلعن أبيها ألف مرة عندما تتذكر فعلته،
وتلعن مصطفى مليوناً على خيانتته لصديق عمره وخطبته حببيته. كيف
وهو يعلم الأمر منذ نشأته؟ فما نوع ذاك القلب الذي يفعل هذا؟ وماذا
يستقر بين ضلوع أبي حتى يكسر قلب ابنته الوحيدة؟

ارتدت إسورة ذهبية أهداها لها مصطفى، ثم ارتدت البومة الفضية
هدية أحمد الغالية، وتساقطت بعض الدمعات على وجنتيها، لكن ما باليد
حيلة، كان مصطفى قد انتهى من تناول آخر رشفة بقهوته، نهض عندما
رآها تنزل من على السلم:

- إيه يا سارة اتأخرقي ليه؟

لم تجيبه سارة لكن مصطفى أكمل حديثه متناسياً عدم جوابها، يعلم هو الآخر حجم ما حدث وما ألم بقلبها مؤخراً، ولا يريد أن يخبرها أنه شبه أجبر على ذلك أيضاً:

- أنتي جايبة مفاتيح عربيتك ليه؟ مش احنا متفقين نروح بعربيتي.

رفعت المفاتيح بمرمى بصرها ثم وضعتة بحقيبتها متنهدة:

- نسيت.. يالا بقى عشان متأخرشي.

- إيه رأيك في العربية الجديدة؟ قالها مبتسماً.

لم تحرك عينها بعيداً عن هاتفها، ثم أجابت ببرودٍ شديدٍ:

- حلوة.. مبروك.

زفر سراً، عقد مصطفى جبينه، رغم معرفة ما يضايقها سألها باقتضابٍ:

- أنتي مالك يا سارة مضايقة ليه؟

أغلقت هاتفها ثم اعتدلت بجلستها ناضرة إليه:

- يعني أنت مش عارف مالي ولا إيه اللي ممكن يكون مضايقتني، ولا

أنت معمولتش حاجة، وعاش في دور الملاك البريء اللي باباه هو

كمان غصبه أن يخطبني، احنا مخطوبين بقالنا خمس أيام يا مصطفى،

واحنا ولا حاسين أي حاجة ناحية بعض، وكمأن أحمد الي عملنا فيه كدا.

أغمض عينه وهو يشيح بوجهه إلى الجهة الأخرى، يستغرب تارة عن كيفية توقعها، وتارة يشعر بالتكبر فهو ذو نفس عزيزة أيضاً، ولا يريد أن يحظى بأحد لا يريده، القلب وما يهوى حتى وإن كانت لا تهواه هي فهو يعشقها:

- أردفت سارة بنفس التعبيرات بل علا صوتها قليلاً، متستغريشي أنا عارفة إنك هتقولي كدا، وإن بابايه وباباك اتفقوا وجم قالولك بس أنت بقي مطلعتش شههم للأسف يعني.

ضغط على أسنانه بقوة ثم زفر وهو يوقف السيارة بمنتصف الطريق:

- أيوه أنا عارف باللي عملته، وعارف إن أنا خنت أعز أصحابي، وعارف باللي هتقوليه بس أنتي مفكرتيش إن أنا كمان ممكن أحبك ولا كله مبررات إني إزاي جيت أخطبك وإزاي عملت في أحمد كدا.. افهمي يا سارة ولو مرة وحاولي تبصي للصندوق كامل.

تهكمت سارة وهو تلتقط هاتفها:

- جواز مصالح يا صا صا والي اختار ضلع في الصندوق مش ممكن يبص لغيره.

أوماً برأسه ثم أدار المحرك واستدار بالسيارة عائداً إلى الفيلا. لم تسأله سارة شيئاً ولم تبدي اهتمامها، نزلت من السيارة بدون توديع عاقدة حنايا صدرها ووجهها أيضاً. عاد مصطفى إلى بيته لم يلق التحية ولم يتكلم مع أحد، دخل إلى غرفته وتحرك أمام سريره في حيرة من أمره، يضرب بقبضته راحة يده، جلس على طرف سريره وشعر بضيقٍ يخنق صدره؛ مما تكنه سارة لأحمد، وما تكنه له من كره بعد أن تحولت صداقتهم إلى عدواة. يريد أن يظفر بها من البداية لكن قلبها مال إلى غيره، وقرر أن يعيش طرفاً ثالثاً، ففي سبيل هذا، قد تهمش حياتك، قد تضيق ذاتك، قد تفعل أشياء لا دراية لك بها، أشياء لم تكن لتصدر من شخص مثلك، شخص قد أعماه الحب، تملك وجدانه، إنها تلك التي تجول بخاطرك وتقطن بداخلك، تلك المشاعر التي لم تعد تحكم السيطرة عليها، قد هامت، قد ضاعت، قد سبحت في السماء بحثاً عن شاطئ تتواجد عليه أميرتك، لكن بلا جدوى ستظل تسبح أمد الدهر، ولن تعود إليك، لا، لأنها قد ضلت الطريق، ولكن لأنها ليست لك أنها لا تحبك.

أحرق لهيب العشق قلب الفتى الذي فعل ما فعل ورضى بذلك ظناً منه أنه ستعيد ما سلب، لكن كما شعرت سارة أن الصداقة تحولت إلى عدواة. فما بال قلب مصطفى الذي أقسم بتعبيراته الحازمة أن العدواة ستكون انتقاماً..



الأمر بالنسبة ليحيى على ما يرام، الشراكة مع منصور تسير بخطة رائعة، وبداية العام الجديد تشعره ببعض التفاؤل. سيف نجله والوريث الشرعي لممتلكاته يحضر لحفل زفافه القريب على ريهام ابنة وزير النقل السابق، وسارة مخطوبة أيضاً لابن شريكه الجديد كبند معين من عقد الشراكة يقتضي توطد العلاقة بالمصاهرة. يحيى غير مكترث البتة لما تعانيه سارة وحزنها على أحمد، ويرى أن ما فعله كان صائباً، ورد فعل طبيعي لمن يجروء على النظر خارج عبائته ورمى بأحلامه بالمحيط، إن كنت تريديها فعليك مصارعة القروش، وفي لحظة ما وأنت بالأزرق هذا تمسك بيدك أحلامك، لكن يداك ستكون آخر ما تبقى من جسدك، والأزرق سيتحول إلى الأحمر الفاقع، أحلام الصبي فتتها يحيى بين يده الطائلتين، وجعل من أجمل ذكريات أحمد ذكريات أول جرح بقلبه، اعتدل على عرشه الجلدي وهو يشير إلى شرف بالاقتراب:

- تعالى يا شرف. اقعد، تشرب القهوة هنا ولا عندي في البيت؟

أشار بيده تاركاً الأمر ليحيى باشا أن يقرر، الذي قال بحزم:

- تعبت أنت في الشغل اليومين اللي فاتو دول، وخصوصاً تسليك البضاعة من الجمارك وشحنها في المخازن بتاعت منصور باشا.. كان لازم أقسى عليك يا شرف، أنا عارف إني مشغل رجالة معايا.

ابتلع شرف غصته ثم ابتسم وهو يحرك خاتمه ذو الفص الأسود:

- احنا خدامينك يا معالي الباشا.. خلاص كدا معدناش هنشوفك تاني.

سحب جسده المسنود على المكتب، وهو يرمق بنظره إلى جانب المكتب ليلتقط حقيبة سوداء:

- دي باقي الفلوس الي اتفقنا عليها، خلص الرجالة وتخفي اليومين دول، ولما هعوزك تاني يا شرف هبقى أوصلك.

أردف يحيى بنفس التعبيرات الحازمة بعد أن التقط شرف الحقيبة:

- شرف مش هقولك تاني، محدش يشم خبر، الموضوع انتهى ومش هيفتح تاني، ما لم يجد جديد. حاول تاخد الفلوس وتسافر أو تقعد هنا وأنت واخد حذرك ومخلي بالك. أَمِّن مستقبلك ومستقبل عيالك يا شرف وخليك على تليفون لو احتجناك.

نهض شرف ليهم بالانصراف، نيفين ذات الشعر اللولبي الأسود تنتظره على مكتبها رافعة هاتفها إلى مرمي بصرها وموصبةً كاميرات الخلفية إلى باب المكتب الرئيسي، التقطت بعد الصور لشرف بدون علمه، ثم بعد أن انصرف أغلقت هاتفها ونظرت أمامها، يحيى زهران يتاجر في شيء ما. يحيى زهران نجيب الكثير، يجب أن تعلمه وأن تتصرف بالظلام حتى لا ينتهى بها الأمر مقتولة، ولا يعلم بأمرها أحد، تنهدت في تشتت وهي

تشريح بوجهها إلى مكتب يحى، وكل ما يحضر الآن بعقلها المليء بجدول المواعيد هي كيفية التصرف والولوج بيحيى إلى السجون الحديدية.



جلس أحمد أمام المقابر يرفرف برموشه قطرات الدمع العالقة بعينه، غير قادرٍ على الثبات على شيء ما، يضحك من أعماق قلبه بعض الوقت وهو يتحدث مع أبويه عن الذكريات، وما آلت إليه الأيام وكيف أذاقته المرار، فضلاً عن عدم وجودهم بجانبه. بدا وكأنه حائطاً، كان رزيناً، أتى الطوفان فجأة، ضرب الحجر فبال الحائط ولم تبق منه غير بعض كسور الحجارة. يضحك أحمد على نفسه، وعلى حياته التي أصبحت رماداً والنار ما زالت مستعرة رغم الرماد الأسود الذي يحمله، والرياح التي أتت متأخرة ولم تضرم النار إلا وهي مبتلعة كل شيء. يبكي على الرحيل المفاجئ وعلى الصفعة التي لم تكن بالحسبان. ربما هي سنة الحياة، وما تحصده الأيام عليك، هذا جناء ما تزرع، وتلك مسببات القدر. حتماً ستصلك حتى وإن هربت فعندما تقف مكبلاً بالقيود ويقف أمامك حزن عمرك يحدثك بأشياء لا تريد سماعها، تفيض عينك بالدمع حزناً، وتتمنى منه ألا يداهم حاضرك مجدداً. من أصعب الأشياء التي قد يمر بها قلبك ألا يعي ما يحدث له. تتمنى أن يكون عقلك مثل الحاسوب يستطيع الاحتفاظ بالأشياء المفضلة، وله القدرة على حذف السيء منها.

فهناك بعض الأحداث تظل عالقة في الذهن، دفينّة في القلب دائماً، ما تزيد إلا من حسرتنا، وتتوغل بين أوقاتنا وتعتصر ضلوعنا. نتمنى أن يعود الزمن لنفعل شيئاً أو لا نفعل، ولكن عقلنا الصغير يقف قاصراً كالعادة، ولو أننا فتشنا بخباياه لوجدنا نعمة من شأنها أن تجعل الحياة تدب مرةً أخرى. النسيان يا أحمد هو ما تريده، رفع عينيه صوب اليافاطة التي على القبر ثم قال:

- مكتتش فاكر يا سلوى إني في يوم من الأيام أقعد القاعدة دي قدام القبر بتاعك، وأشوف اسمك مكتوب على يافطة وقبلها المرحومة. مكتتش متخيل أن أنتي وبابا خالد تسيبوني وتمشوا مع بعض كدا، وأنا تايه مش عارف أعمل إيه ولا أروح فين. كريستين بنت عمي جورج هربت مش عارف فين، وأنا اترفدت من الكلية ومعرفتش أخطب سارة يا خالد، والي خطبها كمان مصطفى يا ماما اللي متربي معايا عشرة أكثر من عشر سنين، شوفتي بقى الدنيا غدرت بيا إزاي، معتشي حد باقيلي، تفتكروا أعمل إيه؟ أنا قررت أجري ورا آخر أمل أنت سيتهولي مع المحامي.. بس أنا مستغرب والله يا بابا ليه ماقولتليش إن أعداءك كتير وأشباح ولا إيه؟ معرفشي اللغز الكبير اللي سيتهولي ومعاها الرسمة بتاعتي اللي فيها الشمعة اللي كانت في صالة بيتنا. كنت بقولك زمان يا ماما ادعيلي، مش عارف دلوقتي بقى هقول إيه، ربنا يرحمكم.

نهض أحمد ونفض الغبار المتراكم على بنطلونه، وودع أبويه ذاهباً إلى قبور المسيحيين لزيارة جورج لأول مرة منذ وفاته، لم يرفع يده أو يفعل أي شيء تجاه القبر، وقف صامتاً ناظراً للأرض حتى لا يلتفت الانتباه، وجد باقة من الورود يبدو من شكلها أنها حديثة، التقطها بشغفٍ ثم ذهب إلى عامل المقبرة:

- هو مين اللي جاب الورد ده هنا؟

نظر العجوز إلى الورد ثم قال:

- كان فيه وفد هنا من كام يوم من كنيسة معرفشي فين، جم هنا ونزلت شابة كدا رابطة شعرها ورا ولايسة فستان لبني، وفضلت تعيط كثير، وتقول واحشني يا بابا.

ابتلع ريقه وهو يقول:

- بلهفةٍ شكرًا، شكرًا.

أخذ الورد وبحث به عن أي شيء، وجد ورقة مخفية بين الورود البيضاء مكتوب بها أحد أرقام الهاتف، وبآخر الورقة كريستين، اتسعت حدقته ووضع الورقة بجيبه بلهفةٍ، ثم أعاد الورد مكانه وهمَّ منصرفاً.

تفاجأ أحمد برؤية سيف أخو سارة بهندامه المنمق الذي يعكس الشراء الذي يتمتع به. اقترب وهو يحك مقدمة رأسه ثم مط شفتاه قائلاً:

- أنا روح تلك البيت وفضلت أخبّط، واستنيت شوية وأنت
مطلعتش، فجيت هنا قولى يمكن ألاقىك، وحظى حلوا أهو،
ولا قيتك.

تهكم أحمد، ثم قال وهو يجز على أسنانه:

- الباشا بتاعك مكفهوش اللي عمله، تدوس عليا أنت كمان..

نظر إلى الأرض خجلاً، ثم حرك حذاءه بين الرمل وهو يقول:

- أنا بدور عليك بقالي فترة، أنت عارف أنا بعزك قد إيه يا أحمد، وأنا
عارف إن الكلام ده بجح، بس أنا زعلان على اللي حصل.

أردف بدون توقف بعدما تنهد:

- أنا جاي أعزملك على فرحي؟

رفع حاجبيه بدهشةٍ تعقبها انفجار بوجه سيف:

- والله! ليك عين تيجي تعزمني على الفرع، مفكرني معنديش دم
ولا إيه، ولا هنسى ده كله وأقولك ولا يهملك يا سيف باشا،
محبتك على راسي، هو أنا أفديك الساعة لما أجى أحضر فرح الباشا
ابن الباشا.

قال سيف بصوتٍ متهدجٍ:

- لا مش عشان كدا، أنت مفكر إن أنا فرحان باللي حصل، أو سعيد أن أبويا رمى خاتم الخطوبة قدام الناس وكسر بقلب أختي، أنت مفكر أني موافق أبويا؟! أختي بتعيط كل يوم، أنا جيت هنا عشان أقولك لو عايز ترجع كرامتك وتبين إن هما مش فارقين معاك، تعالى الفرح. ريهام الي هتبقى مرااتي قالتلي كدا، ودي مش فكرتي، ولما عرفت الي حصل زعلت جدًا من بابا، وقالتي جرب تعزم أحمد على فرحنا، ما تعيشي دور الضحية يا أحمد، آه أبوك وأمك ماتوا، وحييتك مع غيرك، بس الدنيا مبتقفشي على حد، واللي هتزرعه النهارده هتحصده بكرة.

أخرج برقية الدعوة من جيب المعطف الداخلي:

- دي الدعوة بتاعت الفرح، لو حبيت تيجي..

التقطها أحمد بضجرٍ ورحل من دون توديع سيف الذي نظر إليه وملاحه كلها متأسية، منزعج على حال أحمد ومتضايق من الموقف المحرج، لكنه التمس له جميع الأعذار وتقبل كل كلماته.

دلف أحمد إلى شقته بوجهٍ غاضبٍ كثور رأى الأحمر. تعبيرات تكاد تفلق جدران الشقة ومشاعر مستعرة. وضعه سيف في موقف يتحدى به نفسه. أيذهب أم يعود أدراجه ويستكمل رحلته؟ أحس بشيء ناعم تحت

قدمه فالتقطه، ظرفٌ قادمٌ من تحت الباب فتحه؛ ليجد صورة مرسومة، مبتدئٌ يشف صورةً بأعجوبة، بظهر الورقة حروف منقوشة صغيرة جدًا على طرف الورقة (ده اللي جالي الصيدلية واعتقد أنه اللي ورا كل حاجة). زفر أحمد مضجرًا وهو يلقي بالورقة بعيدًا ثم قال بصوتٍ مسموع:

- هي الناس دي بتلعب إيه؟ غايتها أنها تبعلي الغاز، مفكرني كونان ولا إيه؟ ارتمى على الأريكة مغمضًا عينيه علّه يستريح أو يأتي الموت ويأخذه..



على الرغم من هجرة كريستين إلى القاهرة إلا أنها فوجئت بالعودة إلى الإسكندرية لزيارة القبطية الأرثوذكسية بيوم رأس السنة، استأذنت القسيس أن تذهب إلى المقابر لزيارة أبيها ووضع الورد والورقة بداخله، تريد أن ينقذها أحمد. رحلت حقًا من أجل كرامتها، لكنها أبقت قلبها هناك، يومًا تنسى وتعيش وآخر تركت به آخر شيء منها لأحمد لعله يبحث عنها ويستشعر وجودها بعالمه. القسيس رب الكنيسة أمهلها مدةً لكي تفكر في الزواج ببيتر، اليوم هو آخر أيام المدة، حائرة كعادتها ومتردة بالتخاذ قرارها. ران الكرى بعينها، لم تذهب إلى العمل وطلبت من صديقتها إيلين رفيقة غرفتها أن تستأذن لها وتجلس لتفكر في هدوء.

دق باب غرفتها بهدوءٍ ملحوظٍ، فتحت الباب وهي تقف بين فتحتيه
ثم ابتسمت وهي تعقد شعرها للوراء بشريرتها الأصفر، ابتسمت لبيت
الذي حرك يديه قائلاً:

- إيه مالك؟ قلقت عليك، قلت مطلعيتش النهارده وحابسة
نفسك، مش هتحضري الحفلة ولا إيه؟
هزت رأسها قائلةً:

- مفيش حاجة، أنا كويسة، قلت بس أقعد أفكر.

قاطعها بيت بصوتٍ عالٍ:

- تفكري، تفكري في إيه؟ أنتي ناوية ترفضي ولا إيه؟ مفيش طريق
غير إنك ليا، أنتي مفكرة نفسك إيه؟ مش كفاية وافقنا تشتغلي
في الكنيسة، واحنا منعرفش عنك حاجة ولا عن بلاويكي،
وهتوافقي غصب عنك.

تصدعت أجزاءها بالكامل من جرأته تلك وصفاقته وبذاءة كلماته.
ظلت صامتةً وأغلقت الباب بدون تفكير. على الرغم مما حدث أغلقت
بهدوءٍ مثلما فتحت، شل جسدها وأبت في البداية الدموع أن تشق طريقها،
لكن سرعان ما انهارت.

طرق بيتر الباب ثانيةً:

- أنا أسف يا كريستين، مكنتش أقصد.

فرك ملامح وجهه بيداه، ثم طرق الباب مرةً أخرى:

- كريستين، كريستين..

انصرف بيتر تاركا كريستين منهمة في البكاء.

استجمعت قواها وظلت تتنفس بسرعةٍ شديدةٍ؛ لمحاولة السيطرة لكنها جهشت بالبكاء، ثم وقفت فجأة عندما رن هاتفها؛ لتسمر مكانها.

- ألو، ألو، أيوه يا كريستين أنا أحمد.. كريستين أنا أحمد. ألو، كريستين، كريستين رد عليا عشان خاطري، ألو، كريستين.

أسقطت الهاتف وسقط الجدار الجليدي الهش المحيط بقلبها، وتلملمت على السرير تتنهد وتتوقف؛ لتبكي. وهذه المرة اتخذت الدموع مسلكاً للخارج. انهياران اتوا مجتمعين على جسد كريستين.

مضت سويعات عليها وهي نائمة على الفراش، ترثي نفسها على فتاة ذات طموح وعلم مختزن، وعين أرهقتا من القراءة قبل البكاء. تحرك جسدها واستوت؛ لتجلس القرفصاء بمنتصف الفراش الذي ابتل موضع وجهها الباكي، رشفت معلنةً انتهاء الدموع، أخرجت فستان

سيموني وجعلت شعرها الأسود بخصلاته الصفراء ينزل على أكتافها، ثم لفت شرطيتها الصفراء على معصم يديها، أما عن شعرها فقد وضعت عليه أخرى وردية على مقدمة شعرها معلنةً عن حياة جديدة. ارتدت فستانها ثم صندلاً أبيضاً وذهبت إلى الحفلة التي تقام بيهو الكنيسة. الفتيان يجلسوا على اليمين بأخر الصف، عاملي الكنيسة يجلسون في الخلف مع المسيحيين القادمين للاحتفال بملابس عادية، ومنشدي الترانيم يلبسون القمصان البيضاء والبناطيل السوداء، أما اللون الأسود والقلنسوات فهي للقساوسة الذين يتقدمون الصفوف، على اليسار الفتيات والنساء وعاملات الكنيسة بفساتينهم ذات الألوان المبهجة، وتتخذ الراهبات جنباً واقفين بجانبهم، أما عن ملكة الحفل وصلت متأخرة، جلست الياقوتة بجانب إيلين المرتدية القرمزي؛ لتشاهد القسيس وهو يلقي الترانيم على الحضور. بعد عدة دقائق انتهى القسيس وانتهى الصمت وتحركت كريستين نحو القس وبيتر، اشتعل رأس بيتر عندما رآها انحنت مقبلةً يده، ثم نظرت إلى بيتر محرّكة رأسها بالموافقة، ابتسم بيتر وتنفس الصعداء، والقسيس أبيه ابتسم أيضاً ثم ربت على كتفها قائلاً:

- فليباركها الرب.



تعالت الأضواء وتحولت من البهو بالكاتدرائية إلى فندق ميراج بالإسكندرية حيث حفل زفاف سيف وريهام، المدعوون من رجال الأعمال ببذلهم المنمقة باهظة الثمن وساعتهم الذهبية وخواتمهم الكبيرة. وزوجاتهم التي تترواح أعمارهن من العشرين إلى الخمسين، فتيات ما زالت وجناتهن حمراء وأخريات ضربت الخطوط وجههن، وتخفي مساحيق التجميل ما تخفيه، أبناء رجال الأعمال المهمين وأصدقاء سيف الأثرياء، المتزوج منهم والخاطب والمتنظر أن تتاح له الفرصة. الرجال بحلاتهم السوداء والزرقاء والبيضاء منها والنبيتي، والنساء يرتدين الفساتين السورايه المزركشة وتختلف ألوانها بين صديقات العروسة وزوجات الحاضرين. القاعة تقع على شاطئ البحر وبابها الخلفي يأتي منه رائحة النسيم وصوت الأمواج وتصارعها مع بعضها. الكوشة البيضاء المزهرة من الجانب العلوي وباقات الورد التي تحيطها من الجانبين بيوت من النور معلقة بالسقف الذي يُطلّي النصف الواقع منه بعد باب الدخول بالقرمزي، أما المجاور للبحر مطلي بالنيلي اعتزازاً ببحرها المتوسط، وتصديقاً على كونها عروس البحر. بدأ صوت الطبول يُقرع وأُغلق البابان وانطفئت الأضواء، إلا القليل الأبيض، ثم فتح الباب الأمامي للقاعة دخلت عربة هكسوس يسوقها عامل يرتدي لبس فرعوني ويركب خلفه سيف الذي يمسك بيده اليمنى ذراع العربة، صفق الجمع

وأصدر أصدقاء العريس صافرات التحية، تهادت العربية أمام استناد الرقص، ونزل الملك ليعقد إزار حلتة السوداء والبيونة التي تحمل نفس اللون، التف الأصدقاء ليهنئوا صديقهم، ودلفت أخيراً سارة مع مصطفى، وقف سيف يضع يده أمامه منتظراً دخول الملكة، فُتح الباب الخلفي لتحط السفينة الملكية التي ترفع الملكة مع أبيها على خشبة تشبه ملكات العصر الفرعوني، ريهام تعانق يد أبيها ليسلمها إلى سيف، التقى الحبيبان وبدأ الحفل.

حضر الغير مرغوب بقدومه، أحمد الذي حاول التخفي والبعد عن عيون يحيى، اندس بين الجمع وانسحب ليدلف إلى القاعة، أول ما وقعت عليه عينه سارة تضحك إلى مصطفى كأن العين لا ترى سواهما، ولا تريد أن تحتل شبكيتهما غيرهما، على غرار ذلك أكمل أحمد طريقه إلى منضدة قريبة من العروسين، رآته أعين سارة ومصطفى واشتعل رأسهم عجباً من قدومه، ظلوا ينظرون للحظات ويتسألون عن تلك المرأة التي أتت به إلى هنا. سارة تقول بالداخل هل أتى ليثبت أنني لا أعني له شيئاً أم أتى ليراني؟ غامر أحمد بأخر ما تبقى له من المشاعر، وهو متيقن من تواجد سارة، لقد ضربتك الأيام حقاً يا صاحب الفرشاة أو سيادة الرسام كما كانت تدعوه، أشاح أحمد بوجهه بين المدعوين وتوقف عند وجهه شرف.

استكان بأحد الملامح الذي ينبعث منها الشر لثوانٍ، لكنه لم يكثرث البتة وقام ليسلم على العروسين ويرحل. خرج بنفس طريقة الحضور، كان شكله متغيراً كثيراً على سارة، وجهه شاحب ويفقد بعض الوزن وشعره الطويل معقود إلى الوراء، لحقته سارة إلى الخارج، واستغلت انشغال أبيها مع أصدقائه، ومصطفى يرقص مع سيف، تسلفت ممسكة فستانها وهي تركز وراءها بلهفة تكاد تسقطها أرضاً، مثلما فعلت عندما أخبرها والدها أنه يوافق على خطبتها.

نادت بصوتٍ متهدجٍ ونبرةٍ حزينةٍ، فلم يستدر المنادى، فهو يعلم ذاك الصوت جلياً، صوت لأمس قلبه قبل أذنيه. فهي غابت حقاً وسلكت عالماً آخرًا، لكن صوتهما من المستحيل مغادرته، استمرت بالنداء واستمر بالسير. لاحظ مصطفى غيابها فخرج ليقف أمام باب القاعة. رأى ما يحدث فتسمر مكانه ليرى ردة فعل أحمد، التجاهل ولا شيء غيره، لم يحدث جديد، لكن ضعف قلبه بالنهاية عندما كان على آخر درجة من السلم، صعدت سارة عندما استدار لها وعاد مصطفى إلى القاعة من أسى ما رأى.

كانت الدموع قد احتبست خلف جفنها السفلي، أقبلت وهي تبكي قائلة:

- وحشتني يا أحمد...

لم يجب الأخير، وهز رأسه فأردفت الضعيفة بحبه وهي تجهش بالبكاء:

- أنا مقدرتش أرفض، وفضلت أعيط عليك من يومها للنهارده.
أنا محبتش غيرك. تخيل بقى إن بنت الباشا الي مفكرينها بتعمل
كل الي هي عايزاه، انكسرت قدام الجامعة بتاعتها وقدام
صحباتها واتخطبت لحد مبتحبوش. قال إيه عشان هو مش
باشا بس، الي معترفوش إن هو الوحيد الي ملأ عيني.. أنت
مبتدش عليا ليه؟

أعوج أحمد برقبته، وهو يوصب نظره بين عينيها ثم قال:

- للأسف أنا زي الدخيل دلوقتي أو الحرامي الي جاي يسرق حاجة
مش بتاعته، وفيه حاجات بتتقال بعد وقتها يا سارة مبتقاش ليها
طعم، أنا زي الميت الي الدكتور بيحاول يعملُه إنعاش، بس
هيرجعه إزاي بقى وهو قلبه ماالت.. سلام يا بنت الباشا.

قالها ثم ترك سارة تجهش بالبكاء، وهو يمسك دموعه بكل ما فيه
بقوةٍ شديدةٍ، ظنها هي أقوى ما فعل وأكثر موقف تحامل به، انصرفت
سارة إلى القاعة محطمة القلب ومهشمة المشاعر، وكل ما ينبض بها قلباً
شعر قديماً، أما عن الحاضر فهو مجرد ينبض للحياة لا لعيش الحياة.

دخلت الحفل وفتحت مبسمها لتواري الدمع والحزن الذي بداخلها،
وجلست بجوار مصطفى السارح في العلاقة كالشارد بين أطراف ال ما
لا نهاية، لكنها ما لا نهاية معروفة النهاية، سألها مصطفى عن تغيبها
فأجابت بابتسامة:

- كنت في الحمام.



ظن مصطفى أنه عندما تبعد سارة عن أحمد ستنطفئ نار الحب
بداخلها، وستنسى أنها أحببته يوماً، وعندما تراه سيكون عادياً. قست
على مشاعر مصطفى غير قاصدة وغير مهمة، وحاول السيطرة على
ردود أفعاله منذ آخر لقاء بينهما إلى ما حدث بحفل الزفاف. قاد سيارته
إلى فيلا سارة التي كانت تنتظره أمام بابها على غير العادة، أوقف مصطفى
السيارة لتركب سارة، جلست بالمقعد الأمامي بجانب مصطفى، ثم
ابتسمت قائلة:

- احنا هنروح فين النهارده؟

لاحظ مصطفى التغير الطارئ على أفعال سارة وابتسامتها التي لم
يرها من قبل.

قال باقتضاب:

- هو عمي يحى مقالكيش؟

هزت رأسها نفيًا قائلةً بحركةٍ طفوليةٍ تحاول أن تكمل بتلك العلاقة وترمي الفأنت ورائها خصوصًا بعد كلمات أحمد:

- لا مقاليش، هنروح فين بقى.. بليز..

ابتسم ثم أدار محرك السيارة ثم نظر إليها مبتسمًا:

- هتعرفي حالًا يا حبيبتى.

ابتسمت هي الأخرى، وسلك مصطفى طريقه صامتًا لم يحرك وجهه وينظر إلى سارة، ولم يتلفظ بأي كلمة رغم محاولات سارة بالتظاهر ببعض المرح، يريد أن يتجاوز عن ما فعلته ويسلك في الطريق معها، لكن قد أحس بنغزات قلبية مؤلمة أيضًا.

توقف عند إحدى الأبراج السكنية شاهقة الارتفاع، ثم أشار لسارة بالنزول. صعدا إلى الدور السادس بالمصعد الكهربى، البرج مبني بالحجر الفرعوني والرخام الجيري، برج سكني يبدو أن الشقة به باهظة الثمن. التهمت التساؤلات عقل سارة قبل أن يفتح مصطفى باب المصعد، ويقف أمام باب إحدى الشقق، وضعت سارة يدها على يد مصطفى ثم قالت مرتشعةً:

- أنا مش هتحرك من مكاني إلا لما تقولي احنا رايجين فين؟

تهكم مصطفى من كلمات سارة ثم ضحك متساخرًا:

- متخافيش هو أنا هعمل فيكي إيه؟ عمي يحيى لما قولتله أن أنا خلصت الشقة، قالي خد سارة فرجها عليها.

شعرت ببعض الطمأنينة وأومات برأسها، ثم ترك مصطفى يديها ليفتح الباب. دلفت سارة إلى الداخل وتنح جانبًا لتدخل سارة إلى الشقة، الجدران مطلية بالأوف وايت والفضي اللامعين، وركنة من الأريكات لونها بين الرمادي والرصاصي، ولوح من الزجاج المتعرج يقف بجانب بار المطبخ الأمريكي المطل على صالة الشقة، الديكورات رائعة وتناسق الألوان يظهر جمال الشقة وأثاثها الخلاب. استدارت سارة لتبدي إعجابها، لكنها وجدت نفسها أرضًا تنازع قطعة من القماش الأبيض موضوعة على فمها، ظلت تنازع بقدمها وتمسك يد مصطفى، وتحاول الافتكاك لكنها فقدت وعيها، واستلقت أرضًا. أزال مصطفى القماشة وأوصد الباب برفق ثم حملها بأيدٍ مرتعشة وقلبٍ يخفق بسرعة، وخطوات تترد إلى أي الغرف يذهب، صدر يعلو ويهبط؛ ليطبق على قلبه. دخل أحد الغرف دافعًا الباب بكتفه ثم ابتلع غصته، وهو يرتكس بقدميه على الفراش ليضع سارة مستلقيةً تمامًا وأذرعها مفرودة بجانبها. نظر إليها نظرات حادة وهو يجردها من ملابسها، ثم خلع ملابسه هو الآخر وقال وهو يتسهم منتصرًا:

- أنا هعرفك مين مصطفى يا بنت الباشا.. وابقى خلى أحمد ينفعك..



تتعجل الليالي بالرحيل، وتزايد معها الآهات والسقطات. وكلما هداً القلب آرقه الفراق، واستفاق على الذين رحلوا. الاشتياق يعتصر صدرك وكلاليب كلمات الوداع توقع قلبه مغشياً عليه. في الماضي كان لديك ما تقاتل من أجله، أما الآن فالضربات لم تعد تؤلمك، فقد تلبد الإحساس لديك، وروحك الصافية النقية تريد أن تجاور أحياءها تحت التراب؛ ليواري ما تبقى من الجسد، ويهون عليها مآسيها، الطريق انتهى ولافتات الجانب تشير إلى أن الطريق مغلق. نعم لم أصل إلى النهاية، ولم أحقق ما أريد، لكنني سأظل أحاول حتى ألحق بوالديّ.

تقلب أحمد على جانبه الآخر بعدما راودته أفكار أن سارة تريد غيره يسكنها، ولم تعد تعشقه على الرغم مما فعلت يوم زفاف أخيها، لم يجد تفسير للكلمات والوعود والتعاهد على القتال التي لطالما ألصقتها سارة بوعدها، تلومه على الرحيل بأخر مقابلة، ولا تلم نفسها على الغدر والألم التي ألحقته به. لم يكن الوقت متأخراً كثيراً بالليل وخلود أحمد إلى النوم بهذه الساعة حتى لا يتعب نفسه بالتفكير في قاذورات العالم.

رن هاتف احمد وأضأت الشاشة لم يكثرث أحمد ولم يجيب، فمن هذا الذى يعي بأمره الآن؟ انتهت الرنة وبدأت أخرى جديدة، زفر أحمد ملتقطاً الهاتف وأمعن النظر بالهاتف، كريستين تتصل، اعتدل على الفراش بسرعة وهو يجيب:

- ألو، أيوه يا كريستين.

صممت مترددة وهي تضع الهاتف بجوارها بدون أن تغلقه، ظل أحمد يكرر نداءه عديداً، وضعت كريستين الهاتف على أذنيها، ثم أغمضت عينيها وهي ترتعش بشفتيها:

- أحمد..

ابتلع الأخير مرارة فمه، وبدل من الفرحة على ردها شعر بالذنب حيال ما فعله، ولم يجد كلمات مناسبة للاعتذار. ينتظر أن تنطق كريستين بما يُشعره بالارتياح

- أحمد!

ابتسم ثم أجاب ليعث بعض الأمان بداخلها ويجعلها تستكمل حديثها:

- أنتي فين يا كريستين؟ أنا قلقان عليكى أوي.

أرسلت تنهيدة بعدم تصديق أحمد، فهي تعلم ما يمكنه لها من كره، ولا تريد أن يدخل الاضطراب العاطفي إلى حياتها، عليها أن تتأهب لما هي مقبلةٌ عليه حتى تستطيع العبور وإكمال طريقها، قالت بعبارات صامته:

- ربح قلبك يا أحمد. أنا في حنة أمان، أنا حببت أطمئن عليك بس
مش أكثر، البقية في حياتك وخلي بالك من نفسك.. سلام يا أحمد.

صرخ أحمد:

- كريستين، استني متقفليش.

صفر الهاتف معلناً انتهاء المكالمة، ضغط أحمد على الهاتف بشدة وزفر
عائداً إلى فراشه.



استفاقت سارة مفزوعة كأن كابوساً مميتاً أتاها ليلاً، لكنه ليس
كابوساً، بدون أي مقدمات أجهشت بالبكاء وهي تصرخ بأعلى ما فيها،
أفقدتها الذئب عذريتها، ونهش لحمها بدون استئذان، وحش غاشم أراد
أن ينتقم لكرامته وأفقدتها شرفها ببقعة من الدم تعلي السرير الأبيض
تاركة بقعة حمراء واسعة. نزلت من على السرير شاردة إلى أين تذهب أو
ماذا تفعل؟ وجلست القرفصاء بركن الغرفة ترشع شفتاها المثلجيتين،
وتحرك كفيها فوق ذراعيها العاريين، برد إسكندرية يصفع جسدها زيادة
على ما فعله الخائن. تحركت كمن ضربه الموت وعاد ليستعد آخر أنفاسه،
الأنفاس الأخيره التقطتها عندما التقطت الملابس، وعدلت هندامها
وخرجت من مسرح الجريمة.

في وقت متأخر من الليل تراكم أوراق العمل، المشروع وغيره أمام يحيى زهران الجالس على المكتب يراجع آخر الأوراق والصفقات الجديدة، ويحاول التفكير في أفكار يضرب بها السوق، لكنه لم يعلم أن الضربة الأقوى آتية بالطريق.

في ظل الانغماس والتركيز الشديد فُتح الباب ثم رفع يحيى نظره إلى المجهشة بالبكاء المقطعة ملابسها وقطرة دم تعتي منتصف الفستان، صُعق يحيى من المشهد، والحالة التي رأى ابتته بها، بالدموع السوداء والشعر المتناثر على وجهها انقضى ذاك المشهد عندما ارتمت أرضاً، وتحرك الساكن بمحله ليراها.



مزيج الألم المصاحب لبعض لحظات السعادة التي لا تدوم طويلاً، يؤثر بشدة من أن يأتي بمفرده حينما يطفئ الظلام لحظة الفرح، وينتشر الألم ليأخذ ما تبقى من جسدك الهش، تبسم ابتسامات كاذبة حتى تخفف حجم المعاناة التي تنخر صدرك لتصل إلى لحظة حزنٍ تزيل الشيء، وتكون هي كل اللاشيء، لا شيء بعثر أمل الغد القادم وجلب معه كل مساوئ اليوم.

اعترى الصمت المكان بعد أن ظل يحبى عدداً طويلاً من الساعات
حبس مكتبه، ينفث بسيجارتته عن جماح صدره، ملامحه الداكنة ازدادت
سواداً، تفسر الموقف الذي حل به بعد أن أخذ من قرة عينه ما تجاهد
وتكافح من أجله. سُلبت الفتاة عذريتها باختيار خاطئ. أراد يحبى
أن يتحملة بمفرده ويترك سارة تذرف دموعها على خائن العهد الذي
استغل ثقة والدها ومشاعرها التي لم تكن يوماً لجامها بيديها، ولم تكن له
أي ذرة من الحب هذا الذي لم يقدر أن العشق غالب وأن الهوى ليس ملكاً
للأشخاص. دخل إلى غرفة ابنته بدون أن يطرق الباب، وانسالت دموعه
عندما رآها جالسة على طرف فراشها تضم ركبتيها إلى كتليها بملابسها
القطيقة المهدبة، دموع تخرج من القلب ممزوجة بالآهات، نالت ما لا
تستحق. قلبها متكبر وأنفها دائماً عالٍ لكنها ضعفت أمام الحب وضعفت
أيضاً أمام أبيها المتعطر الذي أذاقها جمرة من النار بفمها يشعر بها الآن،
ويشعر بالنار المستعرة بداخلها حتى أنه لم يبحث عن مصطفى، مشغول
بابنته التي استواها العشق مرةً وأحرقها ناره الأخرى، ظل يحبى متصلياً
مكانه يمسك بمقبض الباب، وتجمدت قدماه ولم يستطع المضي قدماً.
نار بقاعها بركان عميق بينهما، ودموع الفتاة تضاعف آلاف الجمرات،
وبركان ملتهب يسقط من مقلتيها، أخيراً تحرك الساكن ورفعت سارة
عينها إلى أبيها وقالت بصوتٍ متهدجٍ:

- ليه ماسبتنيش أتحط لأحمد، مش كان زماي دلوقتي عمالة أضحك وفرحانة وعاشة مع الشخص اللي بحبه، ومكنشي عمل عملته. ولا هو الغرور عماك وخلاك مش قادر تفرق بين ولادك ومصالحتك، ولا احنا مش فارقين معاك للدرجادي.. أنا هفضل أكرهك لحدا ما أموت، روح منك لله.

تجمد الدم بعروقه وبدون تفكير أغلق الباب بهدوءٍ شديدٍ، وهو يرمقها بنظرات أب يندم ومذنب تاب إلى ربه. استدار يحیی وأغمض عينه وهو يعتصر جبهته ثم حرك يده إلى صدره، عندما أحس بنزعة قلبية أخذته ربما معنوية أكثر من جسدية، الحياة تظلم بطريقة والعمر كعداد ساعات توقف فجأة. هو في صدمة وابنته بفجعة وكيف سيخبرها بأمر تلك العملية التي أعدها في الخفاء؟ لكي يساعده أحد أكبر الأطباء على تركيب غشاء بديل لذلك المنفض، أشار يحیی إلى أحد خادماة القصر بعدما تحرك إلى سور سُلم الفيلا وأمرها أن تذهب لسارة وتخبرها. اتكأ على السلم إلى أن وصل مكتبه بالدور الأرضي، ودلفت الخادمة إلى غرفة سارة ثم بعد لحظات تفاجأ بسارة أمامه تقول بملامحٍ هشةٍ محطمةٍ:

- أنا جاهزة.

انصرفت والتقط يحیی الهاتف وهاتف طبيب المستشفى الدولية، وطلب منهم تجهيز المعدات الليلة لإجراء العملية، ثم أمر أحد الخادمين بإخبار سيف أن ينتظر بالسيارة.

استقلوا السيارة وسيف يقود ويحيى صاحب النغزات القلبية المؤلمة
التي يخفيها يجلس على الكرسي المجاور، وريهام زوجة سيف تجلس
بالخلف، وسارة بين ذراعيها، أبوها لم يزل عينه من المرأة الأمامية يراقبها،
تحررت المجعدة وقالت بصوتٍ فيه حزم:

- وقف هنا يا سيف.

استدار يحيى وتله سيف بنظراتٍ متسائلة وقبل أن يتلفظ أيًا منها
نظرت بعين أبيها:

- راحة لأحمد، ولا دي كمان هتمنعني منها..

تسارعت بالخطوات على الرغم من إرهاقها وعلامات التعب
البادية على وجهها. حلق قلبها الممزق إربًا إلى قفصه، قلبها بالفعل
عنده الآن يحادثه ويعاتبه ويرتمي بين أذرعه، وصل قلبها قبل أن تحط
رحالها في شقته، تنظر خلفها كالسارقة وهي تصعد سلم البيت، تتقهقر
للخلف، هي ليست سارقة هي هنا لاستعادة شيء كان لها كشرنقة
تركتها الأم تواجه الحياة العصبية بجناحها الهزيل وجسدها اللين بدون
قلب أو قلب لا يعرف إلى أي عالم هو خارج من يرقته. تنهدت في علة
لحقت جسدها واستندت على الحائط، وصعدت بأقدام متذبذبة وأيدي
مرتعشة تدق الباب.

للمرة الثانية تأتي إلى عتبة بيته ويكأنها خلقت الزيارات لتتبع الحوادث، كانت تعزيه سابقاً في وفاة والدته وهي الآن ترثي على نفسها آخر أبيات قصيدتها. فتح ذو الطول الفارع والشعر الأسود الداكن والعينان البنيتان باب الشقة، تسارعت الدقات ووصل التوتر والخيرة قمتها، وطعنة بالقلب يتلقها مع كل دمعة تفلتها عينها، تحجرت سارة ولم تتحرك شفتاه إلى أن افسح لها أحمد الطريق مثلما فعل مصطفى، لكن اليوم لا يوجد ما تبكي من أجله، قالت وهي تتنفس بصعوبة:

- إزيك؟

اندهش ربما صعق من حالتها وردة ذبلت بحلول الربيع، أجاب أحمد:

- الحمد لله.

قالت سارة وهي تشير إلى الباب:

- سيب يا أحمد الباب مفتوح، أنا ماشية علطول.

تركه بناءً على رغبته وجلس على طرف الأريكة، يفكر في سبب مجيئها الآن إلى هنا، ظل يلاعب أصابعه ويشبكها ببعض إلى أن قالت سارة:

- عشان مطولشي عليك، وبدل ما تقعد مش على بعضك كدا، أنا جاية أحكيك حكاية عن طفلة صغيرة عاشت من غير أم ولا أب حتى، وحياتك اللي بيسموه أب وهو مش فاضي يحضني حتى،

ولا كنت بشوفه ولا بقعد معاه، علمني التكبر وإن الناس كلها أقل منك.. حنان أمها عليها اللي مشافتهوش لما الدنيا تقسى عليها وتحنقها، ما كنتشي عارفة تعمل إيه ولا تروح لمن ولا لاقية حد يسمعها غير أخ أكبر منها بخمس سنين. كان كل حياته يصرف فلوس، ولما كبر بدأ أبوه يعلمه إزاي يكون راجل أعمال شاطر عشان يورث الليلة دي، فجأة شافتك وأول مرة قلبها يدق ويطير من الفرحة.

استكلمت الحديث مبتسمةً وسط الدموع..

قررت تقضي حياتها معاك، عارف يا أحمد أبوها كان الوحيد اللي مش عارفة تتعامل معاه، بعكس تكبرها وعنادها. يمكن بسبب البيت اللي اتربت فيه، بس أنت الشخص الوحيد اللي محبتش يضيع منها وتسبيه، مكانتش سايحها الدنيا والفرح دق بابها أخيراً لما أبوها وافق. حسست إن الدنيا بدأت تضحكلها وتهتوضها، جه أبوها تاني وطفى فرحتها وكسر قلبها مرتين، مرة لما رمى الخاتم اللي كانت أميتها تلبسه، والمرة الثانية لما خطبها لحد مبتحبوش وحطها بند في عقد شركة كأنها بيعة مش واحدة عندها مشاعر، والحد ده استغل الموقف وسرق أغلى حاجة.

اتسعت حدقات أحمد واستوت سارة، ثم نظرت إليه آخر نظرة قبل

أن تذهب قائلة:

- أنا بحبك وعمرى ما حبىت ولا هحب حد زىك، هاتلى حقى يا أحمد.
انطلقت كالبرق جاهشة بالبكاء وتساندت على السلم إلى أن ذهب،
لحق بها أحمد منادياً لكنها أكملت طريقها. وقف أحمد على مرأى من
السيارة وهي تنظر إليه بكل ما فيها ليس عينها فقط تراه بقلبها، تحركت
السيارة ثم ابتسمت سارة وأشاحت بوجهها إلى الأمام..

ربما بعدما بدأت تتسرب الأفكار إلى حاضري، قالوا مجرد أحداث
بلا مستقبل. وسيلقفها الماضي لتصبح من أرشيف ذكرياته، لا بأس بما
فقدته، سأخبرك بحال قلبي. كان الطريق ملئاً بالأشواك، عندما تعاهدنا
المسابقة والتضحية من أجل الحب. بدأ اليوم بإشراق الشمس ومُلىء
الصباح بالنسيم والندى، ولم يعرف الغيم طريقه أبداً إلينا. عندما كنا
نقاتل من أجل قلب واحد ويداك هي التي أبطش بها، كنت لا أهاب
شيئاً، فإني أمتلك كثير من العون حولى. بأول مفترق تركتني أرعى حالى
بيداي البائسة وأقدامى البالية وحياة روجي التي استرققتها مني، عجزت
عن الصمود ووقفت أفكر فيما هو ماضٍ، ولا أكرث لما هو آتٍ. فقد
رحل قلبي وأحاطني الغمام ثانيةً، فتخفف الندى ولاشته حرارة الشمس
التي عجزت عن تفتيت الغيم، فصنعت عصاً متهالكة أتكى عليها؛
لأكمل دربي، فأغلقت كل الدروب وخانتني، حتى الدرب الذي اخترته

عجز عن حملي إليك، وخلف لي آلامًا ظنته منك، لكن اتضح أن الألم ذاتي، فلك يا عشقي أن تحمل قلبي معك حتى لا يخان قلبك، وأجعل منه حديدًا صعب الاختراق أو التدمير.

- يا ليا سارة، الدكتور مستنينا جوه. أجابت باقتضابٍ بدون أن تنظر من يحدثها:

- حاضر.

أغلق يحيى الباب وانتظر بالرواق إلى أن تنتهي سارة من تأهيل نفسها نفسيًا لإجراء العملية. الساعة تدق التاسعة والنصف، تردي سارة ملابس العمليات الخفيفة على الطقس القارص، لكن مكيف الهواء يجعل درجة حرارة الغرفة أشد نوعًا ما. اقتلعت سلسلة أحمد بومة الشكل ووضعتها بجانب السرير، ثم أخرجت مذكراتها وكتبت 2017 / 1 / 5 (مع السلامه يا أحمد). تحركت إلى الشرفة بعين مليئة بالدموع، وشعرت بالبرد الآن. يأتون ليخبروك أنك أفضل ما لديهم، ثم بعد أن يحصلوا على الأفضل يأتون ليخبروك أنه قد حان وقت الوداع، فلم تعد الأفضل. أهكذا كنت؟ مجرد ذكرى عابرة لا تستحق أن تمضي في حاضرهم ولا يتسنى لها أن تكون جزءًا من مستقبلهم. أهذا أنا؟ الماضي الذي ستتاحون عنه في ليلةٍ صيفيةٍ حيث السماء صافية والنسيم يحيطكم،

وتخبرونه أنه كان صديقاً وفيّاً ولم يخذلنا قط. أيعتريني الماضي وتسترني ذكرياته، وتغطي لحظاته ثكناتي وآهاتي، عندما تصور أمامي أجسادكم وأرى بعيني وجوهكم. أهذه النهاية أم حقاً أنها كُتبت من قبل أن تبدأ؟ لا، لم يعد لوجودكم شيءٌ يعنيني، بل إنني أحزن على أوقات ضاعت وابتساماتٍ لم تكن نقية، وكلمات أتيتم بها من وراء قلوبكم. الآن والآن فقط، أدركت تماماً أنكم لم تكونوا يوماً لي، أنتم مجرد فتات تساقط من حاضري، عندما قضمت الماضي فتناثر على الأرض، فحمله الهواء بعيداً. وقد حان وقتي لأخبركم بما لدي.

أنا الأفضل.

هكذا حدثها قلبها رغم كل ما فعلته، وما كتبه لأحمد إلا لأنها شعرت أن قلبه قد وقع عليه الظلم.

كان الدور الخامس يضربه الثلج، والمكيف لن يفلح، فالبرد قارص. اقتربت سارة من سور الشرفة، وأمالت برأسها إلى الأسفل؛ لتسقط دمعة تتفرق أرضاً، تنهدت ثم عادت إلى الحائط حاضنة إياه بقوة، ثم أجهشت بصوتٍ عالٍ تطلب من أحمد السباح. دفعت الحائط بكلتا يديها في أقل من جزءٍ من الثانية؛ لتجد نفسها في الهواء تقفز من فوق السور متلفظة اسمه، وكأنها سقطت من الفضاء تتذكر الأحداث منذ أول اللقاء، عندما كان

على مقربة منها ببضع خطوات إلى الفراق، عندما كان على مرمى بصرها
يودعها، ضربها البعد وعاش القلب بلا شريان، وضربت هي الأرض
بشدةٍ وتحول الطريق الأسود إلى الأحمر القاتم، واستكان الجسد بمكانه
يلفظ آخر أنفاسه بصعوبةٍ.

فيا أيتها الحياة! أنتي تعلمين أنهم لم يخبروني أبداً، وبكل مرةٍ لا
يعيطوني الأفضل، ويحاسبوني على ما اقترفت. جاءوا لائمين وتركوا
نادمين. اقتربت كل الأحداث كفيلم تحركه وترى محتواه، أبرزها الذي
فرض نفسه أمام عيني، وأكثرهم جرحاً أتى عندما اقتربت من الأرض،
وغادر عندما رحلت. مددت يدي لألقفه فنقض العهد ولم يمد يد العون
لي. طيف مخادع طرحني أرضاً، وذهب وتركني، وخذلتني أيضاً كل
قطعة بجسدي المحطم، وجعلتني أستقل قطاراً ذهاباً بلا عودة..

هرول الأطباء والمرضات على صوت التصادم مفزوعين من شكل
الدم المحيط بسارة.

دلف يحى إلى غرفة سارة؛ ليطمئن عليها، فلم يجدها وجرى إلى
الشرفة، وراقب الأطباء وهم يلتفوا حولها ثم جرى بسرعةٍ إلى الأسفل.
صرخ الأطباء للمسعفين وضغط أحدهم بأعلى رقبتها؛ ليتحسس الشريان
السباتي فلم يجد نبضاً. أتى المسعفين بالنقالة وظهر على ملامح الأطباء

ونظراتهم المتبادلة أنها فارقت الحياة. لا يوجد نبض وأصوات قلبها غير مسموعة وعيناها متسعة وثابتة. نقلوها إلى غرفة الطوارئ محاولين بشتى الطرق أن يصعقوها؛ ليعيدوا قلبها للحياة لكن بلا نفع. تنحى الأطباء معلنين عن حالة وفاة بكشف المشفى تحت خانة الانتحار. التقط الطبيب قطعاً ووضعها على رأسها؛ ليمنع النزيف ثم أتى بملاءة بيضاء تلطخت بالدم وأغمض عين سارة سائراً وجهها.

أتى سيف وزوجته ومن ورائهم يحيى الذي ظل يضرب بالأطباء عندما منعه، لكن تنحوا عندما علموا أنه أبيها. أقبلوا مصدومين ومذعورين، احتضنتها ريهام أولاً وقبلت رأسها المغطى، ثم جلس يحيى والتقط الفقيدة وضمها إلى صدره لأخر مرة. لم يضمها كثيراً بحياتها، لكنه عناق الوداع ولا بد منه. انقطعت الدموع بعينه، ثم وضعها وهو يقول:

- ساحيني يا ابنتي.

نحر قلبه وبكت أعماقه ونغزته الذبحة، لكن هذه المرة أفقدته الوعي..
تبني الطرق أحياناً من اختيارات تكون حقيقتها مسارات جبرية، حيث تكتشف بمنتصف الطريق المؤدي إلى حتفك أنك ستُخير بين أن تطعن بالسيف أو ترجم بالحجارة. في ظل الغيام المهيمن على جميع حواسك والجليد المحيط بكلتا يديك، تفتح عينيك لتجد أن السيف قد خرج من غمده، وأصبحت

بميدان المعركة تقاتل حتى الموت تقطف الرءوس وتخرق الصدور؛
لتطعن القلوب، وتنهال الأجساد؛ لتسقط ثم تتعالى الصراخات ويتلون
سيفك بالأحمر، وينظر لك الآخريين على أنك الغاشم. تظل مندهشاً
مما يحدث، ماذا أفعل؟ هل أعود للبداية أم أمضي وأقاتل حتى ينتهي
بي المطاف أرضاً؟ عندما تنتهي سيحدثوك عن فعلتك البغيضة، تارة
يلومون، وتارة يكذبون، وتحتشد الجموع؛ لتجزم بأنك الخاطيء حينها
يطفح كيلك، وتحرر يداك لتمسك قاصدة السيف مرةً أخرى. وتنادي
هل من أعناق تريد أن تزين القبور؟ هل من ألسنة تريد أن تقطع فجأة؟
فيتخفف الغيام ويسيل الجليد وترى أنهم احتشدوا مرةً أخرى. ويجزمون
أن الاختيار كان صعباً، وأنت أجبرت على الأمر برمته، فهكذا الانتحار.



حزم أحمد حقائبه، وبدأ يلثم صور أبويه وذكريات طفولته التي
يعبئها بدموعه، ثم استوقفته صورة لكريستين لم يكن يعيها حيناً من
اهتمامه، ثم تحسس فراشها وتحرك إلى غرفته؛ ليأخذ بقية احتياجاته
ويتلفظ بعبارات الوداع لأبويه. أما عن سارة وكريستين فأحدهما أحبها
وغادرت، والأخرى أحبته وهربت من القادم. أصبح القلب لا يهوى
والضربات المتتالية جعلت من الأحساس أمر مضمّني. وأصبح كل ما

يشغل بالك ما يقودك للمعرفة. فليست صدف، نعم الصدف لا تتكرر. موت والديك وجورج وهروب كريستين وخطبة سارة لصديقك، أتكاتف الحياة وتتحد الظروف من أجل عبد؟ نعم أقدار لكن الأسباب موجودة، والنتائج جلية. ومن لا يستطيع الفهم لا يستحق العيش، هنالك دائماً أدلة على الأشياء الغامضة، وكيف آلت الأمور لدرجة أن ثمة أناس يراقبونك؟ وماذا يريدون؟ وشكوك الضابط حول سير القضية، هناك شيء غير طبيعيًا يحدث.

أزال شعره الطويل وارتنى قلنسوة زرقاء، وحاول الخروج متخفياً من باب الشقة، فدخل شقة جورج وخرج من الباب الخلفي للشقة المطل على ظهر العمارة.



أنت تحب حسناً، لا يهم ذلك إطلاقاً، فنتيجته إن استكملت العلاقة أنك ستظفر بمن تحب. وليس ذلك الترياق لأحوال الدنيا العلية، وكعادتها إن لم تستكمل ستهوي في الظلام وحيداً، والكلايب من حولك. تبكي على الأيام الخوالي، وتذرف لأجلها أنهاراً من الدمع، وستراودك عينها ليلاً بكل أحلامك، وستكون تلك أبشع كوابيسك، وسيذكرك النسيم الجلي بجلستك بمحيطها ومقطوعات العصافير التي

تعزف فوق رأسك أنغاماً من العشق والولع ولكن ماذا بعد؟ .. حين
تعاهدنا أن نقاتل سوياً وأخرجت سيفي ومُلئ قوسي بالسهم، ووقفت
كما الجندي المغوار أقاتل بكل بسالة آملاً أن ينجلي الظلام وينبعث النور
الذي سيرسم بشعاعه الطريق، وبت بأخر المعركة وسمعت صيحات
الانتصار، حلق قلبك فرحاً، لكنه طعن دميًا عندما رآها تقاتل بسيفه
وقوسه مع غيره. فجأة نظرت فوقك فرأيت أن السماء كستها السهام،
وكلها آتية نحوك لا محالة. وستجد طريقها إلى جسدك تنادي وتنادي،
يا من ضحيت بكل شيء من أجله وبعث الدنيا بأبحث الأثمن وأخذت
على نفسي عهداً ألا أتركه؟ وقتها يأتيك الجواب القاتل أنا أحب غيرك.

آلمني ذلك إيلاًماً لما ابتسمت. وأعرف تلك الابتسامة جيداً والشعابين
تحيط عنقي، كانت مجرد ابتسامة لكنها أسعفتني حقاً، وازداد يقيني
وأجزمت أنني نادماً. وعلمني ذلك أن أحترس من كل ما يفرج عن
ثغره، فليست نواجز الليث تعني ابتسامته، وتلك المخالب المشدبة لن
تقاتل بصفي كل مرة.

فيا ليتني لم أعشق ولم يكونني لهيب الحب!



الجزء الثالث

الفصل الأول

بكل مرة تتمنى أن تكون هي الكبوة الأخيرة، وأن تفتح عينيك لتجد أنك قد استيقظت من هذا الكابوس المزعج، وتعود الحياة كما كانت على الرغم من تيقنك أن الموت لا رجعة فيه، وأنت لن تلقى الراحلين إلا بعد أن تموت ويصعب عليك تصديق ذلك. أحياناً يأتون بأحلامك، ينصحون ويوصون ثم يغادرون وتعود أنت للحياة تجاهد وحيداً، حتى الذين أقسموا على مساعدتك، أيادي العون خاصتهم باتت خفية، تنظر للسماء في محاولة أخيرة على أمل الدعاء فيهطل المطر؛ ليغسلك من رماد آخر معاركك تلك التي اتكأت فيها عليهم فبصرت بعينيك فوجدت الميدان خاوياً. وأنهم اصطفوا على الجهة المقابلة، وأصبحو أعدائك، وتأت أكثر أوجاعك ألماً من سيوفهم الباردة التي ظلت تحدش رقبتك

كالكبش إلى أن سالت جميع قطرات دمك، ووزعوا جسدك بالأكثر طعنات فالأقل. ولم يتبق لك غير قلب دام وعقل مهموم، أما عن جسدك فمتفرق إلى أشلاء غريبة، تلك هي المعركة يا قلبي. فلتحاول أن تستعيد قلبك ومشاعرك التي بارت فما أخذ بالقوة لا يسترد إلا بالقوة.

دقت الرابعة فجراً، عندما رحلت أولى سيارات القاهرة التي استقلها أحمد. شرد بأفكاره فكيف سيكون العيش بالقاهرة، والبحث عن مصنع الشمع، وما هو إرث أبيه الذي ارتحل من أجله. وكحال مسافر غريب لا يعلم شيئاً، يأتي إلى عقله المتضارب الأحداث الجافة من فقدان الأهل ورحيل الأحباب، لكن ما شغل باله طول فترة السفر مجيء سارة إليه، وحالتها التي يُرثى لها، ودموعها وهي راحلة وطلبها الثائر من أجلها، فلمن ستأرأيها الفتى؟

زفر وهو يعدل حقيبه على أرجله ناظراً إلى السائق وهو يعقد يده إلى صدره:

- بعد إذنك يا أسطى. أنت تعرف حته في القاهرة اسمها «متحف الشمع»؟

حك السائق جبينه بيده الأخرى المسنودة على نافذة العرب:

- آه متهيأ في حلوان، روح واسأل هناك.

هز رأسه ثم تابع:

- حلوان تمام.. طب متعرفشي حته اسمها «السور القديم» قطب السائق جبينه:

- لا والله معرفشي، أنا كنت شغال على خط حلون ده من زمان، ومش فاكر حته هناك اسمها السور القديم.

شكر السائق ثم أشاح بوجهه إلى نافذته، ينظر إلى مدخل القاهرة وعمارتها المتقاربة. شعر ببعض الراحة فقد اقتصر البحث على حلوان بدلاً من القاهرة كلها. توقف السائق عند أحد إشارات المرور، نظر أحمد إلى الرصيف تحديداً إلى بائع الجرائد الذي يقول بعلو صوته:

- (انتحار بنت راجل الأعمال المشهور يحيى زهران).

نظر أحمد إلى الصورة؛ ليجد صورة لسارة ملطخة بالدماء مكتوب فوقها:

(انتحار سارة ابنة رجل الأعمال الشهير يحيى زهران في ظروف

غامضة..)

كالدق على الحديد المنصهر خفق قلب الصبي، وأحس أن روحه تسحب بالفيمتو ثانية، ويتمزق جسده ببطء، أفاق من حالة الموت الفجائي التي عاشها لثوانٍ على صوت السائق وهو يقلب كفيه قائلاً:

- لا حول ولا قوة إلا بالله. لما بنت راجل أعمال تنتحر، وأمال ولاد الغلابة يعملو إيه؟ الدنيا معتشي فيها أمان. ربنا يسترها علينا..

تجبرت تعبيراته ومثلت عينيه بالدموع من الهويس المطبوق بين أضلعه. حاول أن يتمالك من قلبه المرتعد ثم ارتدى نظارته الشمسية وأرجع رأسه للخلف. التظاهر باللاشيء من الخارج أمر يسهل عليك فعله، لكن ما يحترق بالداخل تلثم رائحته، تصطك أسنانه وترتعش شفاته بشدة وارتخت جفونه أخيراً وأخذت الدموع مجراها لمستحقاه، فإن لم تذرف على محبوبة قلبه لمن تذرف. تشتت تدبيراته، أيعود ليعلم ما أحل بسارة أم يمضي بطريقه باحثاً عن تفسير لما حل مؤخراً؟ الآن فهمت لما أتت سارة وكانت تبكي لما عجز عقلي عن الفهم وتصرفت بحماسة شديدة، هل حقاً سارة ماتت؟ لا لم تمت أنتم تكذبون، تريدون مني أن أعود، نعم إنها تريد مني العودة. لبيك يا سارة، لكنني لست بين الحجاج مهلاً، حتى المعزين لست بينهم. لقد تركتك تلفظين آخر أنفاسك، يريد أن يجهد بالبكاء ويضرب نفسه بسكاكين؛ ليقطع ذاك الجسد المتبلد. لقد رأيته بعيني أمس، هل كانت تودعني؟ وترك لي عقدة من الذنب لن تنحل أبداً. أرادت سارة أن تبين لك أنها تابت طالبة المغفرة، وتقول لك أنك معشوقها الوحيد، فثأرها اليوم متعلق برقبتك، والقصاص من مجهول أيضاً، لكن ذاك القصاص لقلبك ولحب حياتك فلتجعله أظنى انتقام.



- البقية في حياتك.

يقف كلاً من يحيى وابنه سيف يأخذون التعازي بعد أن انتهى القارئ من تلاوة بعض آيات القرآن الكريم. أحدهم يحتضنه ويربت على كتف يحيى، والآخر يمسك يده بين يديه وكلمات المواساة التي لا تفيد.

العزاء يحتضن الكثير من رجال الأعمال وأصحاب الشركات. بعض الحاضرين يرتدون ملابس عسكرية بين لواءات وعمداء، والسيدات يجلسن بالجهة المقابلة تأخذ عزاءهن ريهام المنكسرة القلب التي لم تهدأ دموعها طوال فترة العزاء. اقترب من يحيى الضابط محمود بلبسه المدني وسلم عليه قائلاً:

- البقية في حياتك يا معالي الباشا.

- حياتك الباقية يا محمود باشا.

انصرف محمود ويبدو أنه كان آخر الموجودين. اتكأ يحيى على ذراع سيف؛ ليساعده بالجلوس، ثم قال بصوتٍ متهدج:

- أنا عايزك تنزل الشركة بكرة يا سيف، ونيفين هتفهمك على كل حاجة..

أوما سيف برأسه ثم قال:

- حاضر يا بابا..

- البودي جارد راحوا وسألوا على مصطفى، وعرفوا أنه سافر.
- أغمض يحيى عينه وضغط عليها بشدةٍ مصدرًا بعض الآهات:
- ملكوش دعوة بيه ومتدوروش وراه، مسيره يرجع.. المهم دلوقتي اطلبلي الدكتور.
- قطب سيف جبينه وهو ينظر إلى أبيه باستغرابٍ شديدٍ:
- طب وهتسيبه باللي عمله ده يا بابا، ده شرفنا.
- تنهد يحيى وهو يعتدل على كرسیه:
- أيوه يا سيف، هنسيبه لقدره وهيحي لقدره كدا.. اطلبلي الدكتور بقى، مش قادر أخذ نفسي.
- خلع الطبيب جهاز الضغط، بعدها حرك الساعة إلى صدر يحيى، ثم وضع معداته بحقيته السوداء قائلاً:
- يا يحيى باشا مش هينفع حضرتك تقعد في البيت، لازم نيجي المستشفى، القاعدة في البيت مش هتنفع.
- نظر إلى الطبيب في إعياءٍ قائلاً:
- حاضر يا دكتور. الظروف بس دلوقتي مش هتسمح، وأول ما الدنيا تتعدل هاجي المستشفى.

استاذن الطبيب بالانصراف وهو يقول:

- شدة وتهتدي يا باشا.. ألف سلامة.

أوماً الطبيب ثم أمر يحيى سيف أن يوصله إلى باب الفيلا:

- يا سيف سرطان الرئة ده أخطر أنواع السرطانات، ويموت في وقت قصير، لازم يبدأ في الكيماوي.

قال سيف وهو يتلع غصته:

- حاضر يا دكتور.

عاد سيف إلى غرفة أبيه، كانت ريهام تجلس بجانب يحيى الذي بدأ حديثه ببعض الدموع:

- مصدقة يا ريهام إن سارة ماتت، والأكبر من كدا إني أنا السبب في موتها، أنا اللي عملت فيها كدا، ووصلتها إنها تتنحر، لو كنت سيبتها تتجوز أحمد ومكسرتش قلبها من وقتها، وأنا بإيدي سلمتها لمصطفى اللي محفظني على النعمة اللي في إيده.

أمسكت ريهام بيده وقبلتها ثم قالت:

- متقولشي كدا يا بابا، ده قدرها، وهي دلوقتي عند ربنا اللي أحسن من الكل ربنا يرحمها..

جلس سيف بجانب ريهام بعد أن أوصل الطبيب وأخبره عن حالة يحيى. رفع يحيى يديه بصعوبة قائلاً:

- أحمد يا سيف. دور على أحمد وحاول تخليه يجيلي هنا، ربت سيف على يد أبيه، ثم نظر بعينه وقال مطمئناً:

- حاضر يا بابا هدور عليه، ريح نفسك أنت بس وكل حاجة هتبقى بخير.

أشاح يحيى بوجهه إلى نافذة الغرفة ثم قال:

— لازم أقابله، فيه حاجات كتير لازم يعرفها..



وقف أحمد أمام متحف الشمع بعد أن استاء من السؤال عن السور القديم. فلا أحد يعلم عن هذا السور، ولا يعلم هل هذا حي أم شارع؟ منطقة سكنية معينة أو علامة مميزة لمكان ما. جلس على أحد ساحات الانتظار، ها أنا يا سارة الفقيد الذي وافته المنية بعد رحيلك، تظنين أنك أنتِ المتوفية لقد ذهبت أنتِ لتشعري ببعض الراحة، أما عني فأنا الفقيد حقاً الذي يرسم على جنبات وجهه تعابير ينفث بها نيران صدره. فلم يعد الآن يقبع بمكان الفراق، ورحل تاركاً آلامه هناك، حتى لا تسنيه عما يريد، فجاءت الصاعقة على قلبه بمدخل البلد، خرج الرسام بفرشاته

ليخطط لوحته القادمة باحثاً عن آخر طرف الخيط تاركاً بدايته بعروس المتوسط. وأتى إلى بنت المعز يترجى آباها أن تعطف عليه، وترشده إلى طريق واضح؛ ليتخذ مسلكاً دون عناء. فما تكبده كان كثيراً وأتى دفعة واحدة. اعتدل على الاستراحة وبدأت يدها تعزف سحجات من البؤس على أوتار قلبه الحزين. استسلم ودنا من العجوز الذي انضم إليه قائلاً:

- هو مفيش فنادق هنا في حلوان؟

ثمّة شيء ما لاح بالأفق، وجه تعرف عليه أو خمن صاحبه، ملامح رسمت كما يكون وأخذت من الجمال ما تريد وتركت الباقي ليقفات عليه الفتيات. كريستين الشمسية اللون والأعين تجلس بجوار نافذة حافلة مكتوب على جانبها الكاتدرائية بالعباسية، سأل أحمد العجوز بلهفة ثانية:

- هي الكنيسة اللي هنا فين؟

قطب جبينه ثم نظر إلى أحمد وتفحصه بابتسامة خفية ثم قال:

- آخر الشارع على اليمين..

حمل أحمد حقيبته بسرعة واستوى واقفاً وسار بخطواتٍ متسارعةٍ ليلحق بالحافلة، اقترب وتوارى خلف الأشجار وتفحص وجوه الفتيات واحدة تلو الأخرى. اتسعت حدة عينه عندما امتلأت بكريستين المرتدية

ملابس تشبه ملابس المدارس، فستان أزرق اللون قاتم فوق قميص
لبني بنصف كم عليه معطف أسود وشال لبني أيضاً. دخلت كريستين
الكنيسة تضحك مع زميلاتها بنفس العمر، ليست تلك الكنيسة القادمة
منها الحافلة. لاحظ أحمد أن الكنيسة تحمل اسم الملاك ميخائيل أراد
الاقتراب لكن بذلك الوقت المتأخر من الليل ستثار حوله العديد من
الشكوك، ولا سيما تواجده هنا وقت وصول الوفد، توقفت أفكاره عندما
ضرب أحدهم كتفه بقوة من الخلف، استدار ليرى ذاك الأحمق.

- أنت مين يلا وتعمل إيه هنا؟

وجه متعرج وكف كبير وشارب يأكل الشفاه العلوية يقف خلفه
عربة الشرطة.

- مفيش يا باشا بدور على مكان أبات فيه النهارده.

قال الضابط بضجر:

- بطاقتك يلا.

أخرج أحمد بطاقته ثم أعطاها للضابط.

- طب بقى يا روح أمك، الشنطة دي فيها قنابل ولا ألغام ولا
رشاشات ولا إيه.

خلع أحمد الحقبة وفتحها للضابط:

- فيها هدوم يا باشا، هدوم والله.

أشار الضابط للعساكر بعدما تمكم على أحمد:

- خدوه على البوكس..

أتى العجوز الذي كان يجلس بجواره على الاستراحة قائلاً:

- هو ده يا حضرة الظابط. جه جري أول ما شاف الاتوبيس. حاول

أحمد الإفلات من أيدي العساكر ثم سحبه الضابط:

- اطلع يا ابني..



بعدما حط الأتوبيس رحاله أمام كنيسة الملاك ميخائيل أحد أشهر كنائس حلوان. اجتمع الوفد المكون من شباب بين الستة عشر عاماً والخمس وعشرين، وفتيات بنفس العمر، ومجموعة من راهبات وقساوسة كنيسة الكاتدرائية. وقف القس الأكبر بطرس والد بيتر وترأس الوفد وعلى يمينه قسيسون آخرون، ثم أتت كبيرة الراهبات تيريز ومن ورائها بقية الراهبات، ثم الفتيات والفتية، اعتلى قسيس كنيسة الملاك ميخائيل المنصة مع عكاز ذهبي ورداء أبيض مزركش بالأحمر، ابتسم للجمع ثم قال:

- فليبارك الرب الحاضرين. احنا بنرحب بوفد الإخوة الأعزاء خادمي كنيسة الكاتدرائية عظيمة كنائس مصر القبطية، وأساس الدين المسيحي الأرثوذكسي. نرحب بالأنا بطرس قسيس الكاتدرائية والراهبة تيريز وأبناء الرب من الفتية والفتيات، وسعداء النهارده بوجودهم قبل عيد الميلاد المجيد... نشكركم على الحضور.

تناهى الكلام إلى أسمع الجمع، ثم تبعه تصفيقات وتحيات بالرأس تبعها تقدم القسيس بطرس؛ ليلقي بعضاً من كلماته أيضاً:

- نشكر الأنا يوليوس قسيس كنيسة الملاك ميخائيل على استضافتكم لوفد إحياء ذكرى ميلاد المسيح بيوم ميلاده. ونأمل توحيده صفوفنا والعمل على إفادتكم وإفادة الدين المسيحي..

تفرق الوفد ليلج كل منهم إلى غرفته ومكان مبيته بالكنيسة. كان بيتر طوال الرحلة ينظر إلى كريستين بتغزل، وكانت كريستين ترمقه بنظرات خفية بين الحين والآخر؛ لتجد عينها بعينه فتشيع بوجهها للجهة الأخرى. قد تملكك الحب يا بيتر وأحببت قلباً مهاجراً لم يطأ القاهرة بعد. دلفت كريستين ورفيقتها إيلين إلى الغرفة بعد يوم مرهق بعض الشيء. إيلين القادمة من سوريا، أو إيلين الوردية، وهو اسم أطلقوه عليها من شدة تلون خدها خجلاً لشدة بياض وجهها، فقيدة العائلة جميعاً في غارة

— من غارات بشار— أوقعت سقف المنزل فوق عائلتها، ونجت إيلين تحت الانقراض تلفظ آخر أنفاسها بعد مرور أربعة أيام عليها حبيسة الظلام، ورحلت كذوبها إلى مصر وبالأخص جاءت إلى الكاتدرائية لتعمل بها. جلست كريستين تنزع حذاءها الأسود ثم جوربها الأبيض. حدقتها إيلين ثم قالت وهي تخلع فستانها:

- ما هو مش كل يوم هتفضلي مضايقة نفسك بسبب الموضوع ده، وبعدين أنتي أصلاً وافقتي، وبعدين بيتر هيبقى هو القسيس الجاي وكل البنات يتمنوا إنه يبصلهم، مش أنتي اللي عاملة ثقيلة، وبنات الكنيسة كلهم بيعسدوكي عليه، إنك آخر واحدة جاية وهو أعجب بيها وهيتجوزها. ده كان فيه واحدة بنت واحد غني ماسك حاجة جامدة في البلد هتموت عليه، بس هو موافقشي.

زفرت بشدة وهي تفرغ محتويات حقيبتها ثم ابتسمت فجأة:

- هو أنتي اتعلمتي مصري فين صحيح؟

ابتسمت هي الأخرى لتتورد وجنتها بلا خجل، ثم انتهت من خلع فستانها لتجلس بجانب الساحلية الأصل:

- أنا لما جيت من سوريا بعدما ضرب القصف بلدتنا، كان عندي وقتها 14 سنة. لقيت ناس كتير جاية على مصر، عائلات مهاجرة كتيرة جداً، اللي متعور والي مكسور ذراعه والي بيبكي بحرقة

على ما فعل بشار فينا. مصر فتحت لنا أذرعها وكنا في عمارات
لاجئين هنا بالقاهرة، كنا كثير أوي وكان الأكل مش بيكفينا طاقة
واحدة، اتعرفت على فتيات كانو بيروحووا يبيعوا فل وياسمين على
العريبات ونسحت من الناس، وأنا كان المصريين بيدوني فلوس
كثير عشان شكلي، وكان الفتيات اللي معي شكلهم حلو برضه
بس لأنني كنت صغيرة وبريئة كدا، الفتيات اتضايقوا مني فراحوا
يضربوا فيا لحد ما كنت هموت، سابوني جنب كوبري أحمد سعيد
أنزف جامد، وكنت خلاص مُت، لاقاني راجل طيب خدني على
المشفى والحمد لله ربنا ستر. آخر حاجة فاكرها إن أنا حد شالني
على ذراعاه وبعديها فتحت في المستشفى، طلعت بعديها اشتغلت
في بيوت الناس وفي المطاعم أغسل صحون، وفي الأخير كنت
شغالة في مطعم كشري هنا في العباسية، وكان فيه راجل مسيحي
زبي شغال، هو الطباخ بتاع المطعم، دلني على الكنيسة وأهو من
يومها وأنا هنا.

ثم أردفت بعد هذا المشهد المكمل بالدراما:

- ماتوهينيش، أنتي لازم تبقي فرحانة كدا، وأنتي العروس المنتظرة..
علت الضحكات التي قطعتها دقات الباب معلنة ضيف قادم.
لبست الفتيات ملابسهن بسرعة ثم تفاجأنا بدخول الراهبة تيريز بدون

استئذنان. نظرت الأخيرة إلى إيلين وطلبت منها الانصراف، ثم أوصدت الباب خلفها، قالت تيريز بتعبيراتٍ مبهمَةٍ:

- الإكليل كمان خمس أيام.

قالتها فقط، ثم همهمت كريستين بعبارات غير مفهومة تستعرب داخلها نيران تريد أن تنفثها بوجه الراهبة وترفض وتعطي لنفسها بعضاً من الوقت، تتخذ به قرارها الصائب لكن لم تسطع. أو مأت برأسها مبتسمةً:

- حاضر.

انصرفت الراهبة ودلفت بعدها إيلين إلى التي تلقت فاجعة اعتبرتها أكبر همها بالوقت الراهن. وضعت صديقتها يديها على وجهها العابس:

- قالتك إيه؟

قالت كريستين وهي تبتلع غصتها:

- هتجوز الأسبوع الجاي..

الأكليل عبارة عن صلاة تحتوي على مجموعة من الترانيم يلقيها القسيس على العروسين يوم الزفاف من باب مباركة الزواج.



- ها يا ابني قولي إيه اللي جايك من إسكندرية للقاهرة؟

نطق أحمد بتطفٍ شديدٍ:

- يا باشا والله زي ما قولت لحضرتك كدا، أنا جاي هنا على شغل.

رمى الضابط بطاقة أحمد، ثم أرجع ظهره للخلف وهو يضع أرجله على المكتب.

- طيب ماشي. والورق والرسم والألوان والدنيا دي عشان ترسم

كذا مخطط للكنائس؛ عشان تفجرهم ولا ترسم صورة لحبيبتك

أو للكلية بتاعتك برضه؟

تمالك أحمد نفسه أمام تغطرس الضابط، ومعاملته لأحمد بشكلٍ غير

لائقٍ، أخرج الرسام كارنيه كليته:

- ده يا باشا كارنيه الجامعة، أنا طالب بالفرقة الثالثة كلية الفنون

الجميلة.

أشار الضابط إلى الصول الضخم الذي يقف بجانب أحمد وهو

يعتدل قائلاً:

- خده على الحبس..

شد الصول أحمد من ذراعه بقوةٍ، حاول أحمد أن يفلت من ذراعه

واستلقى بيده على مكتب الضابط.

- يا باشا والله أنا ما عملت حاجة.

تراعن الضابط في كلامه بعدما رأى أمامه ما يحاول أحمد أن يثبتته:

- إيه يا أحمد مش عيب لما تكون جاي من إسكندرية لحد هنا ومتبتشي عندنا يلاً. عشان تبقى أول يوم ليك في القاهرة بتة في قسم حلوان، يلاً يا أبو حميد متعصلجشني..



كلما يهدأ قلبك من المصائب وتشعر أن الحياة ستمضي ولن تنتهي عند إشارة توقف حتى وإن كان الأحمر فيها طاغياً، تستخدم ذاتها نفس الكلمات لتريح من على عاتقك الأثقال ويظل عقلك يرسم بعض المخططات السلبية للمستقبل؛ لتيقنه بأن المصائب لا تأتي فرادى. وقد أثبتت الأيام ذلك جلياً وأن الأقدار لا تملك مفترق طرق، والأحداث تجتمع لتحطمها أو تحطمك. فيبني جسدك من أنقاض تجاربك رجلاً ويشد ساعدك من سقطاتك ولا تمتلك أنت غير الصبر، وهي تمتلك نهاية ككل شيء. سُميت الدنيا من الدنو، وإن تعلقت بشيء بها سترسوبك في القاع. حتى يا أحمد عندما جعلت من قلبك ملاذاً تأوى إليه عندما تخونك الدنيا قد خانك قلبك، وأطفأ الثأر نار الحب بداخلك، واشتد لهيب الانتقام، وبيدك التي كنت تواسي بها نفسك

ستحفر لهم أخاديد تلقي بها كل من تعاون على تكسير وتمزيق عظامك،
حتماً ستأتي أيامك لا محالة.

دفع الصول أحمد بعنفوانٍ شديدٍ خلف باب السجن المكتظ بالمجرمين
على مختلف جرائمهم، خرقت أنفه تلك الرائحة الكريهة التي تنبعث من
المكان العفن والرطب. الجدران ابتلعت الطحالب أسفلها وبمنتصفها
أسماء بعض المساجين المكتوبة بالطباشير الأبيض، وسب ولعن بجوار
الأسماء، وسقف أسود أكلته الرطوبة، ضوء خفيف يأتي من الشباك
الخلفي المؤمن بحديدٍ مرصوصٍ بالطول. أجلس أحد المساجين أحمد
الذي ارتكن على الحائط، ثم غلبه الارهاق ليتوسد حذاءه مثل البقية،
ويغدو بالنوم معلناً عن نهاية يومه الأول بين أحضان القاهرة..



أغلقت ريهام ستائر غرفة يحى عندما حل البرد بالمكان. فشهر يناير
هو ذروة البرد والصقيع. وذاك الجو البارد لا يناسب رثتي يحى التي
عبرت عن ضعفها. وانتقل يحى إلى جهاز تنفس بين الوقت والآخر،
عندما يصعب عليه التنفس، يحى المسجي كجثة هامدة على الفراش
يصارع السرطان الذي يتوغل برئتيه ولا يعلم، يظن أنها أزمة صدرية
تأتيه على فترات بين الحين والآخر، لكن لبراعة الأطباء المعالجين اكتشفوا

السرطان في بدايته، وأمهلوا سيف مهلة لا تتخطى الثلاثة أيام حتى يحضر يحى إلى المستشفى ليتلقى جرعات الكيماوي.

وقفت ريهام تتأمل المطر المتساقط، ووقوف بعض القطرات على نافذة الغرفة. وأما هي لم تتوقف عن التفكير بسارة التي ارتبطت بها بقوةٍ آخر أيامها، وربطتها علاقة قوية، وكانت تشاظرها أحداث يومها، وكيف كانت تحب أحمد وما تشعر به معه وكرها لمصطفى. ورأت فيها ريهام شخص مختلف عن سيف ويحى. سيف الذي يتجرع بسرعة قصوى تكبر أبيه، وترى بأم عينها نسخة مصغرة يسقيها يحى القعيد الآن. تتذكر ريهام فرحة وجهها عندما كانت تتذكر الأحداث التي جمعتها بأحمد وعقد البومة الذي كان أعلى ما تملك، وعن ما شعرته عندما كان يعانق يديها، وعن أول مرة أفصح لها عن حبه، وعن حالته عندما فقد أمه، وعن فرحتها التي لم تكتمل عندما أقبل على خطبتها، قبل أن يهوي أبوها بأحلامه إلى قاع المحيط ويسلبه كرامته. تارة تلعن يحى وتارة تشفق عليه، تنهدت وعلى شفيتها الرحمة. انجهدت إلى يحى لتعطيه كوب الماء وقرص دوائه، فقد دخل موعده الآن، أخذ يحى الدواء ثم ابتلعه بالماء، اعتدل وهو يتوجع قائلاً:

- شكراً يا ابتتي. ابتسمت ريهام ثم وضعت الكوب على صوان السرير (كومودينو) قائلةً:

- العفو يا بابا.

قال يحى بصوته المتهدج:

- يارب يا ابتتي ربنا يساخني على الي أنا عملته في سارة. هي

ارتاحت من أب زبي. يلا ربنا يرحمها. ياريت سيف يلاقي أحمد،

أنا عايز أتكلم معاه. ربت ريهام على كتفه، ثم قالت:

- ارتاح يا بابا. سيف هيلاقه، هيروح فين ومتشيلشي في نفسك.

أردفت بعدما دخل سيف ثم حولت نظرها إليه:

- أهو سيف جه أهو يا بابا.

أقبل سيف وقبل رأس يحى ثم جلس بجواره على الفراش:

- صحتك عاملة إيه دلوقتي يا بابا؟

- تمام الحمد لله.. لقيت أحمد؟

كانت الساعة أكملت الحادية عشر صباحًا عندما فرك سيف مؤخرة

رأسه قائلاً:

- لا، روحت الشقة بتاعته لقيتها مقفولة. سألت الناس الي هناك

قالولي أنه مشي وهياجر الشقة. روحت حتى الجامعة محدش شافه

من يوم المسابقة. واليومين دول أيام امتحانات حتى ما بيعجيش

ومبيحضر شي الامتحانات. سألت في المستشفيات والأقسام المشهورة في إسكندرية كلها مالتشي، بعث بيانه لظباط صحابي في القاهرة والبحيرة وطنطا عشان لو حد شافه أو حد بلغ عنه.. حتى رقمه الي كان على موبايل سارة مقفول علطول.

استاء يحيى من حديث سيف، كان على أمل أن يجده سيف، لكن يبدو أن الأرض ابتلعه وتترك الإسكندرية بحثًا عن مأوى له، حتى جامعته تركها، أكمل يحيى تساؤلاته:

- أخبار الشغل في الشركة إيه؟
- يا بابا الشغل ماشي تمام. ونيفين بمية راجل، فاهمة الظروف ومقدرة، واستريح أنت يا بابا الشغل تمام والله..
- الدكتور قالك إيه؟
- حركات ريهام رأسها للأرض وصوبت بصرها للأسفل استعدادًا لعبارات كاذبة تلقوها على آذان يحيى:
- قال لنا إنك في تحسن، بس القاعدة في البيت مش هتنفع.
- قاطعها سيف عندما تذكر أن شرف ينتظر أباه بالخارج:
- الأستاذ شرف مستني حضرتك بره يا بابا..

تكره ريهام تلك العادة السيئة بسيف وعدم احترامه للآخرين. تذكر عندما ألحت عليه أن يذهب إلى أحمد من باب جبر خاطره ويدعوه إلى عرسهما كانت ردود فعل سيف تذكرها بأوائل القرن المنصرم، والحد الطبقي بين الباشا والأفندي والفلاح. وافق سيف بعد إلحاح ريهام عليه وذهب رغماً عنه، لكن الآن عندما آلت الأمور إلى الزواج يجب أن تلحق أن تغير به بعض عاداته السيئة قبل أن يهرم وتهرم معه.

أمسك سيف بيد ريهام ليتركوا مساحة للمنتظر خارجاً أن يجلس مع أبيه، دخل شرف ببذلة السوداء التي لا يرتدي غيرها، أشار إليه يحيى بالجلوس:

- ألف سلامة عليك يا باشا.

أوماً يحيى برأسه؛ ليوفر جهده للكلمات التي يريد أن يلقيها لشرف، أخفض يحيى صوته المخفوض سلفاً لكنه كان كالهمس هذه المرة:

- اسمع يا شرف. دي آخر حاجة هطلبها منك، هاتلي مصطفى ابن منصور باشا من تحت طقاطيق

الأرض. هو غالباً بره مصر، هاتوه وبعديها إحتفي.

أحس شرف بجدية يحيى على غرار صوته المتهدج الغير مسموع، فعيناه كانتا تشتعلان غيظاً. تلك المهمة الموكلة إلى شرف أصعب شيئاً قد يفعله في فترة عمله مع يحيى باشا:

- حاضر يا باشا تحت أمرك..

خارج الغرفة ينتظر سيف الراكن إلى سور السلم يفكر في أمر والده، وكيف سيخبره بأمر السرطان؟ غداً آخر أيام المهلة المحددة من قبل الطبيب. انضمت ريهام إلى جانبه علّها تساعد قلبه على الصمود، تحدث سيف بخوفٍ شديدٍ:

- أنا خائف أقول لبابا، وخائف من اللي ممكن يحصل له.

احتضنته ريهام وأسندت رأسها إلى صدره وهي تقول: — متخافشي يا حبيبي، كل حاجة هتعدي.



أثرت كلمات الضابط محمود بطارق الغير متخاذل. لكنه بان أمام جميع قسم الشرطة الضابط المقيّد ضد مجهول، هو لسان حال جميع القضايا التي أمسك ملفاتها بين يديه، موت سلوى بتفكيك مكابح السيارة ثم اتهام جورج بقتلها، ثم قتل خالد لجورج، ثم قتل خالد بالسجن وطعنه أكثر من عشر طعنات. أحمد وحبه لسارة ابنة يحيى، ثم خطوبتها لمصطفى الذي كانت تربطه بأحمد علاقة صداقة قوية، ثم انتحار سارة واختفاء مصطفى، ثم اختفاء أحمد المفاجئ، وهروب ابنة جورج. علاقة يحيى بمنصور والد مصطفى وصفقاته الغير شرعية المتوارية عن الأنظار، أخرج جميع أوراق

القضية ثم أحس بهاجس غريب يربط بين يحيى وخالد المقتول، لكن ما هو؟ موظف متيسر الحال كيف يكون على نزاع مع رجل أعمال كبير مثل يحيى زهران؟ لماذا كانت سارة بالمشفى بهذا اليوم؟ ولماذا كانت ترتدي ملابس العمليات؟ وما الذي أدى بها إلى الانتحار؟ تضاربت أفكاره ومحاولة القضية لفرض انتهاء المحاولة تقف أمام شجاعة الضابط الواعد «طارق مجدي» الأول على كلية الشرطة طوال سنوات الدراسة وصاحب الجهد العالي في إنجاز المهمات التدريبية وريث الكفاح أباً عن جد. الأمور بالواقع ليست كما الكلية، والقضايا النظرية لن تفيده بالمجتمع، وتلك القضايا قضية واحدة يراها متعددة الجوانب، أخرج ورقة ورسم عليها مثلث بين خالد وأحمد بزواوية، يحيى وسارة بزواوية، ومنصور ومصطفى بالآخيرة، ثم ركل الكرسي بعنف شديد وتوجه إلى مكتب الضابط محمود؛ ليفهم أبعاد القضية التي آراقت طوال الأشهر الفائتة، ويلتمس بعض الأعذار والتوضيحات؛ ليعطي له الأذن بالعمل مجدداً بالقضايا التي يظن أن هناك علاقة وطيدة تربطها.

كان الباب موصداً ولكن ليس بإحكام، دفع طارق الباب ببطء وسمع الضابط محمود يتحدث في هاتفه الخليوي بصوت خافت:

- يا باشا. أنا عملت اللي عليا، والموضوع خلص من الجمارك، متقلقشي وكل حاجة بعيدة عنك، واحنا بندور على الواد ابن الكلب ده مش لاقينه، متنساش بس يا باشا..

- تحت أمرك ماشي يا أفندم.

دق طارق الباب بعدما يتقن أن محمود يلعب بالخفاء هو الآخر، ويعقد رزم النقود من تحت المنضدة ويعبئها ببطنه. ارتبك محمود وهو يضع الهاتف ثم نظر إلى طارق:

- فيه حاجة يا طارق؟ قالها بتعبيراتٍ متحجرةٍ ووجه كان سيشحب لولا أنه تمالك نفسه، وعن ذلك الذي انخدع برؤية قدوته ومثله للشرف المحتذي به، وموجهه ومساعدته في تثبيت أقدامه طرفاً من العصابة الخفية التي يدور نشاطها حول نفس المحور. الآن فهمت تثبيطه المتوالي لهممي العالية، كانت من باب مساعدة الآخرين، وتوجيهاته كان تشتيئاً لا أكثر..

- يا باشا دي أوراق القضية الجديدة.. تردد وعلق لسانه بسقف فمه، لكن نطق ليؤكد شكوكه ويبرهن أن انتكاسته بحل القضايا كانت من آلاعب قابعة وراء الستار.

- يا باشا أنا بطلب طلب ابن من أبوه.. عايز أشتغل في القواضي دي تاني، حاسس إني هوصل حاجة، ودي ورقة طلب فتح القضية تاني.

التقط محمود الورقة وقام من على كرسيه، نهض طارق لكنه جلس ثانيةً عندما وضع محمود يده على كتفه، ثم جلس بالكرسي المقابل:

- يا طارق هو أنت ليه مش عايز تفهم؟ مينفعشي نشتغل في قضية القاضي حكم فيها، وقضية راحت للنيابة، يا ابني ركز في شغلك، الطابط باللي على كتافه، مش قضية ولا اتنين، قضية ممكن ترفعك فوق سابع سما، وقضية تانية تحسف بيبك الأرض، وافتح وشوف هو احنا مش عايزين الحق يظهر يعني، واحنا دورنا انتهي. والمحكمة برضه دورها انتهت، وهقولك تاني شوف شغلك وسيبك من القواضي الخسرانة..

استوى طارق ثم سحب الورقة من أمام محمود، قال محمود بتهكم شديد:
- ابقى خدلك يومين أجازة يا طارق. تنصف دماغك من الأوهام اللي فيها دي.
- تمام يا أفندم.



عاد الوفد بعدما أنهوا الزيارة القصيرة لكنيسة الملاك ميخائيل بعيد الميلاد، وارتحلت الحافلة عصرًا يوم الميلاد. الفتيات يجلسن على يسار الشاحنة، الفتيات التي منهن ستصبح راهبة، والتي منهن ستخدم الكنيسة، والتي ستختار حياة أخرى بعيداً عن حياة الكنيسة، تجلس كريستين بجانب إيلين في الكرسي الثالث خلف السائق، اتجهت

مشاعرها عكس اتجاه الحافلة، منذ قدومها للكنيسة رفضت أن تكون راهبة على غرار معرفتها من الدين ما يؤهلها لهذا المنصب، وهربت من تلك الحياة ولكنها قُيدت ببيت. عقلها يوافق لكن القلب يخالف المسيحية بأكملها، وقرارها بحب أحمد يمكن أن تُشقى بسببه. تشعر أن أحمد سيأتي يوماً ما وستدب الحياة بوجهها الشاحب، وخصرها النحيل وجسدها الهزيل سيستوي، وسعادتها التي تلاشت تدريجياً كزهرة بهت بعد أن بعدت عن الماء والشمس، حتى بعد أن علمت أن الماء يتخلل بين حصى الرمل لكي لا يصل إليها، وأن الشمس تختبئ خلف الغيوم هرباً منها. ظلت الفتاة تحتفظ بمشاعرها تجاه صاحب الفرشاة وعلى أمل أن تُسقى وترى نور الشمس.

على اليمين يجلس شباب الكنيسة الذين تجرعوا العلم بمختلف معاهد اللاهوت وخصوصاً العباسية، وغيرهم ممن هم على دراية بالعلوم والأحكام ولم يدرسوا بالمعهد. ولكن بيتر ابن القس بطرس يعلم ماهيته، وما هو مقبل عليه وحجم المنصب المرشح أن يتخذه خلف أبيه المعارض لفكرة الزواج من كريستين، لكنه سلم بالأمر منذ أن علم اتجاهات قلب الصبي، يجلس بيتر بنفس المستوى خلف كرسي كريستين بقليل حتى يتسنى له النظر بدون أن يلحظه الجمع. وتدير كريستين وجهها لترى أعينها بعينه، ثم تشيح بوجهها إلى النافذة.

كانت رحلة طويلة من حلوان إلى العباسية، أخيراً وصلت الحافلة إلى البيت، توافدوا وأصطفوا جميعاً. كانت كريستين تهمس مع إيلين وتضحك والعديد من الفتيات يشعرن بالإرهاق ويتحدثن عن مرارة اليوم والبرد الصقيع. جميعهن يلبسن أوشحة بين الأسود ودرجاته على لبسهن الرسمي. رأت كريستين بيتر ينتظرها فتركتها إيلين وسبقتها إلى الغرفة، ابتسم بيتر وحاول تقصي أمور كريستين وهو يقول:

- إيه يا كريستين مالك كذا؟ هو كلامي آخر مرة ضايقتك، عالعموم أنا أسف..

(ضايقتك)

ما تلك المشاعر الباردة التي يتحدث بها، كل ذلك ويقول أزعجني، لقد أحرقت قلبي وشعرت أني بلا قيمة، ثم تأتي أنت وتعتذر. أرادت كريستين أن تصفعه ألف صفقة على خده الأبيض البارد، لكنها كظمت النار وقالت بابتسامة:

- لا عادي محصلشي حاجة.

ابتسم بيتر وهو يحك جبينه قائلاً:

- طب ناوية تستعدي للجواز امতা؟

تنهدت كريستين وهمت لترمي بعض الكلمات التي يستحقها هذا
الإنسان الساذج الذي لا يقدر مشاعرها، لكنها أحجمت كلامها،
وطبقت يديها ثم ابتسمت راغمة وهي تقول:

- آه يعني هبدأ كدا في اليومين الجاين، وهجيب بقى الحاجات اللي
ناقصاني.

ثم أردفت:

- وأنت كمان جهزت ولا لسه؟

- كله تمام، مستنيكي بس.

قالت باقتضابٍ:

- تمام.

انحنى الراهبة تيريز أمام القس بطرس، وحافظت على المسافة التي
بينهما بنظارتها ذات العدسات الكبيرة وإطارها الحديدي الذي أكله الصدأ.

- فليباركك الرب يا أنبا بطرس.

قال بطرس:

- فليباركك الرب.

نظرت إلى بيتر وكريستين اللذين يتبادلان أطراف الحديث ثم قالت:

- كريستين دي مخبية حاجة كبيرة أوي. لازم نعرفها قبل ما نجوزها لبيتر، يعني مش ممكن يكون أهلها كلهم ماتوا مرة واحدة. وموضوع شهادة الوفاة بتاع أبوها اللي قتله جاره المسلم ده مش مريحني.

أوما القس بعدم أريحته هو الآخر ثم قال:

- أنا هكلم الأنبا جرجس، وأعرف منه حكايتها. أنا كمان مش مستريحلها خصوصًا بعد المكاملة اللي أنتي حكيتلي عليها دي. البنت دي كمان على درجة عالية من العلم، وواعية جدًا للي حو اليها، ومتعلقة بالدين جدًا، وأهلها ميتين، ورفضت تكون راهبة.

قطبت جبينها وهي تستنكر ما يفعله بيتر:

- بيتر متعلق بيها جدًا، لازم نحاول نغير رأيّه، ونقنعه أن يتجوز واحدة من بنات الرب.

تنهد ثم قال:

- حاضر شكرًا على اهتمامك.

انصرفت الراهبة وأكمل القس صلواته. لم تتجه الراهبة إلى بيت الراهبات؛ لتلحق بالصلاة مع بقية الراهبات، اتجهت تيريز إلى سكن الفتيات ومنه إلى المطبخ.

كانت إيلين تتناول عشاءها قبل أن تشير إليها، لحقتها إيلين إلى الرواق الخلفي، شدتها بعنف قبل أن تجذب شعرها الأحمر:

- بقولك إيه يا إيلين لو معرفتيش قصة كريستين في ظرف تلت أيام هرميكي في الشارع وهخلي كلاب السكك تنهش في لحمك.

كتمت آهاتها وابتلعت غصتها التي مرت كالعقم، ثم قالت:

- والعذرا كانت هتقول وكنت هعرف كل حاجة، بس أنتي دخلتي علينا، وقطعت هي الكلام، جذبت رأسها بالقرب من فمها، ثم عنفتها قائلةً:

- أنتي بقالك معاها أكثر من شهر كامل، معرفتيش أي حاجة، أو مال لازمك إيه؟

قالت إيلين بعد أن أصدرت بعض الآهات:

- هي منظوية على نفسها، ومبتكلمشي كثير، بتفضل تعيط طول النهار وطول الليل.

ضمت تيريز جفنيها تحت منظارها المقعر، ثم قالت: — يومين يا إيلين بس، وتكون أخبار كريستين كلها عندي، من يوم ما وعيت على الدنيا لحد ما جت هنا الكنيسة.

أفلتها تيريز، وعدلت شعرها، ثم هندمت ملابسها وتركتها تنصرف. كانت ميرانا عاملة التنظيف واقفة تحتبئ بعدما سمعت الحديث الذي دار بين الراهبة وتيريز.

بعدما أحدثن ضجة، ظلت محتبئة إلى أن تبعت الراهبة إيلين بالانصراف. وضعت ميرانا أدوات التنظيف تحت أحد الأحواض، وهمت لتبحث عن كريستين بأرجاء الكنيسة. سألت ميرانا بعض الأصدقاء عن كريستين، وأخبروها أنها كانت تقف مع بتر أمام أشجار المدخل. استرقت ميرانا من بينهن بعض الأوشحة ثم رأت أن إيلين عادت؛ لتكمل طعامها، وكريستين متجهة إلى غرفتها. تسللت بخفية خافية نصف وجهها بالوشاح، ثم اقتربت من كريستين وجذبتها إلى مكان ضيق متوار. عقدت كريستين جبينها ضيقةً واستغراباً، فهي لا تتحدث مع ميرانا كثيراً وخصوصاً بتلك الطريقة:

— فيه إيه يا ميرانا؟

نظرت ميرانا حولها للتأكد أن المكان آمن ولا أحد يراقبها، ثم قالت بحذرٍ بان على ساحتها الشاحبة:

- أنا سمعت الراهبة تيريز وهي بتتكلم مع إيلين وبتطلب منها إنها تعرف عنك كل حاجة، وباين عليها إنها بتراقبك بقالها فترة، وكمآن متضايقه جدًّا، وبتقوها يا تعرفي كل حاجة عنها يا هرميكي من الكنيسة، وهديلك يومين.

اتسعت حدقتها وأصيبت بذهولٍ دام لبعض لحظات قبل أن تلاحظ انصراف ميرانا وولوجها إلى المطبخ بسرعةٍ شديدةٍ.

عادت كريستين هي الأخرى إلى غرفتها، وجلست على فراشها تسأل نفسها، لماذا لم تفهم إلحاح إيلين الشديد عليها لمعرفة أخبار عنها؟ لماذا إيلين عن بقية صديقاتها تسألها ذلك؟ ربما تكون رأتها وهي تحدث أحمد، يجب عليها من الآن وصاعدًا أن تحذر من أفعالها، وحديثها مع إيلين يجب أن يكون منظوًّا بالخطر.



أمضى المهاجر ليلته على أرض السجن، ينام نوم متقطع بين الرائحة النتنة والظلام الدامس الذي يعترى المكان القذر الغير آدمي بالمرة، وحديث بعض المساجين وحذائقتهم على بعضهم ومكابرتهم الشديدة في الحديث

عن جرائمهم، وكيف أذاقوا ضحايم الذل، كان محظوظًا بألا يضايقه أحد ويسأله عن هويته في ليلتين من أصعب الليالي التي يعتبرها أبشعها على الإطلاق. ظهره يؤلمه من وقت الحادث، والنوم على بلاط السجن زاد الألم أضعافًا، تلك الليلة لن ينساها، التي استقبلته فيها أقسام الشرطة فاتحة كلتا ذراعيها.

أشرقت الشمس لتعلن عن بداية يوم جديد، ودخلت أشعتها إلى غرفة السجن القائمة، وذكرته باليوم الذي لم تغطِ الجفون عينه، وظل يفكر بسارة وإخبار أمه أن النتيجة تشغله، ولم يستطع الكذب، ونفس اليوم الذي فقد فيه أمه، أحداث استحققت أن يتساقط بعضًا من الدموع لأجلها، الدموع التي أصبحت روتينًا يوميًا يؤديه حتى يكتمل يومه. انتهى من التفكير في الماضي، واستحضر عقله التفكير في كيفية الخروج من الخندق الذي انزلق به، حتى بعد أن يخرج ماذا يفعل؟ أيعود لبحث عن السور القديم الذي يمكن أن يكون دمره الهكسوس قبل أن يطردهم أحبس، أم يتحامل على رجليه ويحزم نفس الحقائق ويعود للإسكندرية، ويبدأ حياة جديدة بلا أحد، ويتخذ من الوحدة أسلوبًا للحياة، وهل سيمكث بالسجن طويلًا؟ تقاسم الطعام وبعض أطراف الحديث مع المساجين عن ما ستؤول إليه الرحلة وهل سيظل هنا أم سيخرج؟

مر الوقت ومر بقية اليوم وأتت الساعة التاسعة مساءً لتعلن عن نفسها، فتح العسكري باب السجن وسط استهجان المساجين وبصقهم على الأرض، سجين جديد قادم، أم ماذا يريد العسكري في ذلك التوقيت؟ - أحمد خالد غنيم.

انتفض أحمد كمن لدغته حية، ثم نفض الغبار من على ملابسه وعدلها، وأسرع ليذهب مع العسكري، أدخله الأخير إلى مكتب الضابط، وجد أحمد رجلًا يرتدي معطفًا رمادي اللون يصل إلى ركبته، وقلنسوة سوداء اللون يشبه مفتشي الثمايات بملابسه تلك، قال الضابط بضراوة وهو يشعل سيجارته:

- الأستاذ عاصم المنسي جه هنا، وقال إنك شغال عنده، ورايح على شغل، وفيه ناس شغالين معاه في المتحف قالوله إنك اتمسكت، وولاد الحلال، ولاد الحلال ياعم أحمد جابوه هنا.

شعر ببعض الارتياح وجرى الدم بعروقه، واتخذ وجهه الشاحب التلون إلى الطبيعي، قال بحذر:

- شكرًا لحضرتك يا باشا..

أزال الضابط مقدمة سيجارته المشتعلة ثم تنحى قائلاً:

- متشكر نيش، أنا لو عليا مكنتش خرجتك، ولولا معزة الأستاذ عاصم عندنا كان زمانك مشرف حبة حلوين، ثم تمت الضابط:
- لم حاجتك يلا وروح مع الأستاذ عاصم.

عباً أحمد حقيبته باستعجالٍ شديدٍ، ثم ارتدى قلنسوته وخرج مع المجهول. وتبعه بدون أي تساؤلات أو شكوك، كانت المسافة بين قسم الشرطة ومتحف الشمع قصيرة؛ ليرتجلوها، لكن حقيبة ترحال أحمد كانت ثقيلة، وظهره ممزق من المبيت بالسجن، والساعة تتعقرب إلى العاشرة مساءً، شد أحمد معطفه الأزرق الذي أخرجه من الحقيبة إلى صدره بعد تقلبات الجو. وقف عاصم أمام أحد العماير المواجهة لمتحف الشمع ثم أخرج مفتاح من جيب معطفه، وأخبره أن يصعد إلى العمارة الشقة رقم سبعة بالدور الثاني، وأن يقابله بنفس المكان الساعة السابعة صباحاً. التقط أحمد المفتاح ولم يسأل شيئاً، وأخذ أيضاً بعض النقود وهاتفاً جديداً وصعد إلى الشقة. لم تكن جيدة إلى حد ما، الغرف مغلقة والشقة مظلمة وأثاثها قديمٌ ورث. أضاء نور الصالة؛ لبيعث وميضاً خفيفاً ينير في تلك العتامة، ثم وضع الحقيبة أرضاً واستوى على الأريكة، وغفى بعد أن ضبط منبه هاتفه الجديد على السادسة والنصف صباحاً.

بين هذه وتلك شخصياتٍ أتت، وأخرى ذهبت، كلماتٍ قيلت، وأخرى تركت شيئاً، أفعال وصفت حقاً أنها أفعال، وكلماتٍ أفلتها

لسانك لتمضي إلى الذكرى. بين الآن والماضي أحداث جفت، وأخرى
تفاقت، مشاعر هُدمت، قلوب تحطمت، أبواب فُتحت، وطرق لم
تُستكمل، بين الفم والأذن أسرار مُررت فصنت ما صنت، وتفشى ما
تنفسى، وبينك ذكريات تمنيت أن تعود، وأخرى تمنيت ألا تكون
مديحاً لي وذمّاً في، أفاويل قيلت وأكاذيب رُويت، شيم خلفتموها
فظللت افتخر بها، وعيوب كانت ولا زالت لا تفارقكم، بين العينين
وجوه تجملت، حتى وإن لم تكن، وأخرى دُست وامتزجت بالتراب
فأصبحت مثله علي غرار حسنّها، فلا تحمّلني ما لا أطيع، فأنت الذي
تنحت شخصيتك علي لوحتي..

استقيظ أحمد في صباح اليوم التالي على صوت المنبه، اعتدل على
الأريكة وأخرج من حقيبته ملابس جديدة، علا رنين هاتفه بأول اتصال:
- ألو، أيوة يا أحمد، هات كل حاجتك واقفل الشقة كويس.. تمام؟
- ماشي.

عاصم الذي أخرجه من السجن أمس، يبدو أنه يعلم الكثير عنه وعن قدومه
للقاهرة، ويبدو أنه يراقبه ويحفظ تحركاته. أخذ حمام ساخن وارتيدي ملابسه.
عاصم بملابس مغايرة قميص وبنطلون جبردين وحذاء سنييه باهظ
الثلث، ينتظره أمام المتحف. لبس كلاسيكي ونظارات طبية وتعبيرات
مبتسمة، يختلف البتة عن أمس.

سلم أحمد عليه ثم قال عاصم بدون مقدمات:

- بص يا معلم.. أنا عارف أبوك خالد وجورج وسلوى والدتك
الله يرحمهم كلهم، وعارف إن حياتك ادمرت لو عايز تفهم أبوك
جانبك هنا ليه، تعالى ورايا وأنت بنفسك اللي هتفهم، وإن محدش
هيفهم غيرك..

رغم ما يشعر به تبع عاصم مرة ثانيةً. ومشيا بالتوازي مع سور المتحف
عدد كبير من الأمتار إلى أن وصل مكاناً مهجوراً خالٍ من السكان.

- المكان المهجور ده يا أحمد كان قلعة موجودة من أيام الفاطميين،
أو بالأصح بوابة، لما المعز لدين الله بنى القاهرة. حط عدد كبير
من البوابات بتحوطها من كل الاتجاهات؛ عشان أعداء الدولة.
البوابات دي منها اللي اتهد والي اتقلب مقلب زبالة زي ما أنت
شايف والي اتهجر. الباب اللي هناك ده محدش يعرف أنه اسمه
«السور القديم» أو الناس نسيت أنه اسمه السور القديم؛ لأنه
يعتبر أول حاجة اتشهرت في حلوان، ومكانشي ينفع المحامي
يقولك حاجة غير كدا، دي كل الأسئلة اللي في دماغك.

نزل أحمد منحدرًا محاطًا بالقمامة من الجانبين ثم دخل بوابة قديمة.
يبدو أنها ما يتحدث عنها عاصم، سرداب مغلق قاتم لا يتخلله الضوء
من أي اتجاه مبني بالطوب اللبن. البوابة مغلقة من الجانب الآخر، بان

طولها عندما أضاء عاصم مصباح هاتفه، لا تتخطى الخمسة أمتار. وقف عاصم على أحد جانبي البوابة وأزال الغطاء ثم ضحك متساخراً:

- متخافشي يا أحمد، ده تمويه عشان لو حد مراقبنا، مش هخدك لعصر تاني ولا دي بوابة زمن..

ابتسم أحمد ابتسامة قلق تحركت فيها جنبات وجهه برعونة، لكن ظهر عليه بعض القلق فلم تدم الابتسامة غير ثوانٍ قليلة، ثم دخل خلف عاصم، سلم ثلاث درجات إلى الأعلى، دخل الضوء عندما فُتح الباب؛ ليصعدوا إلى فوق، سور صغير يحيط المكان المهجور، رفع أحمد حاجبيه ثم قال عنوةً:

- طب عملنا إيه يعني؟ ده كله ليه؟ ما كنا لفينا وخلاص، ابتسم عاصم ثم أدار رأسه للخلف ناحية أحمد قائلاً:

- مش قولتلك تمويه عشان تحس بشوية أكشن.

عمارات قديمة تكاسرت جدرانها ووقع طلاءها، وأنابيب المياه طبعت على الجدار شكل خضاري ممزوج بالمياه، بيت لا يعلو الطابقين في منطقة خالية بعد العمارات بقليل، يتجه نحوه عاصم، كان هناك نافذة خلفها ستائر بيضاء مزهرة ذات طراز قديم، قرع عاصم الباب؛ ليفتح عجوز شاب شعره واتخذت الخطوط بوجهه أنفاقاً، ذو لحية رمادية،

أحذب الظهر وبطيء الحركة، يرتدي جلباباً بني اللون واسع الأكمام،
حتى الباب كان عتيقاً والبيت أثرياً. هناك شيء ما يلمح للغموض،
والقيود التي حول لسان أحمد قد تزول ويطفح كيله.

وقف أمام الباب ثم قال بضجر:

- أنا فين؟ ورايح على فين؟

قال العجوز بصوتٍ متهدج:

- تعالى يا أحمد بس خوش جوه وأنا هقولك..

البيت من الداخل يشبه بيوت الريف، أثاث من الكنب وتلفاز قديم
موضوع فوق منضدة، على غرار سن العجوز إلا أن البيت نظيف جداً
وحالته البسيطة تزخر بالجمال النفسي والسلام الذي يعيش به العجوز،
ولوحات من الجرانيت محفورة باليد، معلقة على الحائط، وجوه من
الجلد المدبوغ تشبه الوجوه الحقيقية، وشموع كثيرة موضوعة على المنضدة
ومعلقة على الحائط، وبقايا الشمع متساقطة على الحائط لكن ما حاجته إلى
الشموع والكهرباء بالمكان؟ دوامات من الغموض دارت بعقل أحمد قبل
أن يقول العجوز:

- ده يا أحمد البيت المتواضع بتاعي، وخالد الله يرحمه وصاني
مقولكشي حاجة، أنت هتعرف كل حاجة من الألف للياء. ده

البدرون هتلاقي فيه أوضة في آخر الطرقة، عليها باب حديد،
وادي الأوضة اللي هتنام فيها، أشار العجوز إلى غرفة على مرمى
بصره بجوار باب البيت. ثم إلى القبو الذي يقع خلف الستارة
المقابلة للباب، تداخلت الدوامات برأس الصبي وشهق الغموض
إلى أن أشعل فروة رأسه القرعاء، لم يسأل كعادة ابتدعتها الأيام،
وتباريح الحياة أخذت عقله في مسلكاً أحكامه أن لا تسأل عن أي
شيء، افعل ما تؤمر به، وقل عنه أن هذا ما يمليه عليك قلبك. اتبع
أحمد تعليمات الكهل، أراح حقيته من على عاتقه، وسلك طريق
القبو بعدما أزاح الستارة؛ لينزل إلى باب المعرفة، سلم حديدي
أخذت تفاعلات الصدأ لونه البني وتركت القشور السوداء
تزينه، ودرجاته تكتظ بالغبار، نزل أحمد درج السلم وطبع عليه
آثار أقدامه المحفورة بالغبار؛ ليجد نوراً من الشموع تضيء طريقاً
طويلاً، يبدو أنها عادة يومية يفعلها العجوز من آثار الشموع على
الأرضية والجدران. وكيف لا ينظفها؟ هل حقاً ينتظر أحمد إلى
أن يأتي؟ تنهد ثم نزل إلى القبو، بنهاية الرواق توجد غرفة ذات
باب حديدي كما قال العجوز حولها نظيف جداً على غرار السلم،
يتعجب كلما تمشى بالرواق، تمشى أحمد بحذرٍ إلى أن وصل
للباب، والتف خلفه، لم يجد لا العجوز، ولا عاصم المفتش،
وقف أمام الباب الحديدي، وحاول دفعه ولم يفلح. الباب غريب

جداً كأنها حاوية تحتوي على سبائك ذهب، وأصفاً كثيراً كثيرة من النقود بجانب الأعداد الصحيحة، حاول مرةً أخرى، بلا جدوى. لم يتزحزح الباب قدر عقلة من مكانه، رفق بعينه المتجولة بالمكان غطاءً من الشمع الأحمر على يمين الباب، أزاله بعفويةٍ شديدةٍ قبل أن يفقد أعصابه، تندی جبينه بالعرق عندما ظهرت لوحة أرقام رقمية، الباب موصود بكلمة مرور، تنفس أحمد ثم جلس بجانبها يفكر في كلمة المرور، زفر ثم أسند يديه على الباب؛ لينهض بأفكاره العارية محاولاً اقتحام غرفة الأسرار، أو غرفة مال قارون التي خسفت بها الأرض وأصبحت لا شيء، بدأت الأرقام المميزة تتسلسل إلى عقله. هم بالكتابة ثم أوقفه شيئاً آخرًا، جملة مكتوبة تحت اللوحة (حروف = أرقام) رفع حاجبيه بضجر وأحس بنارٍ أحرقت صدره، ثم تظاهر بعدم الاكتراث، وبدأ بالمحاولة بصوتٍ عالٍ.

ضغط زر تشغيل اللوحة ثم أظهرت له اللوحة أن كلمة المرور تتكون من ستة أرقام وعدد المحاولات ستة، وستوصد الخزانة للأبد.

1996 / 2 / 1

أضاءت بالأحمر وتقلص رقم ستة الموجود بأعلى الشاشة إلى خمسة، علا صدره وهبط بشدةٍ قبض يديه ليسكن قلبه المرتعد من المحاولة القادمة، بابا مواليد 28 / 5 / 1965 سبع أرقام .. هينفع طب ماما.

23 / 12 / 1969 ثمانية كمان، طب مثلاً 05 / 1965 إجمرت الشاشة

وتقلص العدد 12 / 1969

نفس المعطيات تبقى ثلاث محاولات ..

أنا 22 سنة وبابا 52 وماما 49، ست أرقام ولايقة مع بعضها.

524922

تبقى محاولتين وسيوحد الباب، واحتمالاته كلها باءت بالفشل، زفر
ثم ركل الباب الحديدي بشدة قائلاً:

- لا إله إلا الله.. إيه اللي أنت بتعمله فيا ده يا بابا؟

زفر بشدة ثم صعد إلى أعلى؛ ليتنفس هواء الصبح النقي الخالي من
آفات البشر؛ علّه يريح قلبه، استوقفه العجوز عندما رآه يهيم بالانصراف:

- على فين يا أحمد؟

نظر إلى العجوز باقتضاب قائلاً:

- خارج أشم شوية هوا بره..

رويداً رويداً تشعر أن الحلقات الملفوفة حول رقبتك خلقت لها، وأنها
لن تنفرج بل تضيق بمرور الوقت حتى تمزق رقبتك، وتحكم قصبتك
لتختنق، وبالنهاية تفصل رقبتك ليصبح جسدك بلا عنوان.

شدَّ مصطفي الوسادة علَّه يشعر ببعض الدفء منذ أن خطت أقدامه أرض الإغريق هرباً من ذنب الخيانة الذي يشعر به، ولاذ بالفرار وترك صديقه يبكي على حبه وحبه كما يزعم. يتعفن تحت التراب، خنت صديق ولم تَف بعهد أخذته على نفسك، وحتت في قسمك أمام ضميرك، وضيعت كل شيء بلحظة غباء، سيطر عليها قلبك وحده. هرب من يديك صديقاً بنيت طوال عمرك، وإن علم أنك الفاعل سيكون الانتقام والدم هو الحائل بينكما، ولن تحملكما الدنيا سوياً، وصادقتك التي تزعم أنها من أفضل ما حصلت كانت صورية، ورسمك عليهم أنك قاومت الارتباط من سارة، لكن قلبك كان يلفظ بها كل لحظة، لم تكن تلك مقاومة حقيقة، إنما كانت رفضاً مؤقتاً، يسب لك قلبك كلما تنطقه، مقاومتك الحقيقة، تكمن في رفضك بكل مرة، يحاول أحدهم أن يلصق تلك الكلمات بأذنك لكنه الحب وما فعل. يتنهد ويقاوم الدموع ويحبسها ولا تخرج، ينأى بنفسه أن يُسقط بعض الدموع على قتيل كان يربطه به شيء ما، رغم أن فعلتك هي التي أدت إلى هلاكها وفارقت الحياة بأحلامها الوردية بطريقة بشعة، ونهايتك هي القتل على يد يحيى أبيها، أو الشنق تحت رحمة العدالة، شعر بالألم أخيراً والندم وفارقت دمعة عينيه اليسرى، أزال آثارها بسرعة، نعم وقعت أنت ضحية من ضحايا التراياد وانسقت لتعيش طرفاً ثالثاً..

التراياد هو الثلاثي أو المثلث المكتمل الأضلاع الذي يعيشيه معظم الأشخاص بقصص الحب ويهمل به ثالثهما، أنت تحب فتاة تحب غيرك، وغيرك يحبها، وفتاة أخرى تحبه. وهذا القلب وما يفعله، وليست بالمعادلة الصعبة أو المعضلة. فقط قلبان التقيا قبل أن تلتقي أعينهما، وشعرا بهرمونات تفرز بطريقة لم يشاهدها من قبل، ولم ينشغلا بأعباء المستقبل، كل ما يريدانه هو أن تتلامس قلوبهما.

رمى مصطفى الوسادة أرضاً، وضرب بأرجله الغطاء في مرارة، والنقط الهاتف؛ ليساعده أحداً أن يسيل ذاك الجبل الجليدي من فوق صدره:

- ألو، أيوه يا بابا.

اتسعت حدقة منصور وقال بشفاهٍ مرتعشةٍ تبعها صوت مهتدج:

- ألو، أيوه.. مصطفى.. أنت فين يا ابني؟

ابتلع مصطفى ريقه المرير، وقال بنحيب بكائه، شعر أخيراً بالفراق ومرارته وما تخلقه الوحدة من اكتئاب يحطم قلبه:

- أنا بخير يا بابا، الحمد لله، أنا مش عايزك تزعل مني، أنا معرفشي إزاي حصل ده كله؟

قطب منصور جبينه في حيرةٍ قائلاً:

- وأنت مالك ومال الموضوع ده؟ هو إيه الي حصل؟

مسح دموعه وأبعد الهاتف عن مسامعه عندما علا نحيبه، تنهى إلى
مسامع أبيه صوت بكائه المتقطع:

- إيه يا ابني؟

الاستمرار في الكذب بهذه الطريقة ومع ذلك القلب المحطم أمر ثقيل
جداً. لا يريد مصطفى أن يكذب أكثر، لكنه لا يقدر أن يقول أيضاً أنه
خائن، وضع الهاتف مرة أخرى قائلاً:

- يعني عشان سبت سارة في موقف زي ده، بعد ما عرفت إنها
تعبانة. كان لازم أفضل جنبها، وسافرت بره. كان المفروض
أفضل جنبها، احنا برضه ملناش غير بعض. قال منصور مواسياً
الكاذب الذي أوقع قلب أبيه باستدراجه للعاطفة:

- لا يا حبيبي، أنت ملكشي ذنب في الي حصل ده، هي عمرها انتهى
على كدا، وده قدر ربنا متزعلي نفسيك.

ثم أردف بعد صمتٍ ساد لبعض الثواني:

- أنت فين بس يا ابني؟ عمك يحبي تعبنا من ساعة ما أنت مشيت،
وبيسألني عليك.

ارتعد قلبه وزاد الأدرنالين بجسده؛ ليسرع خفقان قلبه ويندي جبينه،
ابتلع غصته ثم قال بثباتٍ:

- لا يا بابا أنا محتاجٍ أغير شوية جو؛ عشان أنا نفسيتي زفت.. متقولشي
لحد بس إن أنا كلمتك، سلام يا بابا، وسلملي على ماما وطمنها.

لا تنهرب عزيزي مصطفى، يومًا ما ستعود وحين تعود لن تكون
خدوشك التي تؤلمك هي أكبر همك، بل جروحًا عميقة ستترك
للتصفي. أصبحت الجدران هي محدثه، يكلم نفسه بين الحين والآخر إنه
انتقم وانتصر لكن بجريمةٍ لا تغفر، مغفرتها الوحيدة أن يكون ماضيًا غير
قابل للذكرى..



وقف طارق بجوار النافذة يمسك بيده اليمنى أوراق القضية،
ويحاول أن يوفق بينهم، وبالأخرى يمسك نصف ورقة مكتوب عليها
شرف المتخفي الذي يذهب لمكتب يحیی خفية ويرحل خفية. بطرقاتٍ
هادئةٍ قرع باب المكتب، جرى نحو المكتب ولملم جميع الأوراق ووضعها
بدرج المكتب قائلاً:

- اتفضل.

بحذائها الأسود ذي الكعب العالي ومعطفها الجملي والشال الأسود وتنورة سوداء أيضاً تحتها جورب شفاف يصل ركبتها، شعر كستنائي ملفوف كعيدان المكرونة تتدلى خصالته لتبرز وجهها الخمري. أقبلت على استحياء ثم جلست بعد ما عرض عليها طارق كعادة أثنى تجلس، وضعت يدها فوق يدها وشدت التنورة؛ لتخفي ركبتها، ثم تنحنحت قائلة:

- أنا نيفين عبدالله. سكرتيرة مكتب يحيى زهران.

ثم أردفت بحزم:

- بص يا حضرة الظابط، أنا عارفة إنك أكيد شاكك في القضية دي من أولها لآخرها، اللي اشتهرت الفترة الأخيرة دي، وأنا هنا عشان أساعدك..

حك جبينه في حيرة قائلاً:

- طيب هتساعديني إزاي؟

أخرجت نيفين بعض الملفات من حقيبتها وأخرجت هاتفها أيضاً:

- دي معظم الصفقات المشبوهة ليحيى زهران، ودي كمان صورة الشخص اللي اسمه شرف لو حضرتك عارفه، التقطها طارق في دهشة اعترته من هذه الفتاة الفاضحة لنواياه وما يريد، أعطته نيفين الهاتف ثم أردفت:

- فيه حاجة كمان يا باشا، أنا شوفت الراجل ده مرتين في المكتب، وشوفته في الأخبار كمان جنبك في كل القواضي بتاعت أحمد خالد وأبوه دي، وشكيت أنه يمكن يكون متورط مع يحيى باشا.

تفاجأ طارق ثانيةً، ما تلك الجراءة التي تتحدث بها نيفين؟ وهل أفكاره كلها مفضوحة؟ يبدو أن هناك في الأمر شيء ما، أو تلك الفتاة مدسوسة من قبل يحيى أو محمود؛ لتفضح أمر طارق، لكن الصورة واضحة. محمود يعمل مع يحيى ويُخفي كل الأدلة التي تقوده إلى يحيى. شرد لبعض الدقائق يفكر ثم نظر إلى نيفين قائلاً:

- طب إيه الي يضميلي إنك مبتلعيش بيا؟

زوت حاجبيها على غرار السؤال المطرق ثم استطربت قائلة:

- يعني أنا غبية للدرجادي، وبعدين حد بيلعب مع الشرطة، المهم يا باشا أنت هتصرف إزاي دلوقتي؟

ابتسم طارق لنيفين ثم قال ممتناً:

- أولاً شكراً على الحاجات الي أنتي عرفتيها لي دي. أنا فعلاً كنت شاكك في الموضوع.. أنتي مش مطلوب منك غير أنك تنقلي أخبار يحيى زهران خطوة بخطوة. وطريقة مقابلتنا أنا هعرفها لك وأنا هراقب شرف ده.. ها قد أتتك الفرصة وكشف الهدف أمامك، هيّا انزع السهم من غمدك؛ ليستقر بالهدف.

ظل طارق يراقب شرف بسيارته السوداء ذات الزجاج الكاحل .
ولاحظ أن الغامض شرف يتردد على بعض الخمارات ليلاً، ويذهب
إلى بيت يحيى بين الآن والآخر، ويجتمع بأحد المناطق المقفرة مع
أتباعه؛ لكي يأخذ القيراط اليومي، ويعطيهم نصيبهم من المخدرات.
المخدرات هي الشيء الخفي الذي يتاجر فيه يحيى زهران، ويتخفى
تحت اسم شركة الاستيراد والتصدير، وتلك هي الطريقة التي يجلب
بها المخدرات من الخارج.

بعد الواحدة منتصف الليل ركب شرف سيارته عائداً من الماخور
الذي يعتاد السهر به، تتبعه طارق بتخفٍ وحذرٍ حتى لا يلمحه شرف؛
ويأخذ حذره ويهرب. السكير الغير واع للطريق ترنحي جفونه بعفويةٍ
وينهض على أصوات السيارات وأضواء الكشافات التي يراها على هيئة
ضباب يغازله، ويلاحقه كلما يعبر من سيارة إلى أخرى، لم يذهب إلى
شقته بل إلى حي أفقر من ذي الذي كان يوزع بضاعته به. ترنح شرف
وهو يفتح باب الشقة، لكنه التف على يد طارق التي استقرت على كتفه،
ثم سلم على أنفه برأسه المليئة بالأفكار؛ ليسجيه أرضاً يحلم بكأس الخمر
بين نهود فتيات الكباريه وأفخاذهن العارية التي كان يداعبها طوال ليله.



كان برد الشتاء يرد على جسد يحيى وضوء الغرفة الخافت يشعره ببعض
الطمأنينة، طرق سيف باب غرفة أبيه ليحاول أخر محاولة، ويجبره بأمر
السرطان المستقر برثيته:

- عم يحيى، إيه الي مصحيك لحد دلوقتي؟ الساعة داخله على اتنين.
وضع يحيى الهاتف بجانبه، ثم أشار إلى سيف ليجلس:
- تعالى.. عمال أتصل بشرف من الساعة تمانية مبردش.

قال بصوتٍ منهكٍ يعكس مدى التعب والإجهاد الذي يلحق به هذه
الأيام بين زواجه الحديث وأعباء العمل بالمجموعة، وتعب أبيه الذي
يتحمل أمر إخفائه بمفرده:

- تلاقيه مشغول في حاجة أو موبايله مفيهوش شبكة..
- أوماً يحيى برأسه ثم ساد الصمت بين الاثنين، يحيى ينظر إلى أركان
غرفته محفوظة الجوانب، وسيف يلف خاتم الزواج على إصبعه في شروذ
ثم لف رقبة بلهفةٍ عندما بدأ يحيى بالتحدث:
- إيه يا سيف مش ناوي تقولي الدكتور قالك إيه؟ وتشيل الهم الي
على صدرك وتحطه عندي.

فرك سيف جبينه ثم تحدث في إعياء:

- كل خير يا بابا. أنت عارف إن ربنا كبير ورحمته كبيرة، الدكتور
عبدالسلام قالي إن أنت عندك..

تنهد ثم أردف:

- سرطان في الرئة، وضروري تروح المستشفى بكرة؛ عشان تبدأ
تأخذ علاج الكيماوي.

ابتسم يحيى وعينيه تعتليها الدموع ثم قال:

- ليه مقولتليش من الأول يا سيف؟ ليه شيلت الهم ده لوحداك؟
ابتلاء ربنا لينا بيكون تخفيف ذنوب أو تخلص حق، وأنا عملت
ذنوب كتير في حياتي، ليه كدا يا سيف؟

انحنى سيف على يديه وقبلها وهو يردد:

- طب يا بابا كنت عايزني أجي أقولك إنك عندك سرطان في الرئة،
وسارة لسه ميتة من يومين، ده يبقى حرام.

ربت يحيى على ظهره بقوة؛ ليشعره بالطمأنينة بعدما شعر بالخفقان
بين ذراعيه.



رمى طارق دلوًا من المياه الباردة على شرف الذي انتفض كأنها أعيد
للحياة مرةً أخرى، أفاق يشهق من برودة المياه، هز شرف رأسه لينزع

قطرات الماء من رأسه ويغمض عينه؛ ليقدر على رؤية الفاعل. كان الخمر مؤثراً على رأسه بشدة، أخذ بعض الوقت إلى أن شعر أنه مقيد بكرسي خشبي كأسير، رفع عينه أخيراً ليرى طارق الذي تحدث بضراوة قائلاً:

- لا لا لا، متعملشي في نفسك كدا يا شرف باشا، معلشي بقى أنا قلبت الشقة على مائة سخنة ملقتشي، حظك وحش بقى في السقعة والبرد ده، أنا مليتلك ثلاث أربع جرادل أهو، هفضل بقى أرش عليك مائة كدا..

نظر شرف إلى دوارق المياه البيضاء التي تقع تحت أرجل طارق، ثم ضم حاجبيه، لكنه قال مرتعداً:

- أنت مين وعازن إيه؟

عوج طارق رقبتة مظهرًا بعض السخرية ليقول متهكماً:

- إيه ده يا شرف أنت متعرفنيش؟! إخسي عليك، طيب أنا يا سيدي الظابط طارق مجدي الي ماسك كل القواضي الي هلبسهالك.

ارتعشت شفتاه بفعل البرد وكلمات طارق، هل عرف ما وظيفة شرف بجانب ذراع يحيى؟ أم عرف أنه هو الذراع اليميني القائم بالأعمال القذرة الذراع القابل للقطع بأخر المطاف عندما تكشف أوراق يحيى ويؤول إلى السقوط؟!!

- يا باشا تلبسني إيه؟ والله ما عملت حاجة، أنا شغال عند يحيى
باشا زي زي أي حد، وعبد المأمور في كل حاجة، ألبس إيه بس
يا باشا؟!

قال طارق:

- أه هي كدا بقى رخامة، ومترعشي كدا يا شرف. أنا يدوب
بهزر معاك بس، قولتلي صحيح عبد المأمور بقى في المخدرات
ولا في القتل؟

ابتلع شرف غصته وتذكر كلمات يحيى عن أخذ الخذر
وعدم التفوه بالكلمات:

- يا باشا قتل ومخدرات إيه بس؟ احنا يدوبك بس في الجمارك
بنخلص الحاجات عشان مندفعشي جمرك وبمنشيها مع الباشا..
محمود بيه رئيس المباحث..

صرخ طارق بضجرٍ بوجه شرف الذي تكور كفرخٍ مبللٍ:

- يعني أنت بتقول إنك كمان عارف محمود باشا، وكمان قتلت يا
شرف.

همهم شرف قائلاً:

- يا باشا قتل إيه بس؟ أنا كانت مهمتي توزيع البضاعة تحت عين
يحيى ومحمود باشا.

قال طارق محاولاً إخراج الكلمات من الفم القذر حتى يكون اتهاماً
ملموساً وحجةً يقيمها على محمود ويحيى زهران:

- يا دوبك فعلاً يا شرف، أيوه أنا ظلمتك ياخي والله. محمود باشا
كان عارف الي بتعمله ده، أنت مظلوم فعلاً أوي لا ده أنت
طلعت وسخ.

قام طارق من على كرسيه وتوجه إلى شرف وتوقه من ياقته ساحباً
مسدسه قائلاً:

- انطق يلاً بدل ما أموتك..

قال شرف وهو ينظر بعين طارق المشتعلتين كالجمر: - يا باشا والله
ما أعرف حاجة.

تركه طارق ثم عاد إلى كرسيه، والتقط دورق المياه وسكبه على
شرف قائلاً:

- الميه حلوة هتغسلك من جوه، تلّوى شرف على كرسيه، ثم
ارتعشت شفتاه ثانية، قال طارق وهو ينفض يديه:

- هاه يا شرف الفجر هياذن، اخلص يَلا يا أبو الأشراف، اتكلم ومتخافشي.

تنهد شرف يترجى طارق أن يتركه:

- يا باشا والله زي ما قولت لحضرتك كدا، أنا معرفشي حاجة.

نفث طارق عن غيظه بزفيرٍ أُخرج من بين أضلعه، لكن قبل أن يتحدث رن هاتفه بنغمة الرسائل، التقط طارق الهاتف وتذكر صورته التي أرسلتها نيفين السكرتيرة إلى هاتف طارق، وتبسم عندما رأى صورة شرف تزين الهاتف، أدار الهاتف إلى شرف ثم قال:

- طب إيه رأيك في الكلام ده؟

قُرِع باب شرف وسمع همسات عدداً من الرجال خلف الباب، صوب طارق مسدسه نحو الباب وفكر في استدراجهم وتثبيتهم، لكن خطته باءت بالفشل؛ ليصرخ شرف بأعلى ما فيه:

- صديق إلحقني يا صديق، في ظابط ماسك المسدس وهيموتي.

أخرجوا سكاكينهم وبدأوا بدفع الباب، نظر طارق إلى شرف ثم أخذ الشباك منفذاً له؛ ليهرب من قضية كادت أن تُحل لولا الظروف.



ظن أحمد عندما يأتي إلى القاهرة أن الحياة ستكون سهلة ومجرد أيام ستقضي على بعضها البعض، وتأني ليالٍ غيرها، ليس هناك تعقيدات أخرى، وقد أتى إلى بيت الحلول وسلاسل المفاتيح؛ ليجد مفتاح لغزه تائهاً بينها. اعتقد أن عقبات الطريق عندما يرتفع عنها قليلاً سيخطو من عليها، وستكون تحت أقدامه وسيتجاوزها ويكمل الطريق. لم يكن يدري أن تلك العقبات جعلت منه لا شيء، مجرد هاوٍ يريد أن يفهم الاحتراف حتى يجاري العالم الخالي من الأحبة والأهل بعد أن ذهبوا وتركوا لي ألغازاً صعبة المنال، حتى بالاستماتة التي عقدت عليها تركوا لي ثأراً معلقاً برقبتي، ذكره فقط يثقل كاهلي، ترك لي أبي خزانة حديدية مقفلة بإحكام كأن وراءها نعيم أبدي.

أمضى أحمد أكثر من عشرين ساعة بجوار الخزانة، وبالشارع يجلس أمام البيت. كانت الساعة تدق الثالثة والربع فجراً، ولم ينم منذ السادسة صباحاً، خرج ليتنفس الصعداء علّها تصعد به إلى السماء، ليرى أبويه، ويترك اللغز إلى أن يُبعث اينشتاين ليحلّه، التفت في هدوءٍ إلى أحد الشرفات الهادئة ذات النور الخافت ليرى عجوزاً تحتسي كوباً من الشاي، وتعتقد على ذراعيها لحافاً بنياً، خرجت طفلة صغيرة بشعرها المنعكش وعينيها المتكحلتين بالنعاس، التقطتها جدتها على رجليها، وكانوا قريبين جداً؛ لسمع أحمد حديثهما.

- هو بابا لسه مجاش يا تيتا؟

قبلت العجوز رأسها ثم قالت مبتسمة:

- لسه مجاش يا حبييتي، أنا مستنياه أهو على ما يجي. أنتي إيه الي مصحكي؟

قالت الصغيرة:

- أنا روحت الحمام، بعدين لقيت الباب بتاع الأوضة بتاعك مفتوح فخشيت ملقتكيش.. أنا حفظت ألف باء صم، أسمعهم ملك؟

ضحك أحمد ثم أنزل رأسه أرضاً ليفكر في المعضلة، لكن الفتاة كانت لغزاً هي الأخرى، وربما ساقه القدر إلى هنا.

حروف - أرقام، والفتاة تعد على يديها حروف الهجاء، يمكن أن تُقلب كلمة معينة إلى أرقام، أول ما جال بباله الشموع التي بكل الأماكن، شمعة يرسمها بصغره وأخرى يعلقها أبوه بصالة البيت، المحامي يعطيه ظرفاً مغلفاً بالشمع الأحمر، واللغز بجانب متحف الشمع والعجوز بيته مليء بالشموع والرواق أيضاً، وعلى اللوحة كان الشمع أيضاً يغلفها، انتفض من مكانه وهرب إلى القبو بدون أن يطرق باب البيت، وجد العجوز يشعل الشموع على جدار البيت، ويجهز فرشته؛ ليغدو بالنوم،

بدأ يفكر وأصبح مجال التفكير بطيئًا، وتلاشت الحلول قبل أن يتذكرها،
تنفس ببطءٍ ثم تذكر تلك اللوحة:

- إيه اللي في الصورة ده؟

- دي يا أحمد رسمة لواحد أجنبي كبير، راسم فيها شمعة بتنور
وبيقول إن الشمعة دي أحمد والحبل بتاعها ماما، والنار اللي
بتولع وتنور دي هي بابا، يعني كلنا لازم نبقى مع بعض عشان
نقدر نعيش.

تحدث بصوتٍ عالٍ وبدأ يفكر مليًا في محاولاته الأخيرة:

- يعني مثلاً الحروف بتتحول لأرقام زي ما بابا قايل تحت اللوحة،
بس اشمعنا الشمع يعني؟ أنا والمحامي والبيت ومتحف
الشمع، يالا.

زفر ثم بدأ بالعد على أصابعه أحرف الهجاء حتى لا يضيع آخر
محاولاته الأخيرة هباءًا:

- الشين الحرف الاتناشر، والعين الحرف السبعناشر، والميم الحرف
الثلاثة وعشرين، طيب لو جمعناهم يبقى اتنين وخمسين عمر
بابا. بدأ بالكتابة وكان رقم اتنين يظهر بأعلى الشاشة معلناً آخر
المحاولات 73112.

تنهد وأخذ صدره يعلو ويهبط، ثم حبس أنفاسه قبل أن يكتب آخر أرقامه وتغلق أو تفتح، ارتعشت يدها قبل أن يكتب 1

تلونت اللوحة بالأخضر لتعلن الجنة عن فتح بابها. اقترب أحمد من الباب ودفعه بقوة، كان الباب الحديدي ثقيلاً جداً إلى أن نجح أحمد بدفعه ليكشف ما خلفه، أضواء نور الغرفة ليعلن مصباح قديم عن نفسه ويضيئها، خلف الباب تقبع غرفة متوسطة الحجم تعقد العناكب بها بيوتها، وتتخذ الفئران من جحورها أوقاراً لها، ويغطي التراب الكثيف محتويات الكراتين، ألواح عتيقة تشبه الموجودة بصالة العجوز، وبعض وجوه الأشخاص معلقة على الحائط، وأدوات معملية يترسب التراب بقاعها وعلى فوهتها، وقارورات زرقاء وحمراء وتفاعلات كيميائية منذ بداية الخليقة وآثار حريق يشبع جدران الأنابيب، أشار اهتمامه صندوق خشبي موضوع على المنضدة بوسط الغرفة محاط بشموع مطفئة، دائرة وسطها الصندوق، المشهد أشبه بالأفلام الخيالية، اقترب أحمد من الصندوق ونفض الغبار ليجد ورقة بيضاء مكتوب بها:

- (افتح يا بطل).

كان هناك بعض الصور التي تحوي خالد وجورج وسلوى وفتيات وفتيان بملابس كلاسيكية، وعلامة حمراء فوق فتاة تقف بجانب

سلوى، أدار الصورة ومسح الغبار من على خلفيتها البيضاء ثم وجد مكتوب بها مريم، لم يكتثر كثيراً ثم وضع الصور والتقط ورقة مكتوبة بخط الأيدي.

«إزيك يا بطل؟ أتمنى نكون مع بعض وأنت بتقرأ الرسالة دي، فشده حيلك كدا وخليك جامد للآخر، احنا كنا عايشين هنا، وكان الحوش الكبير الي أنت شايفه مهدود، ده قبل ما تنتقل إسكندرية، أنا وأمك وعمك جورج ومراته، اتجوزنا أنا وأمك هنا، وعمك جورج، جورج ده يبقى عمك في الحقيقة واسمه علي، أنا عارف إنك متحير، بس اسمع للآخر، كان زمان فيه مشاكل بينا وبين عيلة كبيرة هنا، العيلة دي كانت بتاجر في نفس الحاجة الي كنا بتتاجر فيها، وأمك مكانتش تعرف إن احنا في مشاكل بينا. المهم حصل خناقة كبيرة واضطرينا أنا وعمك جورج نهرب، في يوم كنا قاعدين أنا وأمك بالليل. طرق باب الغرفة طرقات خفيفة، قال علي بصوتٍ متهدج:

- أنا علي يا خالد.

نظر إلى سلوى ثم فتح الباب بعد ما غطت شعرها واعتدلت بجلستها:

- تعالى يا علي.

فتح علي الباب وعلامات اليأس والإحباط تتخلل صدره، وتظهر
جليًا على سحنه الداكنة جلس ثم بدأ بالبكاء قائلاً:

- مريم ماتت.

عرفنا بعدها إن مريم ماتت وهي بتولد بنت عمك، احنا أساسًا كنا
بنحضر للهرب، مكنشي موضوع ضرب البطايق ده سهل زمان، كان الي
شغال إنك ممكن تعيش ببطاقة واحد ميت ومش مطلع شهادة وفاة، أو
واحد مسافر وسايب بطاقته ومحدث يعرف عنه حاجة، والبطايق زمان
كانت ورق مش زي دلوقتي يعني تضربها بسهولة بس عايضة حرفنة،
حظنا كان وحش لقينا بطاقة واحدة لواحد مسلم اسمه خالد غنيم كان
أصغر مني بخمس سنين مخطوف من شارع في الأزبكية، بقاله أربع
شهور ومحدث يعرف عنه حاجة، الديمتری الي جبلنا البطايق عرف
يصرفها، وواحد مسيحي كان مسافر بره ومرجعش اسمه جورج مقطوع
من شجرة، وزور بطاقة لأمك وكتبها في البطاقة العائلية، وطلعنا شهاد
ميلاد ليك ولبنت عمك على الأسماء الجديدة.

ازداد العرق على جبين أحمد وارتفع حاجبيه؛ ليعلنوا عن صدمة
ستحرق رأسه، مسح بيده المتربة عرقه المندي لترك آثارًا من الغبار
مطبوعة على جبينه.

أكمل أحمد قراءة الورقة

مريم بنت علي دي تبقى كريستين يا أحمد، وطبعًا أنت هتقول ما مريم يمشي مسيحي ومسلم، بس البطاقة بتاعت جورج دي كان مكتوب فيها كريستين، حافظ عليها يا أحمد، دي بتحبك. أنا كتبت الرسالة دي لما قولتلك هروح البلد يومين ثلاثة، خلي بالك من بنت عمك، العيلة الكبيرة دي يا أحمد هي الي ممكن تكون السبب في ده كله، خلي بالك من مريم يا أحمد وعلى فكرة أنا اسمي خالد برضه بس خالد أحمد الصاوي.»

وضع أحمد الرسالة وجلس بعفوية على الأرض يللملم تشتت أفكاره ومعلومات قصص ألف ليلة وليلة، ولكنها ليست ألفًا بل عمرًا انقضى على أكاذيب ظن أنها حقيقة، جلس القرفصاء ولملم أطرافه المرتعدة وقلبه الخافق بشدة، يكاد يزعر من شدة الخوف الذي حل به، زاد الحمل حملين وأتى ليعرف حقيقة لم تخفف عن كاهله بل قسمت ظهره. لو لم يكن أبوه هو القائل لما كان يصدق، وكل الصدف التي حصلت مدبرة لأجل شيء سيحدث في المستقبل، وقد حدث وجاء وقت البطل ليكون عنكبوتًا ينسج خيوط المستقبل.

صعد إلى غرفته بعدما أذن الفجر ليهدي من روعه قليلًا، وجد العجوز يرتكس على كرسيه ويصلي ويهتز مع كلمات الفاتحة التي يهمس

بها بصوتٍ مسموع، دلف إلى الغرفة وأفرغ محتويات حقبيته يرتبها في خزانته المتهالكة، والتساؤلات غير معروفة الإجابة تلوح بعقله كأنها أمر الروح لا يعلمها غير الله، أفرغ محتويات جيوب الحقيقة، وأخرج الظرف الأبيض المبعوث له من الطبيب عبدالله، ونظر له متهمًا، ولحسن حظه كان رقم الضابط طارق بكارت موضوع على الفراش.

التقط أحمد الكارت وسجل الرقم على هاتفه، وصور محتويات الظرف والكلام المكتوب بظهره ثم أرسلها لطارق عن طريق الواتس آب، وسجل تسجيل صوتي:

- أبوة يا حضرة الضابط، أنا أحمد، أنا جتلي الرسالة دي البيت..



تأخرت الراهبات بالصلاة هذا اليوم، وخرجوا من بهو الصلاة في الحادية عشر صباحًا، لم تعد الراهبات أن يتأخرن عن موعد الخروج، فمواعيد الصلاة والخروج عسكرية، ومنذ أن خطت أقدامها الكنسية وهي معتادة على النظام والانضباط بالمواعيد، لكن لا بأس جلست كريستين برفقة إيلين التي زادت علامات التوتر عليها والاستجعال بمعرفة حقائق كريستين قبل أن تكون منبوذة وتطرد خارج أسوار الكنيسة، المدة ستتقضي ولم تصل إيلين إلى أي شيء، لاحظت كريستين

علامات القلق على إيلين فلعبت دور المحققة ورمت الطعام إلى الفريسة التي التهمته بغباءٍ وشراسةٍ شديدين لتختبرها. فمن الممكن أن تكون ميرانا عاملة النظافة كاذبة وتسعى إلى هدم العلاقة التي بينهما، نعم تيريز سيدة الراهبات تعاملها باقتضابٍ واحتقارٍ ولا تريد لها أن تتزوج من بيتر، قطعتها إيلين وهي تلقي لها بالجريدة:

- قريتي خبر انتحار سارة زهران بنت رجل الأعمال.

نظرت كريستين باهتمامٍ وهاجسٍ من الخوف تملكها، هي سارة حبيبة أحمد انتحرت، ارتعد قلبها على أحمد ثم حركت عينها بين السطور؛ لتربت على قلبها بعدما تأكدت أنه لم يصبه مكروه.

وضعت كريستين الجريدة جانباً وقضبت جبينها كفتيات السينما وتلونن، هزت رأسها وهي ترمق بنظرها حصوات الحديقة وتلاعبها بحذائها، رمت الطعام وبدأت تستدرج إيلين:

- مالك يا كريستين؟

قالت كريستين بنفس الأداء المسرحي:

- مفيش، كل ما أفكر الي حصل زمان قبل ما أجي هنا أزعل ويصعب عليا نفسي.

اتسعت حدقة عين الموكلة بتقصي حقائق كريستين الغامضة ثم
كبحت جماحها:

- أنا المفروض كنت فضلت جنب أُمِّي ومهر بشي وأسببها بتموت
في الظروف دي، المفروض مكنتش أعمل كدا.

استطقتها إيلين لتكمل سرد قصتها التي فيها خلاصها من أيدي تيريز.

- بابا اتزنق في فلوس كثير، كان المفروض يعملها عملية عشان تخف
واستلف فلوس كثير، ولما معرفشي يسددها بيعونا كل حاجة
والشقة، فسبنا وهرب؛ لأنه كان هيتسجن، فالناس جم ياخدوني
رهينة وحاصروا البيت، فالجيران هربوني وبعديها جيت على هنا..

ضمت إيلين كريستين بقوةٍ إلى صدرها وابتسمت خلف رأسها
ابتسامةً مأكرةً، فقد أعطتها كريستين ما تريد ولم تكثرث إلى عدد المرات
التي رفضت بها كريستين الحديث عن ذلك، أما عن الداهية التي أعدت
لها الطعم في الثلاث وجبات وأطعمته لها بمذاق طبّاخٍ ماهرٍ قد طهاه بأدق
الوصفات، وهو يعرف آراء المتذوقين.

وعرفت أنها صدقت ما حكّت.

خرجت الراهبات وافترقت الفتيات كلّاً إلى عمله بين المطبخ وبهو
الكنيسة ومكان الصلاة. أما كريستين فاتجهت إلى الحديقة تسقي أزهارها

وتقص أغصان الأشجار الكثيفة وترسم بعضها، وتساعد عامل الحديقة برسم بعضها على هيئة دوائر وصلبان. اقترب بيتر من كريستين المبتلة ملابسها بالماء ويدها الملطختين بالطين، تفاجأت عندما رآته أمامها يلقي عليها التحية الصباحية، ارتبكت كريستين وحطت المقص أرضاً ومسحت يديها المتسختين بجانب تنورتها الزرقاء، قال بيتر:

- صباح الخير.

ابتسمت قائلةً:

- صباح الخير يا بيتر.

ضم حاجبيه بضجرٍ لم يكن بالشديد ثم قال:

- أنتي مش هتبطلِي شغل وتروحي تحبي حاجات الفرح.

قالت ممقطة عملها الذي يشغلها طوال فترات اليوم:

- مش عارفة أمشي يا بيتر، حملة التنظيف اللي بعد الأعياد دي واخدة الوقت كله.

عقد بيتر حاجبيه ولكن هذه المرة تملكه الغضب:

- اعملي أجازة التلات أيام دول، وانزلي هاتي اللي أنتي عايزاه، ملكيش دعوة.

أومأت متفمهةً ثم قالت بعينٍ تَلَأَّت لأول مرةٍ بريقٍ لم يعهده ولم
يره بيتر:

- أنا مش عايزة أعملك مشاكل يا بيتر، أنا خايفة عليك، أنا هخلص
الشغل وأروح استأذن من الأم تيريز.

أحس بيتر بحنين كريستين الذي أطلق العنان لقلبه يرفرف بين
أضله، فمسكها من ذراعها بهدوءٍ وقال:

- متستأذنيش من حد، روعي هاتي الي أنتي عايزاه، ولو حد كلمك
قولي بيتر الي قايلي.

تحركت إيلين خلسةً بين الفتيات كما اعتادت أن تراقب كريستين،
وتسللت إلى تيريز لتخبرها عن تحركات كريستين، كانت تيريز بقاعة
الخزانات تستلم مراتب جديدة وملابس لفتيات الكاتدرائية، انتظرت إلى
أن انصرف العمال ثم اقتربت بابتسامةٍ أفرجت عن نواجذها قائلةً:

- البت هربانة، أبوها كان مستلف فلوس من الناس ولما معرفشي
يسددها هرب، والناس خدت بنته رهينة بس الجيران هربوها..

أومأت لها برأسها وأشارت لها بالانصراف، ثم حركت أقدامها
فوراً إلى الحديقة تلتقط أنفاسها المتهدجة من كلمات إيلين. وتدور
التساؤلات لتستهلك تلك الأنفاس، اقتربت من الجلوسة على السور

المحيط بالأزهار، قامت بسرعةٍ عندما رأتها قادمة والتقطت الإبريق ثم
حدجتها الراهبة قائلةً:

- مبتشغليش ليه يا كريستين؟ أنتي مش عارفة إن احنا اليومين دول
مضغوطين ولازم نشغل.

التقطت الإبريق وقالت متأسفةً:

- أنا أسفة حضرتك. بيوتر كان عايزني في حاجة ومشي.

قالت تيريز متسائلة:

- هو أنتي كتي قولتيلي أبوكي عمل إيه؟

ابتسمت من الداخل، لكنها أبقت على تلك الابتسامة بتعبيراتٍ
مجحفةٍ:

- أنا مقولتش حاجة.

أوقعتها كريستين بحذاقتها برسم المصيدة للفئران، احمر وجه تيريز
قبل أن تهمهم قائلةً:

- دي ماريا هي اللي كانت عايزة فلوس عشان أبوها.

ثم أردفت:

- كملي شغللك.

أجهزت كريستين الآن على أعدائها، وربطت أعناقهم بحبل المشنقة الملفوف حول يديها بعدما حولت الراهبة الغبية أمراً كان خفياً إلى فضيحة علمتها كريستين، كيف من الأساس تتطرق الراهبة إلى أمر كهذا؟ وهي تكرس حياتها لعبادة الرب ومفارقة الأمور الدنيوية وترك ما هي موكلة بعمله.

بلهاء لدرجة الشفقة.

أخيراً انقضى العمل الروتيني بين أسوار الكنيسة، ودلفت كريستين تسبق إيلين التي لم تنتهِ بعد من إنهاء عملها، التقطت هاتفها في غير اهتمام تتسلى ببعض الألعاب حتى تعود إيلين ويتناولوا غذائهم، وجدت 3 مكالمات فائتة من رقم غريب يبدو أنه أحمد، فوراً هاتفته لكن آملها تبددت حين أخبرها الصوت النسائي المعتاد أن الرقم غير متاح، تعكر صفوها أكثر ورمت هاتفها بجواره وأغمضت عينها حين عودة إيلين، رن الهاتف بنغمة الرسائل فالتقطته ظناً أن الرسالة تقول أن الرقم أصبح متاحاً ويمكنها الاتصال به، لكن حدث أروع من ذلك، فتحت كريستين الرسالة النصية لتجد أن أحمد بعث لها رسالة:

«إزيك يا كريستين؟ أنا أحمد. حاولت أتصل بيكي كثير النهارده، وأنتي مردتيش، عالعموم أنا عايز أشوفك، فيه كلام كثير عايز أقولهولك

ومش هينفع في الموبائل، أنا شوفتك في كنيسة في حلوان، وعرفت إنك في كنيسة في العباسية، أنا عايز أشوفك ضروري...».

ابتسمت كريستين وحركت أصابعها الرقيقة بين المفاتيح على شاشته البيضاء:

«مش هينفع أقابلك يا أحمد، هم شاكين فيا في الكنيسة اليومين دول.. فأنا لو عرفت أخلع هقابلك...».

ابتسمت من قلبها بدلاً من الابتسامات المصطنعة التي تعيشها وتطبعها على ثغرها، الآن بيتر تعلق بها ويحبها من بين طيات أضلعه والضلع الثالث والأوحد استيقظ ليعلن عنه نفسه..

تراياداً آخرًا قد خلق هنا..

هدأ بيت الأسرار واتخذ أحمد من السرير مسجىً وغلبه السهاد والأرق، ولم تنطبق جفونه طوال الليل. كانت الشمس متعامدة على الأرض والواحدة ظهرًا قد دخلت، دخل عاصم غرفة أحمد؛ ليجده يقلب في هاتفه الخلوي منتظرًا أن يأتي عاصم بمعطفه الجملي وقلنسوته الغربية ويخبره أن ما رآه حقيقة، عاصم الملتزم بمواعيده والمنسق بملابسه الأنيقة جدًا قليل الكلام، أشعل عاصم مصباح الغرفة، لم ينظر له أحمد ثم تابع عاصم تحركه في الغرفة ليفتح شباك الغرفة قائلاً:

- يا لا يا أحمد عشان تفطر، أنا جبتلك الأكل.

همَّ أحمد من على فراشه بملابسه التي كان يرتديها البارحة، لحق أحمد عاصم إلى الصالة حيث العجوز بعبائته الرمادية وعصاته السوداء مكونة

بحانب كرسية الخشبي الذي كان يؤدي صلاته عليه. أشار العجوز إلى أحمد أن يقترب؛ ليتناول الطعام، فطوراً مصرّياً عادياً، نصيب الزيت من الفول والفلفل القدر الأكبر من الطعام، وبعض العيش الطازج ورائحته التي جعلت تقلصات معدة أحمد تزداد، همّ بالجلوس بجانب العجوز على الأريكة، ثم ترك لقمة العيش ونظر إلى عاصم والعجوز قائلاً:

- بجد، قبل ما أكل أنا عايز أفهم إيه الي حصل امبارح؟ وأنتو تعرفوني؟ وأبويا يعرفكوا مين؟

قال عاصم مازحاً لكن تعبيرات أحمد لم تتغير كثيراً.

وظل يحرق بهما بنظرات متتابعة:

- يا عم افطر الأول، مش هنحطلك حاجة في الأكل، صمت أحمد ولم يجب على عاصم، وأشاح بوجهه إلى العجوز الذي تحدث بصوته المتهدج:

- طب يا أحمد، أنا جدك يا أحمد والراجل ده قريبك وكان شغال مع أبوك من وهو صغير لما كان قدك كدا..

عقد حاجبيه أكثر ثم قال بعباراتٍ مضنيةٍ ووجهٍ عابسٍ:

- جدي، جدي إزاي يعني؟ وفينك من زمان؟ ومساعد أبويا مين؟

قال العجوز:

- احنا كنا زمان هنا، وكنا شغالين في التجارة وحصل خناقة بينا وبين عيلة كبيرة، زمان كانوا هم المنافسين بتوعنا في السوق، العيلة دي كانوا ميقدروش يعدوا السور الكبير اللي أنت شايفه ده اللي قلبوه مقلب زبالة. المهم حصل خناقة بين عيلتين هنا، واحنا بعدنا عن المشاكل وكنا الطرف الثالث في الخناقة، اتقدم فينا بلاغ والبوليس جه هنا، فاضطر أبوك وعمك إنهم يهربوا ولحد دلوقتي محدش من أهل الحي بيتكلم، واللي احنا قاعدين فيه ده كان مخزن قديم جنب البيت.

قالها وعينه تذرف دموعاً على ولديه المقتولين، لم يهتم أحمد إلى الدموع، زفر قائلاً:

- هربوا من إيه بقي؟ وكانوا بيتاجروا فيه إيه؟

تلعثم العجوز قائلاً:

- كانوا بيتاجروا...

قاطعها أحمد عندما رأى همهمات العجوز بعبارات صارمة:

- في السلاح، في المخدرات.

قال عاصم بحنقٍ شديدٍ:

- في الأسمت يا أحمد، حلوان مشهورة بالأسمت بس جدك مش فاكِر، ده راجل كبير.

ضحك متساخرًا ثم أغلق ذاك الموضوع، ونظر إلى العجوز بنظرة امتنانٍ:

- وأنت فعلاً جدي ولا بتضحك عليا؟

ابتسم العجوز ولمعت عيناه بالدموع كيეقبوب عندما رأى يوسف، لكن أحمد كان في غيابات يعلمها العجوز:

- جدك يا أحمد.

ابتسم أحمد وتغيرت بعض التعابير للارتياح نوعاً ما:

- واسم حضرتك إيه؟

قال العجوز:

- أحمد.



تناولوا الإفطار واحتسوا الشاي كعادة مصرية ورثوها عن الأجداد،

ثم تبع أحمد عاصم إلى القبو، كان النوم قد غلبه بهذا الوقت، وتملك

الصداع منتصف رأسه وجبهته واستسلمت عيناه وجاعت للنوم، تحامل على نفسه ولحق عاصم، أزال عاصم الغطاء من على معدات الغرفة ونفض التراب بخرقةٍ متهالكةٍ عن اللوحات، ثم نفض يديه وخلع معطف المفتشين، وقال معلقاً عيناه بين جنبات الغرفة:

- أبوك هو الوحيد اللي كان بيعرف يرسم وشوش الناس على الجلود بحرفة كذا زي ما أنت شايف، وشوش طباط ورجال أعمال وناس كبار وناس استخدمناها في الشغل، ضحك متهكماً:
- قد إيه تجارة الأسمنت دي صعبة، مخدرات ولا سلاح؟

قال عاصم:

- مخدرات يا أحمد... متعرفشي جدك إنك عرفت.. أبوك كان رسام زيك زمان، وعلى فكرة أبوك كان حاسس إنه هيموت، وأنا جيتله الإسكندرية بعد ما عمك علي طلع من السجن؛ عشان أحذره إنه يجي.
- تذكر أحمد ذاك اليوم الذي أتى فيه رجل إلى البيت وفتح والده الباب، ثم أغلقه بسرعةٍ وتغيرت تعابيرهُ، ثم أردف:

- أبوك كان بقى بيعرف يعمل حاجات معينة، كنت أنا بخلطها معاه بمقادير معينة من شمع بس خام بقى وصمغ كمان وحنة حاجات كذا هتعرفها، ويالا بقى شوف بقى هتاخذ حقك إزاي؟

أوماً أحمد ثم وقف ليتنبه إلى حديث عاصم:

- أهم حاجة لازم تعرف ترسم بورتريه في وقت قياسي قبل ما الشمع ينشف وأنت وشطارتك.

علا رنين عاصم برقم ضابط شرطة حلوان، أشار إلى أحمد.

ثم قال الضابط:

- إيه يا باشا فينك كدا؟

تنهد ثم قال:

- موجود يا باشا.

- فاكّر الواد الي أنت جيت خدته من هنا، فيه حبة ظباط من

إسكندرية حبايي سألوني عليه، وقالولي إنها خدمة لواحد اسمه

«سيف زهران».

أبعد الهاتف عن آذانه، ثم وضع كفه على السّاعة وحدث أحمد:

- تعرف حد اسمه سيف زهران؟

أوماً برأسه في ضيقٍ، قال عاصم للضابط:

- ماشي يا باشا، إديلوه رقمي وخليه يكلمني.

أغلق عاصم الهاتف ثم عاد لاستكمال حديثه مع أحمد.

- أنا قدامي قد إيه على النحت ده؟ أنا بعرف أرسم حلو على فكرة.

أشار بيده مستطرقاً حديثه ثم قال:

- والله أنت وشطارتك يا عم الفنان..

فلتستعد الآن ولتسن سيوفك استعداداً لإراقة الدماء وإضافة بعض الأحمر إلى صفوها الساذج.



هاك القلب مجروحاً والدموع كالسيول والجسد مهشمٌ والكلمات
تفاقم الجروح، جروح تتبعها معاناة، آهات لم تنقطع عن لساني منذ رحيل
قرة عيني وابنتي سارة. وانتهى بي المطاف بين مجموعة من الأجهزة ترصد
نبضاتي المتبقية وتحسب الوقت الراهن الذي تبقى لي على سطح الأرض
قبل أن أستقر ببطنها، أصبحت أيامي معدودة، وتراودني أعمالي كثيراً،
وذنوبي التي اقترفتها، والبشر الذين لاقوا مني الكثير، أراهم مصطفىين
كلّاً يمسك بيده كتابا يحتج به علي، ليست الدنيا قاضية ولن تمهلك الكثير
يا يحيى عليك الإسراع في تخفيف أعمالك.

أنى الطبيب المختص بحالة يحيى بعدما تم نقله صباح هذا اليوم، وتم
تلقينه أول عبوة من العلاج استعداداً للشرع بالعمل، كان الطبيب هشام
رئيس المستشفى وزميل يحيى الذى كان سيجري العملية الغير مشروعة

لسارة يقف بجانب طبيب الأورام، نظر هشام إلى دفتر متابعة يحيى ليبدأ أول يوم في رحلة علاج يحيى:

- إيه الأخبار يا يحيى باشا؟

قال يحيى في إعياء:

- تمام يا دكتور هشام طمني.

قال وهو يشيح بوجهه إلى صديقه:

- خير إن شاء الله يا باشا. الدكاترة هنا على أعلى مستوى وهيهتموا بيك. وأنا هتابع الحالة إن شاء الله بنفسى..

- إيه الأخبار يا دكتورنا هنبداً من النهارده؟

قال الطبيب:

- بإذن الله يا دكتور. خدنا عينات الدم النهارده وعملنا إكس راي على الرئة والإشاعات اللازمة لباقي المناطق في الجسم، وبعتنا العينات المعمل وشخصنا تشخيص مبدئي كدا للحالة.

قال هشام:

- تمام يا دكتور، هنسيبك تستريح شوية كدا.

خرج الأطباء ودخل بعدهم سيف وريهام حاملين بعض الشنط والطعام. ابتسم سيف كالعادة بوجه أبيه ثم قال:

- إيه يا عم يحبي أخبار معاليك إيه؟ وشوية الدكاترة دول قالوك إيه؟

أوما برأسه ثم قال سيف علّه بيعث بجسده المتهالك بعض الفرح:

- اتصلت بأحمد دلوقتي، هو في حلون ولما كلمته وحكيتله اللي

حصل وإنك عايز تشوفه طلع جدع، وقالي إنه هيركب النهارده،

وهيكون على الساعة تسعة هنا..



مش هتقولي الحقيقة يا جدي؟ ده بيقولوا أعز الولد ولد الولد.

ربت العجوز على ظهر أحمد ثم قال:

- والله يعلم ربنا يا أحمد، أنا اشتقتلك قد إيه؟ أنت وبنت عمك..

ده أنا اتحرمت أشوف ولادي طول عمري عشان الظروف ومش

هسيبكم تضيعوا من أيدي تاني والحقيقة يا أحمد هتعرفها لوحداك

ثم أردف متسائلاً:

- رايح على فين؟

- رايح على إسكندرية كدا هخلص حبة حاجات ليها علاقة

بالجامعة، وارجع مش هبات يعني على الفجر كدا هكون هنا.

ثم رن هاتفه بتسجيل صوتي على الواتس آب:

- «أيوه يا أحمد أنا كريستين أنا رايحة مول طلعت حرب هأقابلك هناك حالاً».

قبل رأس جده ثم همّ بالانصراف ليقابل كريستين أو مريم الاسم الجديد الذي طرأ مؤخراً، سمع نداء العجوز عليه، فاستدار.

- دور على بنت عمك يا أحمد.

ابتسم أحمد محرّكاً رأسه بالإيجاب، ثم حى جده واستأذن بالانصراف.



يومان فقط وستكونين بعداد الموت يا كريستين، الزواج من بتر واستكمال الحياة بهذه الطريقة كحكم الإعدام، ليس لأنها ستزوج من شخص لا تحبه، بل إنها مجبرة حرفياً على ذلك، واستغلوا ظروفها واحتياجها الشديد وجعلوا منها سلعة رخيصة، ثمنها بخس بل ليست تقدر بالمال، ثمنها السلطة والتحكم، وترويج تلك السلعة محدود فلا يهم أن يعلم الجميع.

ربما يحمل أحمد بصيصاً من الأمل وطوق النجاة بالكلمات لا بالفعل، هي تريد أن تحيا حياة طبيعية ربما فعلت هذا بإرادتها، لكن لم يترك لها أحمد مخرج غيره. كانت كريستين وإيلين توأمها الملتصق بأمر من تيريز

تلازم كريستين كظلهما، عندما اعتلوا السلم الكهربى ليصعدوا إلى
محلات الفتيات بالدور الثانى، المكان كان يزج بالفتيات ومحلات الملابس
بالأخص يتوافد عليها الفتيات، استغلت كريستين انشغال إيلين مع أحد
البائعات وانسحبت بهدوءٍ شديدٍ:

- ألو يا أحمد أنت فىن؟

- أنا قدام ماركة نايك أهو.

- طب تمام أنا جايلك دلوقتى.

الوحيدة التى أحببته بصدقٍ وقدرت ما ينبض به القلب، ولم تتخاذل
تقف هناك، نعم أعلم أن سارة أحببته وبصدقٍ أيضاً لكن إخلاص
كريستين بمثل هذه الظروف ولهفتها لمقابلته يعكس مدى الحب الذى
تكنه لى بقلبهما، رغم القيود التى حطمتها، جعلت من الطريق سهلاً،
قلبك يعشق فلم يعلم ماذا يصنع؟

- إزيك يا مريم؟

لامس الصوت قلبها لكن الاسم كان غريباً نوعاً ما، استدارت
بشجن العشق وحنين الماضى الذى لاشى ما حدث، فحجم الاشتياق
يقتل مسببات الفراق، من مريم تلك؟ قالت متسائلةً:

- أحمد.

احتفظت بطاقتها واشتياقها بداخلها، فقد تغيرت كثيراً مؤخراً، وأصبح العقل هو المحرك لمعظم أمورها ولا تحكم قلبها إلا عندما يتعلق الأمر بالماضي؛ لأن ما فات صعب اتخاذ القرار به:

- مريم؟ مريم مين يا أحمد؟ أنا كريستين.

جذبها من ساعدها كأول مرة تتلامس أيديهما منذ نعمة أظافرها، الأمر بالنسبة لأحمد اعتيادي، أما كريستين فلأول مرة تشعر باهتمام حتى وإن أتى على غير الحاجة، انسحبوا عن الأنظار ثم قال بحزم شديد:

- أنا وأنتي يا كريستين ولاد عم، وأنتي اسمك مريم.

قطبت جبينها في تعجب وضجر ثم قالت:

- إيه يا أحمد الكلام اللي أنت بتقوله ده؟! ولاد عم إزاي يعني؟

تابع أحمد حديثه بعد أن أفلت ذراعها:

- أه والله أنا مكتتش مصدق زيك كدا، أهلنا كانوا عايشين هنا في

القاهرة زمان، وحصل عاركة وهم سافروا لإسكندرية وغيروا

البطايق بتاعتهم، وأنتي أبو كي اسمه علي ويبقى أخو بابا، أنتي

مسألتيش نفسك إزاي كنتي بتبقي عندنا أكثر الأيام وداياً قاعدة

عندنا مع اختلاف الأديان، وأنتي مسيحية واحنا مسلمين.

مسألتيش نفسك فين صور والدتك الي عمرك ماشوفتيها.. احنا لازم نكون مع بعض يا كريستين..

هزت رأسها بضجرٍ وامتلاّت عينها بالدموع من حديثه الغريب والقريب إلى قلبها، لكن ترفضه بشدة ويصعب عليها قبول هذا الأمر.

- يا أحمد الكلام ده غلط. أنا كريستين وأنا مسيحية وهفضل طول عمري كدا.

- طب است..

قاطعته قائلةً:

- أنا هتجوز كمان يومين يا أحمد.

احمرّ وجه الأخير وتبددت كل أمانيه وخذل جده في محاولته لإيجاد ابنة عمه.

- مبروك يا مريم بلاش كريستين دي.. ده العنوان لو عوزتي حاجة، تعالي إعرفي إني مبكدبشي عليكى وأنا هنا عشانك مش أكثر.

أشاحت بوجهها للجهة الأخرى مصدومة وتملأ الحيرة لفائف عقلها، وتهوي بالماضي إلى حيث الوادع ثم ما حدث الآن يرسخ لها تساؤلات تنضح بها تبقى من عقلها الشارد إلى الهاوية، تمشت إلى أن وصلت المحل

الذي تركت إيلين به، وجدتها تأخذ شنط الملابس التي أحضرتها وآتية
نحو كريستين:

- أنتي كنتي فين؟

قالت كريستين بدون أن تنظر لها:

- كنت في مشوار.

أشارت إليها إيلين تحثها على التحرك؛ لإكمال التسوق، تحركت معها
كريستين صامتة كمن صعقه الرعد فتحجر مكانه. أما عن أحمد الذي لم
يفلح في إقناع كريستين بأنها مريم، وأن الدم يربطهما ليست الجيرة كما
تعلم كريستين، والمشاعر التي ربطت كريستين به من الحب وغيره ليست
هي الوحيدة التي تجمع بينهما، ثمة أشياء أخرى عرفها أحمد مصادفةً،
وأتى إلى هنا لكي يعلمها وراح ليصب بعض ما يخص كريستين، لكنها لم
تقبل فعاد خائب الأمل إلى خائب أمل آخر. يحبى ضريح الفراش المنتظر
للموت الذي يريد ويشغف رؤية أحمد كأنه أحد أفراد عائلته وصاحب
القدر الأكبر من التركة كابن غير شرعي شعر أبوه تجاه أمه بالشفقة لما
فعل، فأراد أن يعوضه عن سنوات الجفاف وعدم الاعتراف، عاد أحمد
إلى الإسكندرية ببردها الشديد وهوائها المعتاد، تأخر عن ميعاد وصوله
إلى المستشفى نصف ساعة، كانت المستشفى هادئة على غير أجواء

المستشفيات، لكن لمشفى خاص يرقد به أكبر رجال الأعمال يجب أن تكون هادئة. وجد أحمد سيف وزوجته ريهام ينتظران على الأريكة أمام غرفة يحيى، نهض سيف عندما لاح وجه أحمد بالأفق وتبادلا الأحضان ثم حيَّ ريهام تسليماً بالأيدي:

- حمد لله على السلامة، ريهام مراقي ثم تابع سيف:

- بابا مستنيك جوه افضل.

- تعالى يا أحمد.

بعبارات صارمة ممزوجة ببعض الأسى على ما اقترفه يحيى، اقترب أحمد بخطوات شبه مضطربة ثم سحب أحد الكراسي وهو يمسك شفتيه، لم يتفوه يحيى بعبارات تحية وما غيره بل أهدها خاتم الخطوبة وبومة سارة.

- شوفت قد إيه سارة كانت بتحبك، كانت عاينة الخاتم ومستنيك ترجعلها، والسلسة ريهام قالتلي إنها أول هدية أنت جبتهاها، سابتها جنب المذكرة بتاعتها وكاتبة ساحني يا أحمد، أنا هسمحك تحتفظ بالمذاكرات دي.

ابتسم أحمد والتقطعها ثم عاد إلى مقعده، طلب منه يحيى أن يساعده على الاعتدال؛ حتى يستطيع التحدث معه ثم تابع:

- أنت تلاقيك عرفت نص القصة والنص الثاني عندي.
- حدجه أحمد باستغرابٍ ومن ثم اتسعت حدقته استعداداً لما سيقصه عليه يحيى:
- أنا أعرف أبوك وعمك علي من سنين يا أحمد، ولحسن حظه إن اسمه فضل خالد، أصل أبوك ده محظوظ أوي، احنا كنا تجار مخدرات يا أحمد وأنا وأبوك كنا أصحاب أوي لحد...
- تنهد يحيى ثم قال:
- لحد ما قابلنا سلوى الله يرحمها.
- قطب جبينه وهو ينفخ من بين رثتيه النار التي استعرت، سلوى! هل يعلم يحيى بأمر أمي؟ وكيف يعرف أبي وعمي علي؟ وكل هذا الذي يخبرني به.
- أنا وأبوك الله يرحمه حيننا سلوى، بس هي كانت بتحب أبوك الله يرحمه ورفضت تتجوزني.
- ألف مبروك يا حببتي.
- ابتسمت خاجة ثم أردف خالد:
- ياااه أخيراً التجوزنا بعد صبر المدة دي كلها، أمسكت سلوى بيد خالد.

- الحمد لله إن ربنا جمعنا، أنت مش متخيل قد إيه أنا كنت مستنية اللحظة دي بفارغ الصبر، اقترب علي (شقيق خالد) ومريم (خطيبة علي) نحو الأريكة الجالس عليها العروسين ثم بادلهما التهنئة، اقترب علي من أذن خالد:

- كله تمام.

هناك حيث يقف بعيداً متألماً من الأحداث، يتمنى لو تنشق بهم الأرض، أو تنطبق عليهم السماء، بحور من الدموع تملأ عيناه وتسيل على خده، تنهد تنهيدة حارة ثم عقد حاجبيه بشدة كأنه المتضرر الوحيد من الحفل.

- الذكريات وحشة أوي يا أحمد، المهم دخلنا بعدها عملية كبيرة أوي، وأبوك رفض يروح يستلم، كان الدور عليكم في الاستلام والتسليم، رocht أنا بلغت عن عمك علي وأبوك، بس عمك علي وجدك أحمد هما اللي كانوا هناك، كنا نعمل وشوش الطباط والتجار ونضحك على التجار التانين، واحنا اللي نفضل في السوق. أبوك كان موهوب في الحكاية دي أوي، بس أنا عرفت إنه لما هربوا هو وعمك وعاشوا بأسماء مزيفة وفي بلد غير البلد، وإنه خد تعهد إنه ما يرسمشي البوليس بعدها، دورت عليهم بعد ما كشفتهم في العملية الأخيرة وسابوا الفلوس بتاعت آخر عملية، والفلوس دي الي عملت بيها كل الي أنت شايفه ده، بس مش ده الي أنا عايزك فيه.

بين الذهول والضيق اللتين تضاربتا بقلب أحمد قال بحزم:

- أو مال إليه؟

- أنا فضلت أدور عليهم، ونقلت أعمالي في إسكندرية من خمس سنين لحد ما بالصدفة عرفتهم وعرفت أنك ابنهم. وكل السنين دي مش مكفيني الي عملته في أبوك، قررت أنتقم كمان عشان حبي الي أنا افتكرته ليا. أول مرة ماتت سلوى غصب عني، وتاني مرة راح جورج أو عمك علي، وبعديها مات أبوك. أنا السبب في كل ده وأستحق الإعدام كمان والموت. أنا ربنا ابتلاني بالمرض ده تخليص ذنوب يا أحمد.

كبح أحمد جماحه وغيظه الذي أشعل لهيباً نفثه في وجه يحيى قائلاً:

- أنت الي عملت كل ده؟

صرخ أحمد قائلاً بعد أن نهض من على كرسیه:

- أنت لازم تموت.

دخلت ريهام ثم سيف على صوت الضجيج الذي أحدثه أحمد. كانت الدموع قد امتلأت بقلب الفتى قبل عينيّه، وأخذت علامات الانتقام تعقيدات وجهه، أشار يحيى إلى سيف قائلاً:

- فيه حاجة كمان يا أحمد لازم تعرفها. سارة ماتت بسبب مصطفى
يا أحمد اللي خان ثقتنا كلنا وثقتها شخصياً وهتك عرضها وسافر،
متزعشني منها يا أحمد محدش يعرف هي قالتلك إيه آخر مرة.

اكتملت الصورة الآن، أبي تاجر مخدرات، يحيى زهران هو القاتل المقيد
ضد مجهول، مصطفى قاتل سارة، كريستين ابنة عمي وتحمل اسم مريم
وستزوج من شخص ليس على دينها، وأنا يجب أن أثار لأولئك جميعاً. ألم
يخطر ببالك يا أبي قبل أن تفعل هذا أنك ستخطيء بحق طفل يوماً؟ قبل
أن تقتلهم يا يحيى، ألم تعي أنهم يمتلكون ولدًا سيتغيث كل دقيقة بربه لكي
يعيدهما؟ ألم يأنبك ضميرك وأنت تيتيم شابًا بأقل من شهرين؟ ألم تحشى
عقوبة الآخرة وعقاب مالك الملك يوم القيامة؟ أم تلطيخ يدك بالدماء
سهلاً إلى هذا الحد، ولسبب تافهٍ من أجل الحب. تأخذ آباء يعيش تحت
ظلمهم شخصاً، هل دماء البشر رخيصة لهذا الحد؟ لتضحى بكل أولئك
لتصل إلى أبي، ولا ترتعد وترجع. لست بشراً عادياً ولا إنساناً يملك قلباً.
أنت من ذوي الشياطين أو إبليس نفسه يكمن بداخلك. أيفعل الحب كل
هذا بالأشخاص؟ أعاش كلهم أطرافاً بالعلاقات؟ وهذا الترياد أجبرهم
على فعل كل هذا، سحقاً لكل قلب جعل مشاعر الناس ملكاً له وخاصته،
وسحقاً أيضاً للقلوب التي تفعل ذلك بمحبيها.



منذ نعومة أظافرنا مروراً بريعان شبابنا حتى يغطي الشيب شعرنا
ويتلون بالأبيض إلى أن يصبح الأبيض هو اللون الذي نغادر به، وآخر
رداء لنا ومنه إلى الغرفة الضيقة أو القصر الواسع حسب ما خلفنا وراء
ظهورنا، أيّاً كان الذي سنخلد فيه أمد الدهر بتلك الفترة منذ أول صيحة
لنا بالبكاء مع أول شهيق نأخذه إلى الأخير الذي يرقد بصدرنا تعيش
قلوبنا لحظات بين فرح وحزنٍ، أشخاص يأتون ويمكثون وآخرون يأتون
ويرحلون، كانوا هنا وآثار أقدامهم مازالت مطبوعة بالطرق، وكلما تم
لنا كانت بمثابة رعشة تملكتنا كلما تحركت ألسنتهم بها، طاقة أمدته بقوةٍ
ساخطةٍ على الكل راضية عليهم وتحت طوعهم وإمرتهم، وضحكاتهم
كانت اللهب الذي ينير صدورنا ويقودنا مغشين بالطرق التي يسلكونها،
ناراً أول ما أحرقت أحرقت القلب الذي آوها، كانوا القلب وما فيه،
كانوا الحياة التي انطفأت عندما غادروها.

ماذا تركوا؟

نعم تركوا أوجاعاً، ولماذا صورهم محفورة بعقولنا؟ ولما لحظة الفراق
اللينة تلك معلقة بأذهاننا بمخالب تنهش من أجسادنا شيئاً فشيئاً، كلما
استحضرناها إلى واقعنا. وتجعل من أيادينا سيوفاً ذبحت قلوبنا، وقالت
عنه كبش الفداء للعلاقات، أو ذنب ألسنتنا أنها تلفظت عما تشعر به

وعبرت عن كيائها، وهادت بالكلمات قلوباً ليست خاصتنا. ماذا عن
مشاعرنا التي لم يقدروها ودموعنا التي أصبحت تذرف بمجرد سماع
أسمائهم أو تشابهها مع آخرين؟ هم الخاسرون يا قلبي فقد ضيعوا قلوباً لم
تحب إلا هم ولم تعشق غيرهم.



الجزء الثالث

الفصل الثاني والأخير

لم يجلس كثيرًا بالإسكندرية وعاد أدراجه إلى القاهرة وخصوصًا إلى القبو الذي سيبدأ منه رحلة انتقامه. جلس وسط غرفة الألباز يفكر، يقلب بين أصابعه أحد أقلامه السحرية محاولاً به امتصاص التشنت من فعل الصدمة، والتناسي من أجل الثأر الذي بات أمراً لا رجعة فيه ولا مفر منه. شخصان سيقضي عليهما، هما أعمده انهيار حياته فوق رأسه، يحيى قاتل أبويه، ومصطفى قاتل حبيبته، تنهد ثم قام بإشعال النار على بعض الشمع بأمر من عاصم، ووضع بعض المكونات في أنابيب الاختبار بين صودا كاوية وصمغ أبيض ومثبتات أخرى. وجلس على كرسي وأمامه لوحة بيضاء؛ ليحارس هوايته ويرسم بورتية لأحد الأشخاص. دخل عاصم بملابس معملية، معطف أبيض ونظارة زجاجية وقفازين أبيضين، ثم رمى زوج لأحمد قائلاً:

- خلي بالك من المواد الكيميائية الي هتتعامل معاها.
- ظل أحمد محققاً بلوحته البيضاء ولم يلتفت إلى عاصم، ثم قال باحتقان
بان بنبرة صوته:
- أنت ليه مقولتليش يا عاصم من بدري؟
- قال بتعبيراتٍ ثابتةٍ ذاك الجبل الذي لا يهتز:
- كنت عايزك تعرف لوحذك، وتعرف مين عدوك وتعرف هتعمل
معاه إيه.
- قال مضجراً من ردة فعل عاصم:
- طب ليه؟ أديني عرفت، هعمل إيه وأنت هتساعدني إزاي؟
- حاول عاصم تهدئته بحركات يديه ثم قال:
- اهدأ يا أحمد. احنا لازم نفكر، أنت منمتش بقالك يومين، الساعة
عدت ستة الصبح، خش نام وأنت هتبقى تمام.
- زفر ثم جلس مسنداً رأسه إلى راحة يده:
- مش هنام يا عاصم إلا لما أشوف هعمل إيه؟
- مط عاصم شفتيه ثم زفر هو الآخر قائلاً:

- ماشي يا أحمد، أنا خريج علوم القاهرة واطلعت وأنا شغال مع أبوك، يعني قسم كيميا، وأنا قريبك كمان ابن عمك، وشغال هنا في مصنع الشمع، ولينا نفوذ برضه لسه في البلد زي ما خرجتك من السجن، بس أنا مش رسام، فأنا هقولك على الطريقة وأنتا تنحت بنفسك. احنا لازم نأخذ حقنا يا أحمد من غير ما حد يحس، لازم نقلهم بالبطيء وبسكينة تلمة، وبنت عمك لازم تيجي هنا وتبقى تحت حمايتنا.

تهكم أحمد من كثرة الحديث الذي ألقاه عاصم ثم قال:

- بنت عمي.

ثم أردف بعبارات أكثر حزنًا تشققت معها أركان وجهه:

- أنا مش عارف أشفق على حالي ولا أزعل إن أبويا وأمي ميتين. ولا أعمل إيه وبنت عمي دي أنا كسرتها ورجعت تاني تقابلني، عشان أنا بنى آدم غبي، وبرضه غبي لما سبت الإنسانية الوحيدة اللي أنا حبيتها وضاعت من أيدي، وغبي إني مفهيمش ليه أبوها عمل كدامعايا وعدتها، وكنت غبي أوي لما مسألتش أبويا عن أصلي وفصلي ولا يروح أنهبي بلد وبيغطس ويحي.

انهار بالدموع:

- أنا كنت واخذ أبويا قدوة في معاملة ابنه وماما الله يرحمها. ده عمره
ما استصغر عقلي ودائماً بيدعمني وساعدني أي أخش فنون، وكان
دائماً بيحفزني، وماما كانت حنينة وقد إيه أنا حببتها بعد ده كله،
أبويا يطلع كان بيتاجر في المخدرات.

ارتدى عاصم قفازته ثم اقترب؛ ليربت على ظهر أحمد قائلاً:

- الله يرحمه يا أحمد، ويالا قوم عشان ناخذ حق الناس دي كلها..
هذه الحياة وذاك الحال، حين تُخير بين ما تريد أن تفعله وما تستطيع أن
تفعله، فمرحباً بك في الدنيا يا صديقي.



كانت هائمة في الذكريات، شاردة في الوقت الحاضر، تعلم ولا تريد
أن تعترف ما الذي أتى بأحمد إلى هنا؟ لم تنم طوال الليل وكأن السهر قد
خلق للعشاق، تتصارع بداخلها الفتاتين، الأولى التي كانت بالإسكندرية
تعشق أحمد، والثانية التي أتت إلى القاهرة لتحيا حياة طبيعة. لم يأت أحمد
للتلاعب بي، نهضت إيلين عندما رأتها جالسة القرفصاء وسط الظلام
والضوء الخفيف الذي يدخل من الشباك:

- مالك يا كريستين؟ قاعدة كدا ليه؟

قالت بصوتٍ متهدجٍ مزوجٍ ببعض الهمهمة:

- لا مفيش حاجة، متوترة شوية بس، هتجوز بكرة بقى، وأنتي عارفة مرحلة جديدة وكدا وأنا لسه صغيرة.

نهضت من على فراشها وجلست بجانبها تحضنها بين بذراعيها وهي تقول:

- عادي يا حبيتي، هتبقي تمام متقلقيش، أنا هقوم أخذ دش وأجي ألبس عشان الشغل..

انصرفت إيلين وهمت كريستين هي الأخرى بارتداء ملابسها، وذهبت إلى بيتير بملامح مضجرة وخطوات سريعة بدون أن تلقي التحية على أصدقائها المارين بجوارها. الهالات السوداء التي تظهر تحت عينها تعكس مدى التعب والأرق الذي لاقته ليلة أمس. هرولت إلى مكتب بيتير القابع بأخر الرواق، ثم قرعت الباب وطلبت منه الخروج لمقابلتها، أوصد بيتير الباب ثم خرج متلهفًا:

- في إيه مالك؟ تعبانة ولا حاجة؟

أغمضت عينها ثم قالت:

- أنت لو عايز تجوزني يبقى لازم تنفذي اللي أنا عايزاه وتجييلي حقي.

قطب بيتير جبينه فقالت بحنق:

- تيريز قالت لإيلين تراقبني وتجيّلها أخباري أول بأول، وأنا من يوم ما جيت هنا وهي بتنقلها تحركاتي وبعمل إيه كل يوم، ومستقصداني من ساعة ما جيت وكمان مش عايزاك تتجوزني.

أوما برأسه مبتسمًا ثم قال:

- حاضر هشوف الموضوع ده.

قالت كريستين بضيقٍ:

- هتشوف، أيوه.. قول بقى إني مش فارقة معاك زي الكل ما بيقول، ومجرد شخص مش هيقول حاجة لما تأمره بحاجة أو تطلب منه أي حاجة، جارية صح؟!

تحرك في الرواق قاصدًا تيريز ثم قال:

- تعالي.

ذهبوا إلى غرفة الراهبة ثم دخل بيتر بدون استئذان، ووقف أمام المكتب قائلاً:

- ابعتي حد يجيب إيلين.

قالت متسائلة في غيظٍ:

- فيه إيه يا بيتر؟

كرر بيتر طلبه ولكن تلك المرة بعصبيةٍ شديدةٍ.

أرسلت أحد الفتيات لتجلب إيلين من المطبخ، ثم طلبت منها الجلوس والهدوء حتى لا يلفتوا النظر ولا يسمع أحد ما يحدث في المكتب، أتت إيلين مهرولةً ثم قالت مضطربة:

- نعم.

استوى بيتر ثم حدج إيلين قائلاً:

- أنتي الراهبة تيريز قالتلك تراقبي كريستين؟

ارتشعت شفتا إيلين وحركت عينها بين الثلاثة، كريستين صديقتها التي خانت أمانتها ووشت بها إلى الراهبة، والراهبة التي قد ترمي بها خارج الكنيسة، وبيتر الذي سيصفعها عشرات الضربات على خدها الشامي حتى تقر بما فعلت، أزال عنها بيتر عناء الاعتراف ثم نظر إلى تيريز قائلاً:

- والرب والعذرا والمسيح كمان، لو حد قرب لكريستين ما هرحمه.

عقدت الراهبة حاجبها:

- محدش داسلها على طرف يا بيتر، وعندك أهيه اسألها.

- يالا يا كريستين.

بعدها هدأت كريستين أمرها بيتر أن تجمع ملابسها، وأعطاهما أحد مفاتيح
الغرف بعدما استأذن من أبيه للسماح لها بالمبيت بغرفة منعزلة عن الفتيات:

- باتي هنا النهارده، ومتزعلش نفسك، وافهمي إنك كل حاجة
بالنسبالي.

دخلت كريستين وأغلقت الباب بإحكام، وتأكدت من هدوء المكان
ثم أخرجت الهاتف وهاتفته أحمد، الآن ستكشف عن مخططاتها:

- ألو، أيوه يا أحمد. أنا فكرت في الي أنت قولته، أنا ميهمنيش
حاجة، أنا يهمني إنك جيتلي ومصدقك رغم كل الي عملته.

ابتسم أحمد ثم قال:

- بجد مش وقته الكلام ده يا كر... قصدي يا مريم، أهم حاجة إن
لازم نخرجك من عندك قبل الفجر، عشان فرحك الي قولتي
عليه وكدا..

ماذا ستفعلين يا عروس الغد؟



كانت نيفين منهمكة في العمل الذي تركه لها يحيى مع سيف الذي
لا يحضر، وملازم أبيه في محتته، صفقات بالجملة وجداول أعمال مزدحمة،

وتخاذل الموظفين لعدم وجود المدير وتأخير رواتبهم؛ لوقف بعض الصفقات؛ جعل صوتهم يعلو. أصبحت الأرض من حولها مفروشة بالأوراق المختلطة، وضعت يديها على موخرة رأسها وتناوبت وهي ترجع ظهرها إلى الخلف، وغفت بعض الوقت قبل أن يزعجها رنين هاتفها ويحدث ضجيجًا بالمكتب الذي لا يجلس به غيرها.

- ألو، أبوه يا طارق باشا.

قال طارق:

- عايزين حضرك النهارده في أي وقت في القسم؛ علشان هنفتح محضر في الموضوع اللي اتكلمنا فيه.

ابتلعت ريقها ثم تنهدت قائلة:

- حاضر تحت أمرك يا باشا.

أنهت ساعات عملها ثم ذهبت إلى قسم الشرطة للإدلاء بكل ما تعرفه عن يحيى ومحمود.

التقط اللواء سعد الشال أحد الهواتف وقربه من نيفين، الهاتف يحمل صورة الضابط محمود:

- تعرفي اللي في الصورة ده يا آنسة نيفين؟

بدون تفكير قالت نيفين متزنة:

- أبوه يا حضرة الضابط، شفته عند يحيى باشا مرتين في المكتب.

قال الضابط بحزمٍ شديدٍ:

- متأكدة؟ طب سمعتي أي حاجة اتقالت قدامك أو أي كلام

بينهم. هزت رأسها نافية:

- لأ يا باشا.

- شكرًا يا أفندم وأسفين على الازعاج.

أوصلها طارق إلى باب المكتب ممتنًا وشاكرًا على قدومها. الآن وضع
طارق أول سطر بتقرير قضيته النهائي، وطلب من أحد الأكتاف المهمة
أن تساعده، عاد إلى اللواء سعد مرةً أخرى:

- يافندم إديني بس فرصة، وأنا هثبتلك إن يحيى بيتاجر في المخدرات
ومحمود باشا بيساعده.

- طيب يا طارق. ده تصريح أمر ضبط وإحضار المدعو شرف
وريني هتعمل إيه.



تيقنت الآن أن كل شيء سيعود كالسابق حتى وإن طالت الأيام.

الآن لا جديد يُذكر والقديم يُعاد، والطير المهاجر حتماً سيعود إلى وطنه،
ريثما يمل من التنقل، المسافر عاجلاً أم آجلاً سيعود، أما الهارب فما
حجته؟ وما موطنه؟ والخائن ما ديته؟ بعد صراع عنيف مع النفس، ولوم
الذات ومحاولات عديدة للانتحار، أغلق مصطفى حقائبه وعاد إلى مصر؛
لمحاولة تخفيف آلامه أو قتله على يد قدره. فلا شيء أثقل من خسارة من
تحب، والمزيج الغريب بين الخيانة والندم لا يجتمعان بشخص إلا وقد
علم نتيجة ما فعله.

أنت لم تكن مضطراً وحجتك باطلة، حتى وإن كان كل ما تريده ألا
ترى وجه أحمد، لن يخفف ألمك، كيف أواجهه وقد خنت صداقتنا؟ كيف
أسلم عليه وأن قاتل حبيبته وصديقتي قبل أن تكون خطيبتي؟ استقبل
منصور ولده العائد بعد شهر غياب بحفاوة كبيرة، استغرب من جسده
النحيل ووجهه الشاحب، وفكر في أن ثمة علة جسدية ما لحقت به، ولا
يعلم أن ابنه بلا قلب.

احتضنته والدته بشدة عندما لاقته بساحة انتظار أحد الفنادق:

- حمد لله على السلامة يا ابني. إيه الغيبة الطويلة دي؟ مالك خاسس
كدا ليه وتحت عينك أسود ليه؟

أرسل مصطفى تنهيدة في علة:

- تعبان بس شوية يا ماما، هبقى تمام إن شاء الله.

قال منصور متسائلاً:

- طب لو تقولي بس ليه أنت نزلت في الأوتيل؟ ما البيت موجود يا ابني.

رد مصطفى قائلاً:

- معلشي يا بابا، بس عايز ابقى لوحدي شوية.



- شكراً على اهتمامك يا باشا.

وضع سيف هاتفه لكن سرعان ما التقطه وهاتف أحمد ليخبره أن مصطفى عاد من السفر كما أمره يحيى. بعدها بلحظات دخلت نيفين المكتب، كان سيف بالحمام يغسل وجهه من التعب، ولحسن حظها وجدت هاتفه مفتوحاً، نقلت رقم هاتف أحمد إلى هاتفها ثم وضعت وانتظرت أمام المكتب.

- خير يا نيفين فيه حاجة؟

قالت مضطربة بعض الشيء:

- وفد روسيا وصل يا أفندم.

أوماً برسه وهو ينشف وجهه:

- حاضر أنا جاي حالاً.

قيود من حولها، قيود تجعل قلبها يهوى ما لا يريد، أرأيت قلباً يهوى ما لا يريد؟ الجبار بالسماء رحيم بعباده، أما البشر بالأرض يبطشون ولا يبالون، وجسد وعقل وقلب مثل اللائي تملكهم كريستين لن يُصارع من أجل البقاء، ولن يقاوم أي ظلم. سيرضى ويتسم وسينحني ويكسر ولن يشتكي، كفراعة يضحون بأبهى الفتيات بعيد النيل هبة له؛ ليظل يمدّهم بالماء. أذنب الفتاة أنها أجملهم أم ذنب النيل أنهم يشعرون أنه يشعر؟ لا ليس هذا، ذنب العقول التي استبدلت بقطعة خشبية ممزقة ومسوسة والسوس ينخرها.

أخبرت كريستين بيتر أنها سوف تذهب لتنتقي بعض الأشياء بعد أن أعطاهما بيتر الثقة العمياء، بعدما أصبح على يقين أن كريستين تكن له كل معاني الحب والعشق، وأنها لا تهوى غيره، وأنه أصبح الماضي والحاضر والمستقبل، وكل الكذب الذي وقع به القلب وسيظل يقع به بمجرد أن يدق حتى ولو كان الدق من أجل الحياة.

انطلقت لمن أرادته القلب ولم يهوى غيره، انطلقت إلى معذبها من أجل العشق، بحق الحب يا أحمد أطلب منك ولو تعطيني شعوراً واحداً

وسيكون سيلاً بالنسبة لي. لقد مللت كوني مهمشة واليوم أتيت لأصبح الضلع الأهم، تأكدت أن ما من شيء يراقبها من أتباع تلك الراهبة التي أردت أن تترهب رهبانية دنيوية، كما لم نعهد الرهبان في تعففهم.

وصلت إلى المكان العتيق الذي يسكنه أحمد كما بعث لها الوصف برسالة. فتح العجوز لتقع عين كريستين على عينه التي تمتلك نفس صفائهما العسليتين، وشعرت بهاجس غريب ربما يعترى الشخص عندما يلاقي أقاربه. شعرت أنها تنتمي لهذا الشخص من قريب أو بعيد، انضم أحمد ووفر عليها سعراتها الحرارية التي ستفقدتها بالتفكير، استند على العجوز ونظر إليها قائلاً:

- جذك يا مريم.

امتصت سحتتها الباهتة المفاجئة وتوردت وجنتها مبتسمة ابتسامة اشتاقت إليها منذ زمن بعيد. ارتمت بحضن أحمد العجوز ثم بكت عندما وضع يده على ظهرها يداعب بها خصلات شعرها ثم قال:

- مريم يا مريم كان نفسي أشوفك من زمان.

ابتسمت وهي تحرك يديها على ظهره.

- وأنا كمان يا جدي كان نفسي أشوفك وأتكلم معاك.

ضحكت مريم بشدة ضحكات خرجت من الفؤاد، كتلك التي
تشعر بها ببداية الحب. حين يكون قلبك نقي لا يعرف الخيانة، ولم يتلق
طعنات ولم يعرف نهاية، استند على عكازه ثم قال متنهداً:

- خد يا أحمد بنت عمك وريها أصلنا وأصلها وأصل العيلة كلها.

مد أحمد يده إلى مريم، وبحركات يدٍ مرتعشةٍ مدت مريم يدها، كأنها
تقدمها للسياف لكي يقطعها، مدت يديها لتشعر بالدفع بين أصابعها، لم
تعده من قبل، ولم تكن تعلم لماذا يكنّ لها كل هذا الكره مسبقاً، لكن لا
بأس سنعيش اليوم وننسى الماضي.

نزلا إلى القبو وأراها أحمد الرواق الذي طلاه برسوماته، قالت وهي
تلتف حولها:

- إيه الجمال ده، والرسومات العالية دي! أنا عارفة إنك عالي أوي
بس مستواك اتطور جامد، أنت عامل إيه في الكلية.

ابتسم في إعياٍ ثم دخل إلى الغرفة، والتقط أحد الرسومات لكريستين
الجالسة على الأريكة، كانت الرسمة تعطي اللوحات وسط تهالك العمل
وأثار العمل منذ الصباح.

- اترفدت.

نظر إلى عينيها العسليتين ليرى نفسه يملأ حدقتها ثم قال:

- أنا بقالي يومين أصلاً منمتش، وعمال أُرسم. استني هوريكي حاجة.

- إيه رأيك في الرسمة دي؟

لمعت عين مريم ورأت أن أحمد بدأ يحبها ويهيا لها الأمر لكي يعترف لها بحبه:

- وإيه رأيك بقى فى غرفة الأسرار؟

التفتت بين المناضد التي تحمل كل منها شيئاً، قارورات وأنايب معملية، جلود خمرية وبيضاء وسكاكين ومشارط وإبر تثبيت وركن خاص بالرسم، وفرشاته وأقلامه وخرقائه التي تغطي لوحاته. دخل عاصم خلصة لتتفاجأ به أمامها ويقطع عليها لحظة الشجن، ضحك أحمد قائلاً:

- مش كدا ياعم عاصم. مريم قلبها رهيف وبتخاف من خيالها.. أحب أعرفك عاصم الي ساعدني إني أعرف كل الهليلة الي أنا فيها دي، ودي يا سيدي مريم، غنية عن التعريف.

خلع عاصم نظارته الشفافة وقفازته البلاستيكية، ثم هز رأسه وهو يعوج فمه:

- كذا يا أحمد، متعلمشي لمريم أي حاجة، تشربي إيه يا مريم؟
- أمسكت مريم بذراع حقيبتها، وشعرت بالخبجل من تواجد عاصم هنا، فهي حتى وإن تغيرت، ما تزال تشعر بتلك الغصة التي تمرر حلقها:
- ولا أي حاجة، أنا ماشية علطول.
- قاطعها أحمد وهو يضع ذراعه على كتفها، كانت تقصر أحمد بمقدار عشرة أو عشرين سنتيمترات، استغل أحمد فارق الطول والقراة التي أصبحت حميمة؛ ليضع يده على كتفها قائلاً:
- اعملها قهوة معاك يا عاصم. بس هي هتشربها هنا، مش بره، بس ياريت تكون مسكرة.
- غمز بطرف عينيه وهو يقول:
- ماشي يا حماده وماله.
- ماذا يا أحمد هل تنافق أم تساعد جسدك على الالتئام؟ ما فائدة الانتقام الذي تحدث عنه والفرحة التي تملأ قلبك الآن؟ هل نسيت أم تناسيت أم ادعيت الحب لتقيم على قلبك الحجة؟
- لامست بأطراف أصابعها الناعمتين معدات أحمد وفراشاته، ثم سحب لها أحمد مقعداً وقربه منها لكي تجلس ليخبرها بما تستحق أن تعرفه،

التقط الصندوق ثم أعطاه لها، وبدأ يسرد تفاصيل القصة على مريم التي كانت أعينها ممتلئة بالدموع وقلبها يخفق بشدة، أو مأت له وتفرك يديها كلما يخبرها عن مريم والدتها، وظلت ممسكة بصورة حفل زفاف خالد وسيف التي تحمل أيضاً علي ومريم والديها، تحتضن الصورة وتقبلها كلما نظرت إلى الصورة. يحكي لها كيف هربا وتبدلت أسماءهم حتى يحموهم، والاختفاء والتستر عن الأعين، وكيف خلق جورج هذا لها وهياً لها أنها مسيحيون يتمركز بقلبهم كل الحب للمسيح وللعذراء. لا يعقل أن أحمد كاذب وصور أبيها صغيراً وعين جدها وتشابهها الكبير مع ملامح أمها. يتكرر بخاطرها نفس السؤال كلما يغوص أحمد ويتعمق بالماضي وشعور الاضطراب، لكن شعورها بالأمان والحب أزاح كل القلق عنها، ثم أتى إلى قصة الكفاح وتورط يحيى زهران بكل ما في الأمر، تضايقت مريم وانهارت بالبكاء من فعلة السفاح، ثم اجتذبتها من يديها ليخبرها عن أمر الشمع وصناعة الأوجه، لكنه لم يخبرها بأمر المخدرات حتى لا تهتز الصورة التي رسمتها عن أبيها طوال عمرها. تريد مريم أن تحترق عقل أحمد؛ لتعلم ما يجول بباله على الصعيد الآخر. يعلم أحمد ما تريد أن تعرفه ابنة عمه وحبيته من اليوم الذي أعلنها به ومشواره الذي سيسعى بدربه، لكن لا بأس يا مريم سأخبرك بما يجول ببالي.

عندما كان كل شيء بجانب أبي يحمي وأم تعطف وحبية على موعد غرامي تنتظري لم أكن أكثرث للكثير، وكوني أحد الموهوبين فلم أكن أشعر بالآخرين ولا أنظر لهم أو أكثرث بماذا يحملون بقلوبهم لي، لا أقول إنني لم أخطئ بل أقول إنني لم أعِ أنني أخطئ وكلاهما مختلف. وأكبر ظلم قد يقع على بشري أن يحاسب على ما لا يقصد، عندما ضاع كل شيء وعرفت معنى أن يكره شخصاً آخرًا أدركت حجم الغباء والسطحية التي كنت أعيشها، وعندما ذهبت أنتِ من بين يدي يا مريم لعنت حياتي، ولما رأيت من الدنيا شيئاً يربطني بكِ هرولت إليك ولا أدعي أنني نسيت الماضي. فمخبول من ظن أنه نسي حبه، أنا أريد أن أحياء معك ولا أريد غيرك الآن.

- بصي يا مريم أنا اتفقت على طريقة نهرك بيها أنا وعاصم، اسمعي بقى.

أنتي هتطلبي بيتزا من الفرع اللي جنبك، عاصم عارف حد هناك هتطلعي الساعة اتنين على البوابة فيه ورقة مكتوب فيها كل حاجة هتاخديها وهتعرفي كل حاجة منها.

التقط هاتفه بعدما أوصل مريم إلى أتوبيس النقل العام المتجه إلى العباسية، كانت الساعة تدق الساعة وثلثا وعشرين دقيقة، ليجد رسالة من سيف الذي حاول الاتصال به.

«أحمد، مصطفى رجع مصر ونزل في فندق الشيراتون الي في المنتزه،
الفندق ده الأمن فيه كويس، يا أحمد روح لو عايز تاخذ تار أختي من
مصطفى، هو السبب في ده كله».

على قدر الجلبة التي أحلت بقلبه من اقتراب الانتقام وغير أنه متعجب
من متلبد الإحساس الذي لا يريد أن يغسل عاره بيديه، وألقى الأمر إلى
أحمد، ناهيك عن أن يكون الأمر لعبة من يحيى زهران، لكن الآن لا صوتاً
يعلو فوق لعبة الوجوه ولا شيئاً سيقف بالطريق وسيكونوا في أقل من
أيام مسجين جثثاً هامدة متعفنة تحت التراب. ضرب بيده على المنضدة ثم
استوى والتقط أحد الوجوه المصنوعين حديثاً، بدأ الوقت يمر وأحمد يعد
العدة، يبدو أنه سيعود للإسكندرية مرة أخرى وبنفس الميعاد، بالأمس
ذهب ليرى الفعل والآن وقت ردة الفعل.

قبلها بساعات

التقط عاصم الجلد الصناعي من يديه، وقال وهو يتمعن به:

- ما شاء الله عليك يا أحمد من أول محاولة كذا عرفت تعمل ده.
أنا بحاول بقالي 18 سنة ومش عارف، عفارم عليك يا جلع..
قررت هتعمل إيه بيه؟

أسند أحمد ظهره على الأريكة ثم ضم جفنيه وهو يقول:

- أنت لو بترسم 3 دي كنت هتعرف، المشكلة دلوقتي إنك بترسم على لوحة بورتريه بحد معين، طول وعرض وارتفاع، بترسم من اتجاهين حتى لو هي رسمة 3 دي بتبان فعلاً من التلات اتجاهات، بس لو أنت معاك لوحة بقى من كل الاتجاهات، وكم إن الشمع والصمغ والصودا والشاش الي مخطوط كأنه أرضية ده ساعد الفرشة إنها تمشي كويس، كمية المطاط ساعدتني أرسم كل تفصيلة في الوش، هو آه خدمني 6 ساعات بس طول ما أنت بترسم زاوية معينة وناسي الزوايا الثانية مش هيطلع الوش مضبوط، المواد الكيميائية بتاعتك كانت تمام وهي الي طلعت الوش ده.

حك عاصم مؤخرة رأسه قائلاً:

- ده الموضوع طلع كبير أوي.. طب اشمعنا وش الرجل ده بالذات الي قررت تعمله.

اعتدل في جلسته وهو يلتقط الوجه:

- الرجل ده جتلي صورته في ظرف من عند الدكتور عبدالله بتاع الصيدلية، وقالى إن الرجل ده جاله وقاله بدّل شريط الحبوب بتاع بابا بالسم ده، أنا حاسس إن الرجل ده هو الي نفذ ده كله.

قال عاصم مؤكداً على حديث أحمد:

- وطبعاً مش هينفع تعمل حاجة بيحيى أو ابنه عشان الموضوع يكون محبوبك.. تمام هتعمل إيه مع بنت عمك؟

زفر ثم قال:

- تمام أنا بعثلها تيجي وسيبثلها العنوان وهي على المغرب كدا هتكون هنا..



دقت الثامنة والنصف عندما انتهى أحمد من تجهيز معداته، وضع الدمية التي جلبها من القبو على الفراش وجلب وسادة ليضعها بجانبها ومن ثم لحافاً حتى يداري على رحليه؛ لكي لا يقلق جده، ها أنت ثانية مرة أخرى تهرول كما الأعمى وراء قلبك وتلغي وجود العقل بالبشر، وتنساق زاعماً أنك أعددت كل شيء وأن النتيجة واحدة. ألا تعلم أن النهاية حتمية وآخر النقاط حتماً ستوضع؟ وهل ستظل تقول بمجرد أن يخفق قلبك سوف اقتلعه من مكانه وتصرفاتك توحى بأن القلب لم يعشق غيرها؟ أأقنعت نفسك أنها آخر مرة ستعود بها للوراء من أجل قلبك أم أنك لم تخرج من دائرة الماضي الرحبة؟

استقل أحمد أحد العربات الخاصة من رمسيس وتسلل بأمل متجددٍ وجسدٍ مكسّرٍ ومتوهنٍ، عظام بالية وأنياب مشحذة مرصوفة بجسدك،

عزيمة الانتقام وراحة الأخذ بالثأر تجري بدمك مجرى الدم في العروق،
اعتراه الكثير من المبررات لذهابه للإسكندرية. جلس بجانب السائق ولم
يبادلہ أى أطراف حديث يفكر في القتل، الأيادي التي حملت قتالهم آن
وقتها لكي تتلوث بدمائهم، ستقتل يا أحمد، لم يخطر بباله يوماً أنه سيقتل
وسيخطف روحاً ويحصد موتى حتى إن كانوا سبباً في قتل أعز الناس
وأقربهم إلى قلبه، فكرة تقبل الحرام وإن كنت مضطراً كذاك الذي سيسبق
أباه على قتل أمه.

رغم كل ما فعله مصطفى إلا أنه يشعر بأنه غير قادر على المساس
به، وكلما يتذكر سارة بأخر لقاء لهما يرى نفسه يجلس على قبرها ويتجرع
دمه بكنوس صنعها من عظام رأسه، ويريد أيضاً أن يكون آخر وجه
رأه بالدنيا وجهه ولكن كيف وأن ترتدي وجهاً أتى للذي سلب محبته
عذريتها وجعل التراب عازل بينهما، وحياة أخرى لا يعلم ما آلت إليه
بها، أتى ليسلب أحدهم حياته، هذا الذي لعب دور الزجاج المضاد
للكرس بين شخصين، يقف أحمد بجهة وتقابله سارة بالأخرى واضعين
يدهم على الزجاج والدموع تتساقط من أعينهما كالسيل، يحاول أحمد
كسر الزجاج بيديه وبأرجله وبرأسه، ولكن لا فائدة. وتحاول سارة
الابتعاد عن الزجاج كي لا يصيبها مكروه عندما ينجح حبسها في العبور،

لكن شظية من الزجاج أزهرت روحًا وتناقص تزايدًا بعد أن تسبب في خسائر جمة.



آه على قلب رضى بالفراق وعاش على الذكرى متحملًا جفاف الماضي وقسوته، ولم يبال بالطعنات طالما أنه سيمضي قدمًا، فلتتحمل يا قلبي، رُب يوم بكيت فيه بإخلاصٍ، سيأتي غيره لتضحك فيه من أعماقك.

غفا أحمد قليلًا ثم أفاق على يد السائق تهز كتفه، وصل إلى المحرسة والمحفوفة في القلب، اتجه إلى شيراتون المنتزة وفقًا لرسالة سيف مستقلًا المشروع، قبل الشيراتون بقليل نزل أحمد ليجد مكان يغير به ملبسه، ويجهز أدوات الذبح، لم يجد غير أحد المساجد المفتوحة ليلاً. بعد منتصف الليل تسكن الشوارع وتكون البيوت شاغرة بسكانها، شعر بهمسٍ في أذنيه وهو يخطو عتبة المسجد يحثه على التراجع، فما يفعله يتناقض مع ما هو موجود به الآن. ربي ما عنت أسمع ولا أرى ولا أفكر، الآن أُحْدب ظهري بريعي الثاني والعشرين، فسأخني على ما سأقترف، رغم الصراعات التي كانت تدور برأسه أفرغ محتويات حقيبته في أحد حمامات الجامع، سكينٌ مسنونٌ مشرٌ من الجانب، قفازات سوداء وضعها بجيب معطف أسود طويل، شعر مستعار طويل، وأخرج الوجه وهاتفه

مستخدمًا شاشته السوداء مرآة له، وضع الوجه بدقة شديدة، ثم خبأ الحقيبة وملابسه التي أتى بها من القاهرة على نافذة الحمام، هناك ما يكفيه ليعود قبل الفجر ويسترجعها، أنهى تحضيراته وارتحل المسافة بين المسجد والفندق، ومشى بخطوات ثابتة بين أمن الفندق الذين استقبلوه بكل احترام، تنهد بأريحية مطمئنًا نفسه، لكن قلبه يقرع بالداخل، تحرك طبيعيًا إلى موظف الاستقبال ووضع كلتا يديه على الرخام الفخم ثم ابتسم قائلاً:

- لو سمحت مصطفى منصور نازل في غرفة كام؟

أشار الموظف إليه بابتسامة لطيفة:

- ثانية واحدة يافندم.

التقط أحمد أنفاسه ثم أغمض عينيه مرسلًا تنهيدة حارة:

- غرفة رقم 502 الجناح الرابع يافندم.

أوماً برأسه وابتسم منسحبًا ثم استدار ليصعد إلى الغرفة، أراح تفكيره قليلًا قبل الشروع في جريمته الأولى، لا يريد أن يرهق عقله بتأنيب الضمير، فقد حان وقت البطش، وذاك لن يكون عاديًا ولن يرحم كهلًا ولا صغيرًا. غاشم يبطش بطش جبار على قرية مليئة بالأطفال والعجائز والنساء، يلقي القذيفة على شخص تزنه بالوزن يحملها جنديان وتقذفها الدبابة حتى يرى من المقتول اللاشيء.

وقف أمام باب الغرفة وقرع الباب بثلاث دقائق متتالية ليفتح مصطفى باب النار عليه:

- إزيك يا مصطفى باشا؟

استكان مصطفى لبعض الثوان ليستوعب صوت أحمد على الوجه الغريب، أو تشابه الأصوات. لكنه بالنهاية عرفه من عينيه التي يحفظ أركانها، حتى وإن طرشت آذانه سيعرفه من عينه، أنه ما زال صديقه ابتم ثم قال:

- إزيك يا صاحبي؟ تعالى.

اندھش أحمد من كشف هويته حتى وإن يحمل وجهًا آخرًا قد عرفه صديقه. دخل وتبعه مصطفى بعد أن أغلق الباب، جلس مصطفى على طرف السرير وجلس أحمد أمامه، لم يرفع مصطفى رأسه من الأرض ثم قال متألمًا:

- إيه يا صاحبي؟ جاي تقتلني، طب ما كنتش تتعب نفسك، أنا كنت هنتحر وأوفر عليك التعب ده كله.

ارتعش أحمد وأصابته القشعريرة ثم ابتلع ريقه الذي مر كالعلم:

- وأنت مين الي قالك إني جاي أقتلك؟

قال مصطفى بصوته المتهدج:

- وأنت لو عايز تيجي تزورني هتيجي بالوش ده؟! وهو فيه زيارة
بيننا بعد اللي حصل.

قاطعاه أحمد بضجرٍ وصرخ بصوت عالٍ:

- عملت فيها كدا ليه؟

تهكم مصطفى وهو يرفع رأسه لأول مرة، عيناه محنقتين وهالات
سوداء، نظر بأعين أحمد لأول مرة منذ جلوسه، الأعين التي لطالما وقف
صاحبها بجانبه، تلك الأعين التي كانت تنظر إليه نظرة الصديق، نظرة
الثقة، الآن هي الأعين التي أتى صاحبها شاهراً سيفه:

- هي اللي اضطررتي أعمل كدا، أنا حبيتها زي ما أنت حبيتها.

ضغط على فكه وتماسك قبل أن ينفجر في عديم الحياء ثم قال متريثاً:

- لو كنت حبيتها مكنتش خنت الثقة اللي إديتهالك، لو كنت بتحبها
كانت لو انكشفت قدامك تغطيها مش تعريها أنت.

قال مصطفى مقتضباً:

- بس هي محبتنيش بقى، كانت بتحبك أنت وأنا مينفعشني ماتحبش
يا أحمد، وأنت يا أحمد أنااني جداً.

لاح بخاطره إلى موضوع يحىي ووالده عندما حصل ذلك سابقاً
ودفع يحىي الغرور إلى القتل.

قال أحمد مستطرقاً:

- أنا اللي أنا؟ أنت اللي مبتحبش غير نفسك يا مصطفى، استكترت
عليأ أفرح أنا وسارة، إوعى ماتكونش فاهم أنا كنت بشوفك
إزاي بتبصلها وكمية الحقد اللي كانت في قلبك. وسارة فين؟ سارة
دلوقتي فين؟ ابقى روحلها الترب بقى وقولها بحبك يا سارة.

استوى أحمد وتبعه مصطفى ينظر إليه نظرات ترجى، لكن يأبى أن
يعترف، ظل على طريقته الساخرة في الحديث:

- خلاص هتقتلني، بس حاسب بقى متلوثشي إيدك، أنا دمي
نecس، ما أنت عارفني عطيط.

لم يتحرك مصطفى من مكانه وهو ينظر إلى أحمد وهو يرتدي قفازته
السوداء، ثم أخرج السكين المخبأ بينطاله من الخلف، أزال الغطاء الجلدي
ليلمع بريقها في عين مصطفى، ثم بحركات سريعة اقترب أحمد وأسكن
السكين بأضلع مصطفى، انفتحت نافورة الدماء ونزف الخائن، لم يرتعد
أحمد وظل محمداً بعين صديقه الذي ينازع السكين، ثم بعنفوان شديد
ضغط أكثر على السكين ليترك مصطفى يرقد أرضاً ممسكاً جنبات السكين.

- مع السلامة يا صاحبي، شوفت بقى كل نقطة دم بتنزل من دمك بتنقيك من جوه. الخيانة وحشة أوي، ربنا يغفرلك، ارقد بسلام يا صاحبي.

استلقى مصطفى يلفظ آخر أنفاسه الأخيرة مودعاً دنيا ظن أنه لن يودعها فائزاً، وسيذهب بغلطة استثنائية، روح أخرى في قصتك يا أحمد ستبوء إلى خالقها.

نظف المكان وهم بالانصراف، استدار بالرواق ليتأكد أن المكان آمن، رواد الفندق في مثل هذا الوقت يخرجون للتسكع بالكباريات، اتجه إلى حمام الفندق، خبأ الوجه بالمعطف ومن ثم ارتدي قلنسوة.

ولم ينزع الشعر المستعار، يدارى عن وجهه. حدث شيء غريب لم يكن بالحسبان، بينما يتدرج على السلم المؤدي إلى باب الفندق إذا بطارق يقف وحوله عساكره وبعضهم يهرول وينشط المكان، سحفاً ما الذي أتى بك إلى هنا يا طارق؟

قام موظف الاستقبال بالاقتراب من طارق قائلاً:

- حضرتك أول ما الإشارة جت من أمن الكاميرات إن الراجل اللي حضرتك مشتبّه فيه هنا في الأوتيل بعتنا بلاغ لحضرتك.

قام أحمد بفرش نهايات الشعر المستعار على وجهه ثم طأطأ رأسه واضعاً يده على قلنسوته، مشى بخطوات سريعة يقصد الباب الخلفي متوارياً عن كاميرات الباب. ظل كذلك إلى أن اقترب من بوابة مطبخ الفندق، ومنها إلى الرواق الخلفي ثم إلى الباب، هرول أحد العاملين إلى طارق قائلاً وهو يبلع غصته:

- إلحق يا باشا، فيه واحد مقتول فوق في أوضة 502.

جرى طارق والعساكر بسرعةٍ شديدةٍ. أيعقل أن يقتل شرف بهذه السرعة؟ ألم يكفه تورطه مع يحيى زهران؟ كان مصطفى قد وصل دمه إلى باب الغرفة، أرضية بيضاء تحول لونها للأحمر، وقبيل عيناه مفتوحتان وفم مغطى بالدم، ويداه على بطنه في محاولة بائسة منه؛ لسد الجرح، تحسس شريان رقبتة فلم يتحسس نبضاً، التقط جهاز اللاسلكي بسرعة البرق ثم قال:

- اقفل كل أبواب الأوتيل بسرعة ومتخلّش حد يدخل أو يخرج مفهوم.

اتجه طارق إلى شرفة الغرفة لبحث عن آثار أي محاولات اقتحام. ونظر إلى أعلى وأسفل متفحصاً ثم اتجه إلى الباب ومسكه بيده وحدق بالمقبض ملياً، ثم فتش في الأدراج فلم يجد أي شيء يوحي أن القاتل يريد السرقة، سأل رئيس الفندق الذي حضر لتوه:

- هو في كاميرات هنا في الأوضة؟

أشار برأسه قائلاً:

- أيوه يا أفندم، وفيه في الطريقة كمان.

قال طارق:

- عايزين نفرغ الكاميرات دي، وهاتلي بيانات الناس اللي في الفندق.

أخرج هاتفه وأخبر مباحث الجنايات ليعثوا له طبيياً شرعياً وقوة
تنشط المنطقة قبل أن يفلت القاتل.



اليوم مقتلها، أفلتت الأربع وعشرون ساعة اثنتين من جعبتها، ليعلن
يوم زفافه عن بدايتها، منذ أن تركت أحمد وأنت إلى الكنيسة ورأت
الزينة المعلقة واستعداد الفتيات بتجهيز بهو الصلاة؛ لإلقاء الإكليل
وتحضير الراهبات وقساوسة الكنيسة. أرعبها تهنئة الفتيات لها وتقبلها
من وجنتها كنوع من إبداء الفرحة ونظرات الفتيات على أنها العروس
المنتظر، تنهدت في ضيقٍ منتظرة وصول الدليفري، أو وصول الفارس
أحمد الذي سيأتي للأميرة مريم من أقصى بقاع الأرض وينقذها من سطوة
الملك، ويحملها فوق فرسه ويحلقا بعيداً. أحلام وردية تريدها مريم أن

تكون واقعاً، تريد أن يأتي صاحب الدار لداره، فإلى متى سيظل البناء بلا ركن والجسد بلا روح؟ وإلى متى سيظل القلب بلا شريان؟

جلست تزجر كلما تحرك عقرب الثواني منتظرة أحمد أو مكالمته منه وخطته لتهريبها، ظلت تزفر وتصفق بيديها وهي تتحرك بين أرجاء الغرفة، ليدق باب الغرفة أخيراً، هرولت تجاه الباب ثم قالت وهي تحاول أن تخفي ملامح القلق عن وجهها.

- إيه في حاجة؟

قال خاجلاً:

- أنا أسف حضرتك، بس فيه واحد دليفري جاي دلوقتي، ويقول إنه جايب لحضرتك أكل والأمن موقفيه بره لحد ما تيجي.

- أنا جاية أهوه.

بدلت ملابسها وأسرت بخطاها تجاة البوابة الرئيسة، لتجد رجال الأمن يحيطون عامل الدليفري، وعلبة البيتزا موضوعة أمام الضابط المسئول، قال الضابط:

- أنتي حضرتك طالبة بيتزا؟

ابتسمت مريم بطريقته التي تجعل كل من رآها يتأيل ويلين ويطيع أمرها:

- أيوه، أنا مكلتش حاجة في العشا؛ عشان كنت مشغولة بالحاجات بتاعت الفرح، فجوعت وأنا بجهاز شوية حاجات فطلبت بيتزا من بره.

ابتسم الضابط قائلاً:

- معلشي يا أفندم بقى أنتي عارفة التعليقات ومبروك على الفرح.
ما لكنة الاحترام تلك التي أصبحوا يتحدثون بها؟ كل هذا لأنني سأغدو زوجة أحد أهم رجال الكنيسة، اكرثت في بداية الأمر إلى المعاملة المتغيرة، لكن حينما التقطت البيتزا ودخلت بها في الغرفة، أخذت تقلب في مثلثاتها بحثاً عن رسالة أحمد، أخيراً وجدت مطبوعة وموضوعة بكيس بلاستيكي صغير، أخرجتها وبدأت تقرأ:

«ركزي يا مريم. فيه انفجار هيحصل في شقة قدام الكنيسة، ده صوت بس مش حاجة يعني، هيعمل صوت عالٍ جداً وشرار وأدخنة كثير، عاصم اللي هيعمله تمام، على الساعة خمسة الانفجار هيحصل، تكوني أنتي عند البوابة مستنية وبعدين تتسحبي وتروحي عند الكوبري، هتلاقي عاصم مستيكي بعربية بيعج هناك، تركبي العربية، خلي بالك يا مريم وقطعي الورقة دي.. بحبك.. أحمد».



أسرع أحمد إلى المسجد ليلملم حقيبته ويعود إلى القاهرة قبل أن يكشفه أحد. المسجد كان فارغاً، عجوزاً فقط يجلس أمام المنبر يقرأ بالمصحف، تهادت الساعة إلى الثانية والرابع صباحاً، البرد القارص ثلج عظامه وأحس بتساقط وجهه من شدة البرد، الشوارع خاوية والساعات المتأخرة من فصل الشتاء تدخل الناس إلى بيوتهم سريعاً، بنفس الثقة التي بات يتحلّى بها تسلل خلف العجوز ثم توجه بدون توقف إلى الحمام ليغير ملابسه ويلتقط حقيبته، تنفس الصعداء ثم ارتدى حذاءه واستوى لتقع عينه بأعين طارق:

- أحمد أنت بتعمل إيه هنا؟

كالصقر ظلت أعينه ثابتتين وأجاب بكل ضراوةٍ من دون تفكير أو همهمة:

- كنت هنا في إسكندرية بخلص شوية ورق في الجامعة وبعدين

عديت على البيت جبت منه شوية حاجات كدا. ولقيت الوقت

اتأخر ومفيش مواصلات فجيت على هنا.

قال طارق متسائلاً:

- أنت معتش قاعد في إسكندرية وليه سبت العيشة هنا؟

تنهد ثم قال:

- يعني معتشي ليا حد في إسكندرية يا باشا بعد أبويا وأمي ما ماتوا،
والشرطة مش عارفة تجيب القاتل، فلقيت شغل في القاهرة في
متحف الشمع وسافرت قعدت هناك..

اشتعل رأس طارق من شدة الإحراج ثم حاول تغطية فشله، فارتكن
إلى ما أتى به إلى هنا:

- مصطفى صاحبك وخطيب سارة اتقتل.

تظاهر أحمد بالدهشة وتنفس بسرعة:

- مصطفى مين.. منصور؟

- آه، لقيناه مقتول في الشيراتون، وبنشط المنطقة دلوقتي. فأنت رَوِّح
وخلي بالك لحد يشك فيك.

انتهى اللقاء بدون خسائر واستقل أحمد أحد سيارات الأجرة المتجهين
إلى موقف القاهرة ثم إلى سيارة مخصصة أخرى نقله إلى القاهرة. فتح
هاتفه ليجد رسائل أخرى مبعوثة وكأن الرسائل لا تأتي إلا وهاتفه مغلق.
رسالة من مجهول تحمل صورة الضابط محمود الذي أخذ أقواله في
قضية مقتل أبيه:

«الضابط ده برضه مشترك معاهم في نفس الجريمة».

هز رأسه وهو يطم شفتيه في استغراب:

- هو فيه كذا؟ يالهوي على الدنيا العجيبة دي!

معتزك الانتقام والندم مع الخيانة والتسلط تضيف إلى حبكة حكاية أحمد الدرامية طابعاً مبهماً كأنها مؤامرة كونية اجتمعت فوق رأس الصبي الذي ببداية العقد الثالث، شيء من اللا شيء يحدث وأمور دائماً ناقصة تتصف بالكمال، خطط كخطط هتلر بالحرب وولاء كولاء جنود الروس، وسياسة كتلك التي كانت تتنعم بها أمريكا. أما عن المملكة فقد فازت في النهاية وأحرقت برلين، عشق هتلر الحرب فدمر الجميع، ولكن بالنهاية خسر كل شيء لأجلها، فأيا رجل عشق لا تحاول الاقتراب من معشوقته؛ لأنه لا يملك غيرها، يقاتل على رايتها بين السماء والأرض.

فلتلقني على عاتقي أكثر فظهري خلق لكي يتحمل.



أعدت كريستين حقيبتها الصغيرة، وتركت ورائها كتب الإنجيل لأول مرة. انتظرت خلف رجل الأمن عندما كانت تدق الرابعة وثنائي وخمسون دقيقة، أصعب مائة وعشرون ثانية مروا عليها، أمسكت ذراع حقيبتها ونفخت كتين احشجرت النار بفمه؛ علها تهدئ من روعها،

حدث الانفجار ودوى الصوت بالمكان، وانزلقت كالشيكولاتة السائحة في الطبق المقعر، وبسرعة البرق تسللت خلف رجال الأمن الذين هربوا ناحية الانفجار؛ لتجد نفسها خارج أسوار الكنيسة، تمشت إلى حيث يقف عاصم، لمحته بشكله الملفت للانتباه، المعطف والقلنسوة الدائرية التي تشبه تلك التي يرتديها رعاة البقر، وصلت إلى السيارة متعبة وقلقة جداً، ركبت وركب عاصم وارتحلوا لترحل معها الذكريات السيئة.

عفوًا يا كريستين.. أنا ذاهبة لأكون مريم..



طارق ومكتبه بيت الفشل، الليل كان حالك وظلامه حال دون أن يمد لي يد العون وهرب القاتل أيضًا، انخفضت معدلات الرؤيا لدي وانحدر بي مستوى التفكير، وهوى بي هائمًا بين الجرائم، أشحذ رأسي لأخرج بحل، فلم أستطع وبدوت كأني لا أمتلك عقلاً من الأساس. اعتلت الشمس كبد السماء وظننت أن أشعتها ستنير دربي بحجة أن الليل كان هو العائق الحقيقي. غير مسموح بالفشل بثالث القضايا التي ستسند إليّ، وإلا فلن تعلو النجوم أكتافي وسينزعون بدلتي الميري. احتمال أن تقيد ضد مجهول مرفوض بالمرّة وخصوصاً أن المجهول أصبح حقيقة معلومة الآن وواضحة كالشمس. شرف، أنه شرف قبل أن تأتي

تسجيلات الكاميرات فوجده بالفندق، أكبر الأدلة على كونه القاتل .
والعجيب أيضًا تواجد أحمد بمكان مقرب من الحادثة وحجته المصطنعة،
قضية تقول أن الثالثة ثابتة فاجعل من الثالثة تمحو آثار فشل أختيها .

أخرج ورقة المثلث المغلق وأضاف اسم مصطفى إليها بين أحمد
ويحيى، ونظر بملف القضية المركبة وقضية سارة، سهمٌ كتب بهامش
ورقة يحيى وأحمد ثم قال بصوتٍ مسموعٍ:

- إيه الرابط الي ما بين أحمد ويحيى؟

أسند رأسه الثقيلة من قلة النوم إلى راحة يده في استياءٍ، سهاد كسهاد
الخائف من المستقبل عندما تكون أحلامه بمحض التحقيق وعلى عتبة
النجاح. أخذ يضرب على جبهته ويزفر مرار عديدة تعتليها نظرات
اليأس إلى السقف وجدارن المكتب، خيبة الأمل تلاحقه وتقلقه جدًا،
منذ أن تولى أول قضية بمباحث الجنايات وهو يعلم أنه يحقق في قضية
أخرى، قضية إثبات الذات في هذا النوع الخاص من الجرائم التي وقعت
بمستهل طريقه، كأن القضايا تريد أن تخبرني أنك موجود هنا خطأ،
ولتستهل الطريق اتركني وانظر إلى قضايا أخرى، أو أقدم استقالة مخفوفة
بشرف المحاولة، لا أظن أن شرفًا آخرًا هو الحل، بأن يقبع بأحد الزنازين
وتُسلسل يده بأساورهم الفضية، أو أرسله إلى حبل المشقة ليتحلل تحت
التراب، حتى أحسب على الضباط ويحني الجميع لي رؤوسهم بعد أن

يؤدوا تحية لي على أنهم لم يجدوا مكانًا خاليًا على أكتافي ليعلقوا دبورًا أو
نسرًا أو حتى أغصان زيتون.

دخل الصول جابر المتعهد بساقطات طارق بوجهه الحازم وخدوده المترهلة
وشاربه الذي يشبه السيف، وقف ثابتًا كالجل وهو يؤدي التحية لطارق:

- حضرتك شرايط الفيديو جاتلنا من الفندق ومأمور الأمن العام
واللوا الشال ومحمود باشا مستنين حضرتك.

أوما طارق برأسه ثم التقط هاتفه ومفاتيحه ليذهب إلى الضابط محمود
الذي سيحضر في غضون دقائق، انطلق كالطير المهاجر الذي انحرف عن
السراب وأصبح يرتحل بين البلدان وينحدر بين أغصان الأشجار. وكلمة
يبنى عشا على أحدها يُطرد ويبدأ رحلته من جديد.

أحجم كلماته مع الضابط محمود عندما أتى على الحضور؛ حتى
يتفادى كلماته على الدعوة المرفوعة ضده، كان اللواء سعد الشال متولي
يحضر أيضًا، طلب محمود من طارق الجلوس لبدء العمل، التف عددًا
لا بأس به من الضباط بمختلف رتبهم وفنين كاميرات وو كلاء نيابة
وبدأوا بتشغيل فيديو دخول شرف من باب الفندق، الفيديو يسجل
توافد سيدات ورجال الأعمال من الباب الرئيسي، ثم دخول شرف بحلته
السوداء وشعره الطويل، طلب طارق إيقاف الفيديو:

- داخل يقتل وخاشش من الباب عادي، ده مجرم جريء أوي..
أشار اللواء إلى الفني باستكمال العرض وظهر بكاميرات مراقبة
الرواق شرف وهو يقرع باب الغرفة، ثم ولوجه إلى الداخل، قال
محمود معللاً:

- استني استني استني، عيد تاني كدا.. ده مصطفى سابه يخش
الأوضة، وكمّان من غير مقاومة.

- هات اللقطة دي تاني من الأوضة.

أصدرت الشاشة تشوشاً قبل أن تدير إلى كاميرات الغرفة، كانت
الكاميرا بالخلف تظهر نصف الغرفة بجانب الشرفة، آخر السرير
وكرسيان ناحية الشرفة، وظهر مصطفى من الخلف ويظهر شعر شرف
الطويل فقط، تنحى مصطفى جانباً ودخلا إلى الغرفة، ثم تبادلا أطراف
الحديث قبل أن يسكن شرف السكينة بداخله:

- أنت شايف مصطفى كان بيضحك إزاي، كمّان تحس إن شرف
قاعد مش قلقان وهو داخل حتى، يدوبك قاله كلمة وسابه
يخش بدون أدنى مقاومة، كمّان قام وضربه بالسكينة ومصطفى
متحرّكشي.

ضرب أحد الضباط كفّاً على كفٍّ في تعجب قائلاً:

- لا إله إلا الله. هو مصطفى كان متفق معاه إنه يموت ولا إيه؟! حتى لو كان يمثل يمسه أي حاجة يدافع بيها عن نفسه.
- رأيك إيه يا طارق؟ قالها محمود وهو يضع يده على ذقنه.
- والله يا باشا أنا مش مصدق اللي أنا شايفه ده.. حضرتك إديني مهلة ساعتين كدا؛ أحلل الفيديو في المكتب وهنتقابل يا باشا.
- أوماً إليه محمود ثم التفت إلى اللواء سعد قائلاً:

- احنا بعتنا قوة تمشط المكان يا باشا، وفي ظرف أقل من أربع وعشرين ساعة هيكون عندنا، والضابط طارق والرائد جمال هيكونوا مع قوة الاقتحام، وأنا هكون هناك يا باشا، حضرتك تأمر بأي أوامر تانية.

أعاد طارق تشغيل الفيديو وبدأ من لقطة القتل إلى لحظة دخول شرف الحمام، ثم تأمين المخارج والمداخل، ظهر في الكاميرا الخلفية شاب يرتدي قلنسوة سوداء ومعطف أسود وشعر مستعار يشبه شعر شرف، هذا ما لفت انتباه طارق، وأنه هو الشخص الوحيد الذي خرج من دورة المياه في نفس توقيت الجريمة، وعدم خروج شرف أيضاً، لاحظ أيضاً تخفي الشاب عن الكاميرات ونظره أرضاً ومحاولات عديدة منه لإخفاء وجهه، بعنفوانٍ شديدٍ ضرب طارق جهاز التحكم أرضاً ثم صرخ بصوتٍ عالٍ:

- خرجت إمتا يا شرف؟ ورحت فين؟

تنفس طارق بصعوبةٍ ووضع يده على رأسه متحسراً، كجندي انتصر على جميع الأعداء واقتحم الكتائب وحرق علم العدو المتهالك ووضع مكانه علم بلاده، ثم وهو عائد متشيئاً بطعم الانتصار وقع في أحد أفخاخ العدو فهلك، أو كأم تعشق ابنها رآته أمام عينها يضيع حياته لهواً ولعباً فدعت عليه فما لبس أن رجع مغشياً عليه بالموت.

حدق بشريط الفيديو وهو يقول:

- كنت بتعمل إيه يا أحمد يا خالد في إسكندرية؟ وقاعد في المسجد الساعة ثلاثة بتعمل إيه؟

كالعادة قطع الصول تسلسل أفكاره وتحسره ودلف إلى الداخل، وقف صامتاً عندما رأى حالة طارق التي يُرثى لها، لكنه اعتدل بلبجسته ورمق الصول بنظرات لم يعهدها منه، الذي تحدث قائلاً:

- الدكتور عبدالله الشاهد في قضية خالد غنيم يا باشا مستني حضرتك بره.

دخل الطبيب ذو السحنة الباهتة واللحية الطويلة الرثة، بدا كأنه أشعس نفص الغبار من على أكتافه قبل المجيء، هالات سوداء وآثار دموع عالقة بعينييه كمدمني المخدرات بأول أيام إقلاعه، ولكنه

سيقلع عن الكتان وأتى إلى المصححة المناسبة ليتعافى من ذنب ظنه
الأعظم في حياته.

حاول طارق التلطف بالكلام ثم قال وهو يشير إلى الطبيب باحترام:

- اتفضل يا دكتور عبدالله. تشرب إيه؟

ربت على صدره شاكراً وربما ليهدأ قلبه حتى يقدر على البوح. فقد
طفح كيله وانحنى ظهره وشاب شعره من كثرة عيش الباطل لا بفعل
السن، اعتذر بطريقة لطيفة ثم قال:

- أنا جاي النهارده يا باشا عشان أعترف إني شهدت زور.

البداية جعلت من طارق يعتدل في اهتمام وينسى أمر مقتل مصطفى:

- في قضية خالد غنيم، مش الأستاذ خالد اللي جالي الصيدلية وطلب
مني أبديل شريط الدوا بسم، ده واحد تاني جالي يومها وهددني
وطلب مني أحط شريط فيديو كمان متركب يُدين خالد، بس
الكاميرا بتاعتي بتعمل نسخة من اللي بتسجله، لو شيلت الفيديو
من غير ما أدخل الباسورد فأنا خدت النسخة وكانت معايا على
الموبايل، وعشان هما هددوني ببنتي اضطريت أعمل كذا بس
الصراحة صعب عليا أحمد.

فخليت بنتي الصغيرة ترسمه صورة وتبعتهاله على البيت، ولما
زهقت من تعب القلب قولت أجي لحضرتك ويحصل الي يحصل.

لم يذهل طارق فلقد تعود على الصدمات. وأصبح التصديق بدون
تفسير شيئاً بديهياً، تنهد طارق وهو يحك جبهته قائلاً:

- طب معاك صورة للراجل ده؟

أخرج الطبيب الهاتف وأعطاه لطارق يحمل الصورة الذي بدوره
ابتسم ثم تلى الابتسامة ضحكات هستيرية اندهش لها الطبيب:

- شرف. الراجل ده اسمه شرف يا دكتور عبدالله.



اعتلت الشمس السماء وظلت بعين أحمد ينظر إليها عددًا من الثواني،
الساعة السابعة والنصف والقاهرة الآن تزج بالموظفين، وأماكن الحافلة
شاغرة بالعجائز والفتيات والنسوة والطلاب. لم يبق إلا دقائق معدودة
ويحط رحاله عند متحف الشمع، القاهرة المعز التي ربما أسقته شهيداً
لم تسقيه له بلده الأم، غريبة أن العيش في كنف الأم أذاق أحمد حنظلاً
ازدادت مرارته عندما رحل خالد وتمكن الألم منه، وأصبح مستديماً
عند رحيل أمه. غصة شديدة عالقة بحلقه لا تزول، وإن أكلت ملايين

خلايا النحل ليس عسلها فقط. ذنب أثقل كاهله لفترة قبل أن يزيل يحیی الستائر التي مهدها له أبوه، ويكشف حقيقة ما فعل وحقيقة والديه التي استمرت بالتشاغل على ظهره، لكنه حول شعوره من الندم إلى اللوم، لوم ألقاه على أبيه لتجارته الغير مشروعة، وعلى سلوى أيضاً لكونها تعلم حقيقة أخفتها عنه طول حياته إلى أن لاقت ربها. الآن فقط فهمت حقيقة الأقدار وما تفعله بنا، إلى أن تسوقنا إلى مشيئة خالقها، هل قررت يوماً أن تذهب إلى الأبد ولا تعود؟ أنا ذهبت ولكني كنت موجود معكم، ولم تشعروا بوجودي. هل شعرت يوماً أن الحياة توقفت ولكن ما زال قلبك ينبض بالعيش؟ أنا شعرت وأصابني ذلك ببلادة الإحساس ولا أستطيع أن أصف لك، فكما قلت قد تلبدت مشاعري.

تنهد وهو ينزل من الحافلة، وكأن شيئاً ما كان متوغلاً بين أضلعه، كعادته تمشي من متحف الشمع إلى القلعة المهجورة ثم إلى البيت. صاحب أكبر فضل عليه في حياته، كان جده مستغرقاً بنوم عميق بغرفته، وعاصم نائم على إحدى أريكات صالة المنزل، أما مريم، وجد أحمد مصباح أحد الغرف التي لم تفتح مسبقاً مضيئاً إضاءة خافتة، فتح أحمد الباب بهدوء شديد احتراساً من أن تكون مريم نائمة، الغرفة كانت رثة والأثاث بال لا يفرق شيئاً عن غرفته وأثر تنظيف التراب عليه رغم محاولات عاصم،

كانت مريم تحاول محاولات بائسة أن تنعس قليلاً لكن قلقها على أحمد جعل النوم ينفر عنها، وزاد قلقها أكثر عندما أخبرها جدها أنه لم يره ليلة البارحة وإخفاء عاصم عنها مكانه أيضاً، كانت تدير ظهرها إليه وهو بدوره ظل واقفاً يحرق في ملاك طعنه أحمد وقلب كسره وعاد إليه رغم كل ما اقترف. يشعر الآن بالأسف تجاهها ويريد أن يعوضها عن السنوات العجاف ويستكملاً طريقتهما، سحب الباب ليغلقه لكنه أصدر صوتاً على إثره نهضت مريم كأن كوبرا لدغتها، ولكن لدغة الحب أقوى وأشد.

اعتدلت على السرير وعدلت الخصلات القليلة الصفراء المتناثرة على وجهها ثم قالت بلهفة:

- أحمد أنت رجعت امتاً؟

ترك أحمد الباب موارباً وأقبل ليجلس بجانبها على الفراش:

- أنتي لسه صاحية؟ أنا قولت بعد الي حصل ده أنتي هتيجي تنامي يومين من كتر الخوف.

ضمت يديها إلى صدرها وقالت ببراءة شديدة:

- أنا جيت أنام معرفتش أنام، وجدك قالي أنه مشافكشي من امبارح، فكنت هموت من القلق عليك.

أفلتت يديها بين فخذيهما في حركة صيبانية فانتزعهما أحمد قائلاً:

- أنا كمان كنت قلقان عليكى أوي. يالا حمدالله على سلامتكَ.

قام أحمد ليسترح من الرحلة الشاقة التي لاقاها بعد منتصف الليل، لكن عينا مريم كانت ستقتلع من محجرهما وتذهب لتبيت بين أحضانه، أمسكت معصمه بحركة تلقائية:

- أحمد أنت كنت فين؟

ابتسم ثم ربت على قبضتها الملتفة حول معصمه، ثم اقترب من جنبها وطبع قبلة دافئة قائلاً:

- متخافيش يا مريم. لما أصحى هبقى أحكيلك كل حاجة، سبيني بس أنا؛ عشان أنا منمتش بقالي تلت أيام.



منصور ذو القلب المنفطر والآهات القادمة من الداخل، ودموعه التي أغرقت المكان يجلس على أحد أريكات الانتظار بمشرفة المستشفى، تغلي النار من تحته، الوقت كالقرون وتفكيره بابنه المقتول وقرة عينه يجعل الوقت لا ينبجلي، مصطفى الذي حضر إلى القاهرة أمس طعن بعد أن أتى بساعات كما أخبره الضابط. لا يعلم هل يستمر في البكاء أم يتهاسك

عندما يرى جثة ابنه؟ هل سيحتضنه ليسجل آخر عناق بينهم وتلك القبله التي سيراها ستكون الأخيرة ومحلها محل النظره التي ربما يريدنا ولا يريدنا؟ يأمل أن تغطي عينه بغشاوة ولا يرى وجهه، يتحسس فقط ملامحه المحفوظة والمأخوذة من وجهه، كنبات ملك اقرب شيئاً فشيئاً من الطاولة (الشيزلونج) الموضوع عليه الجثة، ووقف بجانب الجبل الذي يعمل بالمرحله، أقرع وذقنه حديثه الطلوع وشارب يتدلى بجانب فمه، يرتدي معطفاً أبيضاً آثار الدم المغسولة تضع بقعاً حمراء عليه. نظر بأعينه التي تشع شراراً مما يراه ويتعايش معه، ثم قال بعد أن وضع يده على الملاء البيضاء التي تغطي جسد الجثة، أمسكها من الطرف القريب من ناحية الوجه:

- مستعد يا باشا عشان تتعرف على الجثة؟

أوما بدون تحدث، فلسانه مشلول الآن، وعينه فقط هي التي تعمل، تنظر إلى الملاءة قبل أن تكشف ما تحتها، أزال العامل الغطاء حتى سرة ابنه الذي بكى ريثما رأى وجهه، شفتان زرقاوتان وأوردة مسحوبة للداخل وجلد باهت ويده موضوعة على صدره كوضع الصلاة، والطعنة واضحة تحت ضلعه الأخير بالجزء الأيمن فوق كبده بقليل، وآثار الدم أيضاً فالجرح لم يمض عليه الكثير. قرب منصور وجهه مصطفي، وتركه

العامل يفعل ما يحلو له. قبل وجهه ثم يديه وأمسكها غير مكترث للدموع أو حرمة الميت، ربت العامل على كتفه فأفلته ثم قال وهو يغطي وجهه:

- مع السلامة يا ابني. مع السلامة يا مصطفى..



اليوم يوم عرسه، ومشاركة أحدهم ما تبقى من عمره على الكرة الضئيلة التي وجد بها أحداً يشبهه حتى وإن أجبره على التخلي عن حياة مضت؛ للولوج بأخرى يهيئها له. صباح مشرق على وجهه وفتان أبيض سيشع نوراً وبعض خصلاتها الصفراء ستكون شمساً تنير حياته نهراً ووجه كالقمر خزن ما أرسله إليه الشعر نهراً فأضاء الفراش ليلاً. عادة ما تكون أفراحهم لها لكتتها وطعمها الخاص، وهذا العرس سيكون أفضل يوم تشهده الكاتدرائية، عرس ابن قسيس الكنيسة على القادمة من المحروسة بلاد البحر، الهاربة من ماضيها الذي تغاضى عنه وعوض جماها كل ما سبق، بيتر ذو العقيدة المتشددة واللسان العصب سيكون زوجاً، ولكن كيف سيكون وزوجته ليست هنا بل فارقت المنطقة لأجل شيءٍ آخر، قلبها.

دق الباب ليعلن اليوم عن أول حديث صباحي. فتح الباب باقتضاب، عادة ما يفعله؛ ليجد تيريز المتدهورة الحال يغطيها التراب ويغطي شعرها

أيضاً ليظهر شارباً خفيفاً من الغبار وسط تجاعيد وجهها الخمسيني، ضم عباءته وعدل صليبه الفضي ثم قال متهاكماً:

- مالك يا تيريز؟ إيه اللي عامل فيكي كدا؟

أشاحت بوجهها على الجانبين وبدت وكأنها ساحرة القرون الوسطى التي تستعبد أهل القرية الضعفاء، همست قائلة بلسانٍ حذرٍ:

- كريستين مش في أوضتها، أنا شوفتها بتركب عربية راجل كدا باين إنه ظابط، بس ماقولتش لحد واشتغلت مع البنات في التنضيف عشان محسسهومشي بحاجة.

قطب جبينه أكثر وظهر على وجهه الشحوب ثم قال بشفاه مرتعشة:

- أنتي بتبرطمي تقولي إيه؟

أزاحها ليمر إلى آخر الرواق حيث غرفة كريستين.

لا، لم تفعلي، كريستين عرسنا اليوم وأنتِ أحد ركائزه بل الركيزة الأساسية التي سأبني عليها البيت مستقبلاً، لم تذهبي وتركيني بعدما عانيت الأمرين من أجلك.

ضرب الباب بقبضته اليسرى في انزعاج، ثم هدأ من الدق علّها تكون بالداخل وتهلع، ليتهها تكون بالداخل، تأبى نفسه تقبل غير ذلك،

لم يجب أحداً ولم يسمع صوتاً بالداخل حتى همساً، فتح الباب بقوة ثم أضاء المصباح ليجد المكان خاوياً، الفراش نظيف جداً كما كان الدولاب مليء بالملابس والجديدة منها وستان العرس الأبيض، وكتبها موضوعة على المكتب كأنها لم تغادر، لكن حقيبتها وأغراضها الشخصية وهاتفها المحمول غير موجود، التقط هاتفه ثم ابتلع غصته ووقف بجانب تيريزا:

- اهاتف المطلوب مغلق أو غير متاح.

قالت تيريزا مقاطعة أنا معايا رقم العربية.

بعد عدة محاولات عديدة للاتصال بكريستين لم تفلح، استقل سيارته السوداء إلى قسم شرطة العباسية ثم ذهب إلى أحد الضباط المسيحيين الذي استغرب لرؤيته:

- إيه يا بيتر إيه اللي جايبك هنا الساعة دي؟ أنت مش فركك النهاردة يا ابني؟

زفر ثم قال على عجالة:

- أتأجل عشان العروسة مش مستعدة المهم خد بس اكشفلى على رقم العربية ده بسرعة يا ألبير.

أرسل ألبير الرقم مع أحد العساكر ليبحث عنه ثم نظر إلى بيتر متسائلاً:

- مالك كدا يا معلم مش على بعضك فيه إيه؟

التقط قهوته ثم أرجع ظهره إلى الخلف وارتشف رشفة من الفنجان الساخن:

- مفيش حاجة يا ألبير. عايز أعرف مين صاحب العربية دي بس مش أكثر.

التقط الضباط ساعة الهاتف الأرضي وضغط أحد أزراره منتظرًا. بيتر هو الآخر ضغط على نفسه وتحمل تلك الدقائق وهو يرتشف رشفة تلو الأخرى، تزيد النار المستعرة بداخله، نارًا فوق نار، ستندمي يا كريستين يومًا ما، والعذراء والمسيح إن جئتيني لن أسأحك بعد الأكاذيب التي ابتدعتها، وإن تلاقى أعيننا يومًا، لن تكوني لغيري. وضع قهوته في لهفة عندما دخل العسكري:

- تمام يا أفندم. العربية بتاعت واحد اسمه عاصم السيد المنسي شغال مهندس كمياي في متحف الشمع في حلوان.

بدون تفكير اتجه إلى حلوان التي تبعد مسافة الساعة والنصف عن العباسية وازدحام العربات الملاكى وحافلات النقل يكون شديدًا في الصباح، الإشارات مكتظة بالسيارات ولا مجال للخلاص، وبيتر يجلس على أعصابه، زوجته هاربة يوم زفافها، إذا لم يسترجعها كيف سيواجه أباء ورفقاء الكنيسة والمدعوين من القساوسة؟ كيف سيرى نفسه؟

وكيف سيقنعها أن الهاربة لم تهرب وحدها بل سرقت قلبي وهربت؟ مع كل مسافة يقطعها يكشف الستار عن ذكرى كانت عالقة بذهنه خاصة لكريستين. ومع كل إشارة يتوقف بها يتوقف قلبه عند أيام قضائها معها. تلك التي حن الفؤاد لها يا قلبي خذلتنا وذهبت، ضحية أخرى من ضحايا الترياد يهرول وراء القلب معمياً بدون حسابات أو توقعات. ذئب متوحش لا يهب أى شيء. فذ من نوعه متعطش للدماء وحصاد الأرواح. النواجد الناعمة التي تتواعد للفتاك بفريستها لن تستطيع السماح يوماً.

بعد معاناة وتخبطات داخلية وخارجية وصل بيتر إلى متحف الشموع، كانت الساعة قد دقت الثانية عشر ظهرًا. ظل يبحث في الأروقة ويتجول بين التماثيل الشمعية والمنحوتات، ذهب أخيرًا إلى المعمل الكيميائي، خرج عاصم مرتدياً معطفه الأبيض ثم سحب الباب ليغلقه، قال وهو ينزع قفازته الملوخة بالشمع:

- أهلاً بحضرتك..

قال بيتر:

- أنا القس بيتر أحد قساوسة الكاتدرائية بالعباسية.

ابتسم عاصم كأن لم يطرأ شيئاً عليه، شخص عادي قادم للتساؤل أو البحث عن شيء ما، على الصعيد الآخر شعر بيتر بعدم الارتياح من ردة

فعل عاصم، لماذا لم تتغير تعبيراته ويضطرب خاصة وجود سيارته وقت التفجير الذي حدث فجر اليوم؟ إنه لا يعلم شيئاً ولا يعقل أن تكذب تيريز، أراد بيتر مداهمته ووضعه أمام الأمر الواقع فقال:

- وديت كريستين فين يا عاصم؟

عقد حاجبيه في استغراب ثم قال وهو يهز أكتافه:

- كريستين مين؟ أنا معرفشي حد بالاسم ده.

بعد أن غفا أحمد قليلاً ولم يشعر بنوم هادي، ذهب إلى مريم ليأخذها في جولة بمتحف الشمع. يا لروعة الأقدار! توقفت أمام باب المتحف ثم سحبت يديها من يده قائلة:

- احنا رايجين المتحف ليه دلوقتي؟

رفع أحمد حاجبيه ثم زجر قائلاً:

- يا بنتي هو أنتي إيه؟ بقولك هنروح نشوف الرسومات الي عاصم خدها واتعقلت وبقت أكثر حاجة في المتحف، مع إنها مش بالشمع بس عجبت الناس، أنتي خايقة ليه؟ محدش هيشوفك خلاص بقى، انسي الي كان هيحصل.

إلى الرواق حيث عاصم وبيتر، تخطو الرسومات والمنحوتات وأحمد ينظر إليها بشغف لكن مريم ارتعدت عندما وقعت عينها على بيتر تأكد الهاجس:

- أهو اللي خايفة منه حصل، بيتر هناك أهو، عرف مكاني إزاي؟
أعمل إيه دلوقتي؟ خبيني يا أحمد قبل ما يشوفني.

كان بيتر منشغل مع عاصم الذي امتقته بشدة، وقعت عينه على أحمد يقف بجانب أحد الأبواب واختفت مريم، انصبت بعض قطرات على جبينه وارتعشت أقدامه مع اقتراب بيتر الذي ترك عاصم يتحدث واقترب منه، السياف قادم الآن.

- أنت مين؟

قالها بيتر بعصبية:

قال أحمد رادعاً بصوتٍ مهزوز:

- وأنت مالك؟

قاطع عاصم الحديث المتشاحن من بدايته:

- أحمد خالد شغال هنا، رسام حضرتك عايز حاجة؟

عينه بعين أحمد يرى انعكاس صورة كريستين على ملامحه، تشابه زعمه بيتر وهاجس يخبره أنها هنا، ويلثم عطرها بأنفه، عطر أوحده يصعب عليه الاختلاط مع آخر:

- تعرف حد اسمه كريستين؟

أرجع رأسه إلى الوراء ثم قال متساخراً:

- كريستين. الاسم ده مسيحي، لا والله معرفشي حد بالاسم ده.

رغم ما يظهره أحمد من سخرية إلا أن ملاحظه تفضحه، قال بيتر مشيراً إلى الباب:

- يعني مش خبيها في الأوضة دي.

ازدادت نبرته تهكماً ثم قال:

- هخبيها ليه؟ هي عليها تار ولا إيه يا باشا؟ احنا لسه في أول اليوم بقى، صباح الفل..

لم ينتبه إلى كلام أحمد واقترب من باب الغرفة، نعم أحمد يعلم أن مريم بالداخل، باب خشبي أبيض بمقبض حديدي يفصل بينهم، وقف بيتر أمام الباب بخطوة وأخرى فقط تفصله عنها. أيشعر المرء بمن يحبه حتى وإن لم يره؟

ارتعد أحمد وشعر أن بياق بيتر المدججة أحاطت بالملك، وستطيح به فور لثمه عطرها، إن فتح بيتر الباب حتماً سيرها، فلم يكن هناك متسع من الوقت لتختبئ بالغرفة، وإن حدث ورآها سيكون أحمد بخطر وعاصم أيضاً، وربما تصادف ويكتشفوا الأمور الخفية وسيفضح أمرهم.

حرك بيتر يديه باتجاه القبض، لكن قبضته حالت دون فتحه. ربما آتاه صوتاً من الداخل أخبره أنها ليست هنا، أو أنها هنا ولكن بمحض إرادتها وهروبها أكبر دليل على كونها لا تريد العيش معك تحت سقف واحد. قبض يديه بقوة وأرجعها إلى مكانه ونظر إلى أحمد برقبة شائخة ونفس سامية كمقاتل وضع رقبة عدوه تحت قدمه ومسك السيف، وأخبره أن يعتذر حتى يصفح عنه. تراجع بيتر نتيجة الاحساس بالكرامة، كرامة مقابل حب؛ لأنه يعلم ماذا سيحدث إن تلاقت الأعين لتبوح عما تعرفه؟

- ماشي يا أحمد. تشرفنا وتشرفنا بحضرتك يا دكتور عاصم.

أدار بيتر ظهره ليصعد قلب أحمد الساقط بأحشائه، نظر أحمد إلى عاصم بعض الوقت ثم أشار إليه برأسه ليراقبه إلى أن يخرج. سلك عاصم الرواق خلفه ووقف عند نقطة تقاطعه مع الرواق الرئيسي ليشاهد بيتر الذي مشى بخطوات متسارعة لا ينظر وراءه. أوماً إلى أحمد مؤكداً أن بيتر غادر المتحف. هرول أحمد وفتح الباب لمريم التي احترقت خوفاً خلف الباب وأصابها ما أصاب أحمد، ربما إن فتح بيتر الستار ستشرع المسرحية وسيعلو إيقاعها من جديد بأطراف الحب مجتمعين. طرفاً أول عانى منه وفقد من يحب على يد شخصاً آخرًا، شعر بما يشعر به بيتر الآن، وحكم على البشر بالموت، وآخرًا عاش أيضًا. طرفين خسر أول المعارك

وأنصفته آخر الحرب، عاش كل الأحاسيس واختار قلبه على الاختيار التقليدي، مسرحية كانت ستكون ذات سيناريوهات مختلفة وستبادل الأدوار كالكراسي الموسيقية. مشاهد بالجملة كانت ستحدث، وستمند المسرحية إلى ما لا نهاية، لولا تراجع بيتر للخلف.

كانت مريم جالسة على كرسي خشبي بالغرفة المظلمة التي يتخللها نوراً آتياً من الرواق، جالسة تبكي كعادتها ويكسو الشعر وجهها، تنهد ثم جثى على ركبتيه تحت وجهها وأمسك يديها وهو يقول:

- متخافيش محدش هيقدر ياخدك.

أمسكها أحمد وخرج من الغرفة ثم نظر إلى عاصم ملتفتاً حوله:

- أنا هخرج من الباب الثاني، لازم نتحرك. معتشي فيه وقت..

وقف بيتر أمام الباب الرئيسي ثم مال على عامل الأمن قائلاً:

- هو مفيش مخرج من المتحف ده غير هنا؟

حك السيكيورتي رأسه ثم همهم قائلاً:

- والله يا باشا أنا مش عارف هو فيه..

قاطععه بيتر مخرجاً ورقة نقدية فئة المئة جنيهاً:

- خد دي وتعالى وريهولي.

وقف بيتر بين السيارات المصفوفة أمام بناية المتحف مترقباً أن يرى كريستين وتوافق توقعاته أو تخالفها وهذا ما يتمناه.

لكن غير ذلك حدث ولاح بالآفق الوجه الصغير المكتنز والعينين العسليتين والشعر الأسود الممزوج بالصفار. كريستين تخرج مع أحمد الذي تحدث معه بالداخل، يأخذها تحت إبطه ويتلفت يميناً ويساراً، تضع كريستين رأسها بالأرض خوفاً، مشهد قاسي جداً على قلبك يا بيتر، قلبك الغليظ الذي لم يُفتح لأحد، ها هو يتبلد ثانية، استمروا بالتحرك واستمر ينظر إليهم متخفٍ حتى ابتعدوا. لا يعلم لماذا لم يظهر؟ أو لماذا أتى إلى هنا؟ ليراهم لكنه تراجع وبشدة ذاهباً؛ ليركب سيارته ويتغاضى عن ما قالته له نفسه عن أنه سيقتلها إن رآها مع غيره.

هكذا الحب فعل بك يا بيتر.. فلتنسى أنك عرفت مخلوقاً يُدعى كريستين..



في ظهر الجمعة الموافق 13 / 1 / 2017 الشمس كانت متعامدة والجو حارًا، على غرار الشتاء الهوا يحمل قطعًا من الجمر وكأنها موجة حر تضرب البلاد. ماذا حدث بك يا بناير؟ لكن الآخر من الجمر هو قسم شرطة سيدي جابر الذي يزج بالاضطراب بعدما أخبروهم أنه تم العثور على مكان شرف المختبئ بأحد الأوقار. الضباط يهرولون وسيارات الشرطة تُشحن بالضباط وعساكرهم. اللواءات يعطون الأوامر باللاسلكي، قضية رأي عام. قتل شاب في ريعان شبابه في ظروف غامضة، تم قتل مصطفى وشرف متورط بكل هذا.

الضباط يصطفون أمام الوقر ويشكلون نصف دائرة، العساكر متمرركزون بالبنادق في أماكنهم الخفي منها والظاهر. والضباط يلتفون حول القائد محمود، لكن طارق لم يكن موجودًا بالجوار. كلُّ من الضباط

يمسك مسدسه بكلتا يديه استعداداً لأي شيء، ويقلبون أعينهم بين أرجاء المكان. نادى محمود على شرف يطالبه بالاستسلام ولا داع للدخول في التراشق بالطلقات؛ لأنه سيكون الخاسر، لكنهم ذهلوا ممّا رأوه، شرف خارج من مخبأه رافعاً يديه مستسلماً، بلحيته وشعره الطويل المنعكش ووجهه الباهت وعينه المحترقتين، يمسك بأطراف شفتاه سيجارة مشتعلة في سخرية من المنتصف، لكنه مستسلم لما سيفعله رجال الشرطة الذين بإمرة محمود، اعتقلوه بدون مقاومة منه، وقلدوه بالسلاسل الفضية ثم سحبوه من ذراعيه إلى البوكس. تراجعت القوات عائدة إلى قسم الشرطة منتشية بفرحة إنجاز مهمتهم بدون أي تعب أو إراقة نقطة دم.



- ما هو قولك فيما هو منسوب إليك من قتل المجني عليه مصطفى منصور صالح؟

قال شرف:

- والله يا باشا ما قتلت حد.

قال وكيل النيابة مضجراً:

- إزاي بقى والكاميرات جايباك وأنت بتقتله، اتكلم يا شرف. طيب في شهادة من الدكتور عبدالله بتقول إنك روحته الصيدلية وطلبت منه يبدل شريط الدوا.

فرك شرف أعينه ثم حلق بالضابط محمود وهو يقول:

- يا سعادة الباشا. أنا معرفشي عن مصطفى باشا غير إنه ابن منصور باشا شريك يحيى بيه، بس أنا أعرف حاجات تانية كتير، وطالب من حضرتك الأمان.

- اتكلم يا ابني محدش هيقدر يعملك حاجة.

قالها وكيل النيابة صارمًا.

- يا باشا احنا شغالين عند يحيى باشا زهران بنفضيله العمليات الكبيرة الي من تحت التريزة زى الصفقات الوسخة وتجارة المخدرات وغيره. من سنة تقريبًا كان بيترصد لخالد غنيم يا باشا الي مات في قضية السجن. طلب يحيى باشا منا إن احنا نخلص عليه من غير شوشرة؛ لأن في عداوة قديمة بينهم بس منلمسشي حد من أهله. خالد ده كان حريص أوي ومكانشي بيطلع من البيت كثير. عرفنا أنه ودى العربية بتاعته لجورج جاره يصلحها، روحنا المصنع وقبضنا عيال هناك يلعبوله في الفرامل، وكمان وصيnahم إنهم يودوها لحد باب البيت بمعرفتهم بقى، لأجل الحظ الوحش يا باشا ماتت مرات خالد. يحيى باشا كان مضايق أوي وكان هاین عليه العياط، مش عارفين ليه؟ قلنا مش هنسيبه برضه بعتنا واحد من رجالي يراقبه بس هو كان من البيت للصيدلية، وشغله

غالبًا مبروحش قد كدا، وجاله يومين واختفى، مش عارف راح
فين؟ بعدها يا باشا روجت الصيدلية، أنا اللي روجت وطلبت من
الدكتور يبدل شريط الدواء، مامتني خالد برضه واللي مات جاره
المسيحي وخالد دخل السجن بعد ما هددنا الدكتور برضه إنه يروح
يشهد على خالد، وفي الآخر دخل خالد السجن ويحيى باشا رفض
وقال إنه لازم يموت، اتفقت مع ناس في السجن إنهم يقتلوه، وده
اللي حصل يا باشا وبعدها معشني لي دخل بأي حاجة، حتى أحمد
ابنه ملمس نهوش وبعديها اختفى أساسًا، أدى اللي أعرفه يا باشا..

قال وكيل النيابة:

- أمرنا نحن بضبط وإحضار المدعو يحيى زهران، وحبس المتهم
شرف على صابر أربعة عشر يومًا على ذمة التحقيق.



- خلاص يا مريم متخافيش، محدش هيقدر يعملك حاجة.

جلست مريم القرفصاء وهي تهتز وترتعش وتمسك كلتا قدميها
بيديها المرتعشتين، خائفة جدًا على ما تملك الآن بعد أن عانت لا تريد
أن يذهب هذا كله هباءً، وبعيدها بيتر إلى ما كرهت وامتقت، سيعيدها
هاربة كما جاءت. لكن هذه المرة الأسباب واضحة والفعل حدث بوضوح
النهار، ولن تقدر على الترتيب أو الكذب من جديد، ستكون حياتها

مُضنية وستستعبد من قبل بيتر الذي له الحق في أن يفعل ما يشاء. عروس هاربة مع آخر أظنه مسلم، قالت بخوفٍ لامس قلب أحمد:

- - طب هنعمل إيه دلوقتي؟

تنهد أحمد؛ لعل التهيدة تريح مريم أو تخفف عن آلامها المستعصية عن التعافي. سيضحك عليها ويخبرها أنه سيكون الجرح الأخير، وإن فُتحت الجراح مرةً أخرى فلن تلتئم.

- بصي النهارده صدقيني آخر يوم في العذاب، هنروح إسكندرية نخلص آخر مشوار لنا هناك. أنتي عارفة طبعا قصدي إيه. عاصم ومراته هلييسوا الهدوم بتاعتنا وهيطلعوا على المطار على إنهم احنا، وأنا وأنتي هنروح ننفذ المطلوب، لو بيراقبوكي فعاصم هيتوهم وأوعدك إنها هتكون آخر ليلة في العذاب، بس هتعملي اللي قولتلك عليه لو حصل حاجة.

حُضرت زوجة عاصم نفسها وارتدت فستاناً قرمزيًا يشبه أولئك اللاتي ترنديهم مريم، ونظارة شمس وقلنسوة وردية، أما عاصم ارتدى الوجه الذي أعده أحمد البارح بتلك الأمور، وجه أحمد الذي أعده تحسبًا لتلك الأمور للتمويه عنه. بهدوءٍ شديدٍ يسبق العاصفة خرج عاصم وامرأته إلى سيارة سوداء قائمة، تلفت بحذر شديد، يذهب إلى آخر الشارع وينظر يمينًا ويسارًا للبحث عن أوجه غير مألوقة، ركبت زوجته السيارة وانطلقا هربًا.

- خلصي يا مريم. يالا بينا، حظي كل حاجة في شنتنك واسبقني على العربية.

- هتمشي يا أحمد أنت ومريم خلاص؟ وتسيوني أموت هنا لوحدي، كنت عارف إنكم هتمشوا في يوم من الأيام.

قالها العجوز واستحقت بعض الدموع من عينه على أحفاده المغادرين الذين لا قاهم بعد عمر طويل. احتضنه أحمد بقوة وقبل جبينه، ثم أتت مريم هي الأخرى وقبلت يديه في حنين، ربت العجوز على ظهر الفتاة بيديه الباليتين التي أرهقها السن:

- خلي بالكم من نفسكم يا ابني ربنا معاكم.. دخلوني جوه يا أحمد.

تساند العجوز عليهم إلى أن دخل إلى غرفته وساعده للنوم على فراشه، ثم سحب أحمد يديه ليغطيه بغطائه ثم نظر إلى جده نظرة الوداع الأخيرة التي تحمل المعاني الكثيرة على قلة كلامها.

- أحمد اكتب ورقة أنهم يدفنونني في إسكندرية جنب أبوك وعمك.

قال وهو يبكي:

- حاضر يا جدي.. مع السلامة.

أغلق أحمد الباب خلفه، لكن ثمة شيء آخر حدث، طارق ثانية يفاجئ أحمد على حين غرة. كان أحمد يمسك بيد مريم التي أفلتها ثم نظر إليها،

فانسحبت مريم إلى الخارج، خلع طارق نظارته وأشاح بوجهه؛ ليرى أحمد تعابيره ويخبره بما هو آتٍ من أجله، أشار أحمد إلى طارق بالجلوس:

- اتفضل يا طارق باشا.

تلاعب طارق بوجهه بين سقف وجدران المنزل البالي ثم قال:

- إيه المغارة اللي أنت قاعد فيها دي؟

ضحك أحمد قائلاً:

- أهو اللي موجود يا باشا، واللي قدرت عليه.

هز طارق رأسه ثم قال مبتسماً:

- مبروك يا باشا، احنا مسكنا شرف اللي ورا كل الجرائم اللي حصلت، واعترف بكل حاجة والكبيرة بقى إن يحبى زهران هو اللي ورا كل ده.

عقد أحمد حاجبيه وتظاهر بعدم الفهم:

- أنا مش فاهم حاجة يا باشا. إيه الكلام اللي حضرتك بتقوله ده؟

- مش مهم تفهم، بكرة هتعرف لوحدك، بس الغريبة بقى إنه معترفش إنه قتل مصطفى..

- وأنت مصدقه يا باشا؟

قالها أحمد وهو ينهض.

أشار طارق بيده في حركة بالرفض:

- مش عارفين احنا مطلبناش منه اعتراف أساساً، الكاميرا بتاعت الفندق كانت جايباه وهو بيقتل فمش محتاج اعتراف، وهو اعترف على يحيى زهران إنه كان السبب، شرف ضحية من ضحايا أصحاب البلد.

- مش عايز تقولي أنت كنت في إسكندرية بتعمل إيه؟

رد أحمد بنفس النبرة وهو يتوجه إلى المطبخ:

- يا باشا ما أنا قولتلك كنت في الكلية، وروحت على الشقة..
تشرب إيه بقى يا باشا.

- قهوة. قالها طارق باقتضاب.

الخيوط المتشابكة تفردت والعقد المستعصية فكت وتبقت واحدة
أملاً أن تحل هنا في المغارة تلك. يمنعي عنك يا أحمد وجود دليل أريد أن
أضع القيود بيديك، إني على يقين أنك قاتل مصطفى، ذاك اليقين الذي
أتى بي من الإسكندرية تاركاً رحلة القبض على المجرم الذي راودني طيفه
طوال الأربعة أشهر، ضحية أنت سيقط بطريق الجريمة هذا هو التفسير
لما فعلت يا أحمد.

جلس طارق يفكر وينوي القبض عليه وعرضه على النيابة لكن
الطريقة مستعصية. رويداً رويداً تهادت كرة متهاكة من كرات الشوارع،

واستندت بهدوءٍ على الجدار المقابل لباب البيت. قام طارق بتلقائية ليرجع الكرة إلى الشارع، لم يكن حائط أحس طارق بالباب الخشبي المؤدي إلى القبو، مخفي بستارة من ورائها بعض الرسومات اليدوية تحمل نفس رسمة الجدار ونفس اللون حديثة الرسم. نظر طارق خلفه وتحسس وجود أحمد بالمطبخ يعد له القهوة، ثم نزل طارق إلى الأسفل وأغلق الباب خلفه. الممر كان يضيئه مصباح خافت يتوسطه، والجدران نظيفة لكن غير مطلية بالدهان، وسور حديدي يحيط سلم يتكون من ثماني درجات، غرفة كغرف الحرب السرية، اندهش طارق مما رأى، أخرج مسدسه وشد أجزائه وحمله بوضعية القتل، ثم أضاء مصباح هاتفه ووضع تحت المسدس، بخطوات ترقب العدو، وكشف المخبأ. تهادى طارق بخفية بالقرب من الجدار إلى الغرفة، كان الباب الحديدي ثقيلاً جداً. لم يقدر طارق أن يدفعه بيد واحدة، وضع المسدس خلف ظهره ودفع الباب بكلتا يديه، أشعة الشمس تدخل الغرفة من الشباك القريب من السقف، اندهش طارق وتندى جبينه، أدوات معملية بلاستيكية، جلود خمرية وبيضاء تشبه الحقيقة، ومواد محترقة وآثار تفاعلات وبقايا جلود، ورسومات تغطي الجدران، وشعر مستعار، ثمرة شيء كبير يحدث هنا، سحب طارق مسدسه لكن سرعان ما سقط أرضاً كجثة هامدة، وآخر ما سمعه كان طنيناً بأذنه، وصوت حديد يرتطم بمؤخرة رأسه.

بعدها بدقائق، طارق مقيد بحبل عريض أخره بارود وخط متعرج يصل إلى أوله المشتعل، كرسي خشبي ودورق من المياه مع الثلج المجروش

مربوط بخيط يحمل عداداً من الدقائق، آثار من الدماء على ظهره وياقة قمصيه، يتدلى رأسه على صدره كبندول ساعة بطيئة ثوانيتها أكثر من مائة في الدقيقة، يتحرك بين اليمين واليسار ببطء شديد. استوى الدورق وانصب الماء الثلج على رأس طارق، فزع طارق كما فعل شرف عندما أصابه وشهق كالعائد من البرزخ إلى الحياة مرة أخرى. أغمض عينه بشدة وضغط على فكه مصدر الآهات. الماء كان عالقاً برموشه والرؤية مشوشة، رفرف برموشه وهز رأسه حتى تتضح الرؤية، تلفاز موضوع أمامه يعتليه عداداً من الدقائق أيضاً، وورقة مكتوب عليها (يا باشا أنا أحمد، استنى على الفيديو). حاول طارق الإفلات لكن بلى جدوى، ثم شم رائحة احتراق فالتفت وراءه؛ ليجد الحبل يتعد عنه مقدار مترين. أصدر العداد صغيراً ليعلن عن آخر عشر ثوانٍ التي انقضت، ورفع طارق رأسه ليشاهد ما سيلقيه عليه أحمد عندما يضيء التلفاز.

- طارق باشا، معلشي بقى إني ضربتك وقيدتك بالطريقة دي، وحابسك في الأوضة اللي أنت مفكر إنك اكتشفتها بحدسك البوليسي وروحك العالية، أو الصدفة لعبت دورها والكورة خبطت في الجدار. اشكر بقى مريم بنت عمي إنها رمت الكورة. خرينا في المهم، الأوضة اللي أنت فيها دي يا طارق يا باشا هي المفتاح، لا خرينا نقول السيف اللي أنتو معرفتوش تقطعوا بيه التورته، السيف اللي اتقتل بيه أبويا وعمي كمان. آه هو أنا

ماقولتللكشي! مش جورج المسيحي طلع عمي وكريستين دي
مريم بنت عمي. بس خد الكبيرة بقى أنا عارف إن يحيى زهران
رجل الأعمال الكبير فعلاً السبب في ده كله. شوفت بقى يا
باشا الدنيا دى ضيقة إزاي، ومش حلوة خالص. يعني راجل
أعمال معاه الفلوس دي كلها دمر حياة شاب وقتل راجل غلبان
ومراته وأخوه.

وكان معاه دراع يمين إنها إيه! معلم يا باشا!

أكيد أنتو عرفتوه، وبرضه مش عارفين تثبتوا على يحيى زهران إنه بيتاجر
في المخدرات. المهم يا باشا عشان متقلقشي الحبل اللي أنت مربوط بيه ده
هيتفك كدا، احنا هناخد طائرة الساعة ثلاثة عشان نكون في فيلا الراجل ده
الساعة أربعة عشان نكمل مهمتنا بقى، سلام على قلبك يا باشا..



هبطت الطائرة القادمة من القاهرة في مطار الإسكندرية، عاصم
ينتظر أحمد أمام المطار بسيارة أخرى. هرول أحمد إلى السيارة ومن ورائه
مريم ثم قال أحمد متسرعا:

- يا لا يا عاصم بسرعة على الفيلا، حد شافك؟

أشعل المحرك ليبدأ صوت هديره ثم قال:

- لا متخافني محدش شافني.
- أمسكت مريم بذراع أحمد ثم قالت مترجئة:
- ما بلاش يا أحمد. ويا لا بينا نستنى الطيارة ونطلع ونسامح يا أحمد.
- حدجها أحمد بنظراتٍ ثاقبةٍ ثم أشاح بوجهه إلى الأمام:
- نسامح، كان سامح هو يا مريم، ومعيشناش في الرعب ده، وبأسامي مش أسامينا، لو سامح يا مريم كان ساب أبويا وأبوكي، كان ساب أمي عيشة، كان ساب س.. مش هنسيه يا مريم والنهارده آخر يوم في حياته
- نظر عاصم في المرأة الأمامية ثم قال:
- قرار القبض عليه طلع من مديرية الأمن، والبوليس رايح هناك دلوقتي على الفيلا، هو اتنقل من المستشفى.

المشهد الأخير

حطت القافلة بأراضٍ كانت بها يوماً، واستكان القلب بين أضلعه وأخيراً سيكف عن الفزع والخوف وسيستقيم؛ ليرسم مستقبله ويكتب أياماً يأمل أن تكون سعيدة. وقف بالمحطة الأخيرة راكب واحد فقط سينزل؛ لينجز آخر مهامه، ويعود إلى عربة القطار الذي يوجد به مستقبله. ارتدى وجهًا مشوهاً وغير مألوف كأشوار الأفلام، هذه هي الدنيا عندما تتحول موهبتك إلى جريمة وفنك إلى دواهي تخطط حروباً، وفرشاتك التي كنت ترسم بها لوحات جميلة رسمت مجرمًا يقتل أو منتقمًا يثار، ارتعدت مريم من شكل الوجه، ثم نزل أحمد ووضع مسدسًا خلف ظهره وسترة سوداء على وجهه:

- عاصم. أنا لولقيت سيف جوه رن على الرقم ده وحاول تشغله.

أمسكت مريم بيد أحمد آمالة ألا يكون العناق الأخير:

- خلي بالك من نفسك يا أحمد، وارجع سليم. أنا ممكن أموت من بعدك.

طبع قبلة ساخنة على كفها الناعم بوجه المتشوه، ثم مضى بدربه.

الشمس كانت تعد العدة وتأمل أن تكون لطيفة؛ لتدخل بوقت الغروب بعد يوم شديد التعب، أفصحت الشمس عن رغبتها في الرحيل تاركة أحمد ينتقم للنصف الأول من حكايته، حكاية أبيه ويحيى الراقد بالفراش ينازع الموت. غريبة لم يكن هناك حراس يحيطوا بالبيت كالعادة، فقط أمن البوابة، والعربات التي دائماً ما تكون مصفوفة اختفت، أخذ أحمد حذره واعتلى سور الفيلا.

عصرية مكان شاعري تتلاقى به الأرواح المحبة لا تسلب واحدة، روح كتبت على نفسها المعصية والجهربها. لم يعتر أحمد الهاجس الغريب الذي سيطر عليه عندما قتل مصطفى، فهل مات قلبك يا أحمد؟ حتى وإن مات فيحيى إنسان لن يعاقب قاتله، هذا شخص بلا قلب، فكيف ستقتل من لا قلب له؟

تدارى أحمد بين الأشجار، وتمنى لو فعل ذلك سابقاً، وأتى إلى سارة ليترجاها أن لا تكون لغيره، يأتيها ليحاجيها بالحب، ويتحایل عليها بالهروب ليته فعل، نفس الهاجس أتى عندما رأى شرفة سارة، هنا بيت كان يأوي يوماً شيئاً لنا، هاجس من الخوف سيطر عليه يخبره أن يعود أدراجه ويكمل طريقه مع مريم ولا ينظر إلى الوراء. لم يستمع

إليهم واستكمل طريقه إلى الفيلا، الباب الخلفي الذي جلس به يوماً يطلب يديها، يشعر برائحتها تجول بالمكان، وتخبره أنها ما زالت هنا، لكنه أغمض عينه ليُلاشي كل مسببات التراجع.

دخل متسللاً، نيفين جالسة في البهو الكبير تقلب في مجلات الموضة. ترقب أحمد إلى أن قامت نيفين تتحدث بالهاتف بالقرب من أحد النوافذ. انتهز أحمد الفرصة ليصعد إلى الطابق العلوي، صالة كبيرة تفتح على عدد من الغرف. ذهب أحمد وتُخفى خلف الستائر ليهاتف عاصم الذي فهم ما يريد، انتظر إلى أن خرج سيف يهروا من الغرفة إلى الطابق السفلي، تركوك وحدك الآن كما قتلت كلاً منهم على حدى، تركوك فريسة سهلة بدون حماية، وأتى الأسد ذو الأنياب اللامعة، دخل غرفة يحى السقيم المستلقي على فراشه المحاط بالوسادات، ومنها الموضوع تحت رأسه المرفوع فوق مستوى جسده وغطاء أبيض يغطيه إلى منتصف صدره، وجه أسود قاتم ومجموعات من الأدوية تحيطه ونصف كوب ماء. عصرية قتيل بدون موعد ومنذ متى ونحن نحدد موعداً، اقترب أحمد بوجهه المشوه ليشعر يحى أن ثمة حركة في الغرفة، ويفتح عينيه ليفزع مما رأى، هل أذاك ملك الموت كعاداته على حين غرة؟

- مين؟

- أحمد.

أخرج المسدس المذخر بست طلقات أطلق أولها بين حاجبيه، وهو
يصرخ (أمي)، ثم أخرى بجوار قلبه قائلاً (أبوي)، ثم ثالثة بجوارها وهو
يقول (عمي)، ثم قرب المسدس من منتصف صدره صارخاً (سارة)،
تبقت اثنتان يا أحمد، أطلق أحدهما وهو يتحدث إلى جثة يحيى:

- آخر واحدة دي ليا يا يحيى وعلى اللي عملته.

أطلقها وقفز من الشرفة.



- ألو، أيوه يا محمود باشا.

كان طارق قد فك الحبل المشتعل، ويركب سيارته وآثار الدم عالقة
على قميصه والمياه الناشفة من حر اليوم، يهاتف الضابط محمود:

- يا باشا. أحمد خالد هو اللي ورا ده كله، زمانه عند يحيى زهران
دلو قتي.

اقتضب محمود جيبينه:

- إيه اللي أنت بتقوله ده؟ احنا قدامنا أقل من دقيقة ونبقى عند يحيى
في الفيلا.

هرول أحمد إلى سور الفيلا وهو يسمع صرخات ريهام ونيفين،
التف عاصم بالسيارة إلى الجهة الأخرى ثم قفز أحمد من على السور؛

ليركب السيارة تاركاً الأمر للشرطة تحقق في موقعة قتل يحيى زهران.

- يا لايأ عاصم الطيارة باقيلها ربع ساعة.

نظر أحمد إلى مريم بعد أن نزع الوجه..

قبلها بساعات

استقيظت مريم لتجد أحمد يرسم على الجدار رسومات زهرية
فاقتربت منه سائدةً يديها على كتفه:

- بتعمل إيه؟

على الرغم من الدلال التي تحدثت به مريم إلا أن أحمد قال بجدية:

- مريم احنا النهارده هنقتل يحيى زهران، وهنركب طيارة من هناك
من إسكندرية على اليونان فركزي معايا.

- أنا حاجز في طيارة الساعة أربعة ونص ثلاث تذاكر ليا أنا وأنتي
وعاصم، ومتقلقيش محدش هيكشفنا. أنا وعاصم محضرين
كل حاجة، احتمال واحد اللي يقلق، لو الظابط طارق شك في
حاجة وجيه على هنا، أصلي اتغابت وقولتله إني شغال في مصنع
الشمع، واحنا هنضطر نقوله كل حاجة عشان هو صعبان عليا،
وأنتي هتساعديني، أنا هلهيه في الكلام وأنتي حاولي تحطي أي
حاجة تلفت الانتباه جنب الباب اللي أنا برسم عليه ده. هنحاول

نستدرجه للأوضة ونقيده، تمام؟ وأنا هسجله فيديو دقيقتين أقوله فيه على كل حاجة ومتخافيش أنا هنا..



قوات الشرطة تحيط المنزل، الطريق مغلق من الجانبين، وعاملو الجنايات يفتشون عن أدلة والضباط يملأون الغرفة، ريهام تجلس على الأرض تنفطر من البكاء بحضن سيف، وصرخات نيفين وأنين سيف وملاءة بيضاء أخرى تغطي قتيلاً.



الرجاء من سيادتكم ربط أحزمة الأمان استعداداً للإقلاع.

- ألا صحيح يا عاصم يا ابن عمتي باقي العيلة بتاعتنا فين؟

ضحك عاصم قائلاً:

- في السجن يا ابن خالي..

نظر أحمد إلى مريم النائمة على ذراعه المحتضنة جسده، ثم داعب شعرها وفرك خصلاته، ثم أشاح بوجهه إلى عاصم مبتسماً ابتسامة عريضة.

أقلعت الطائرة لتترك أوجاعاً وتسأؤلات وحيرة تبرهن أن فرشاة الرسام فازت مؤخراً، وأخذ تأره من جيش الظالم، وخلف ذاك الانتصار للشرطة التي أغلقت القضية، وعاد طارق من القاهرة ليرى عربة

الإسعاف تقل يحیی القتیل، جلس واضعاً یده علی رأسه فی خیة، فشل
أيضاً فشلاً ذریعاً رغم محاولاته المستمیتة.

عاد بیتر خائباً کل ما یملکه فی عبائته هو خاتم الزواج، وهمة منهكة
راضیاً بأمر الرب، لكن نظرات الموجودین بالکنیسة كانت سهماً تخرق
قلبه، لم یكثرث ودخل إلى غرفته یبکی علی مشهد لن یراه غیر مرة واحدة
فی العمر. شرف المحرك لأحجار النرد حکم علیه بالإعدام، ومحمود
المتورط بالتلاعب مع یحیی والتواطؤ سجن خمسة عشر سنة، وطارق
فقد ترقى إلى رتبة الرائد، وارتبط بنیفن سكرتيرة یحیی التي استقالت
بعد الحجر علی أملاك الأخير. أما عن أحمد ومريم هبطا إلى بلاد الإغریق
لیكملوا قصة حب باقية إلى زوالهم.

عندما تَقْتَل بأوامر قلبية..



تم بحمد الله